أنصار السنة ودورها في استقرار المجتمع

صفر
تشاؤم أم تفاؤل

مجلة إسلامية - ثقافية - شهرية
تصدر عن جماعة أنصار السنة المحمدية

التوحيد

السنة الثالثة والثلاثون - العدد الثاني - صفر ١٤٢٥هـ - الثمن ١ جنيه

الأمن يوم الفزع الأكبر

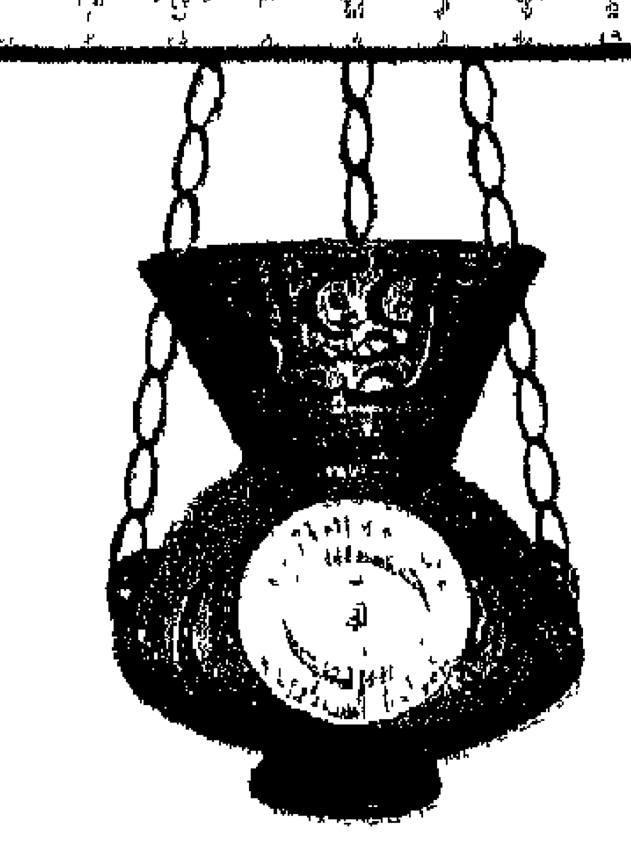
زمن الفتن وذهاب الأمانة

أثر الطاعات في جلب البركات

الشرق الأوسط الكبير: ومؤامرة أمريكا وإسرائيل

رئيس مجلس الإدارة د. جمال المراكبي







إسلامية - ثقافية - شهرية

المشرف العام

د. عبد الله شاكر

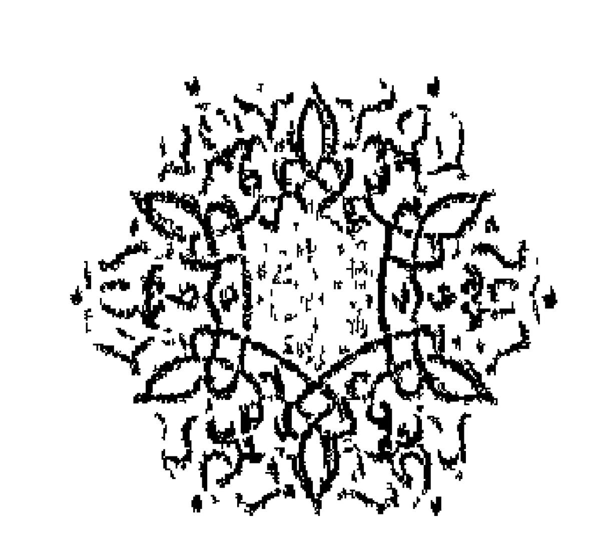
اللجنة العلمية

د. عبد العظيم بدوي

زكريا حسيني

جمال عبد الرحمن

معاوية محمد هيكل



السلام عليكم

الإخوة الأعزاء قراء مجلة التوحيد

منذ ما يزيد على عام كامل، ومنذ تغيير سعر الصرف. وتعويم الجنيه المصري، ومع الزيادة الكبيرة جدًا في أسعار الورق وأسعار الطباعة ومستلزماتها ونحن نحاول جاهدين الإبقاء على سعر المجلة، برغم الخسارة الكبيرة التي تتكبدها مجلتكم، تم في خلال تلك الفترة رفع أسعار الطباعة مرتين بشكل أصبح غير محتمل، ولكن رغبتنا في الاستمرار يجعلنا نستسمحكم في رفع سعر المجلة ابتداءً من العدد القادم بإذن الله، ومرة أخرى نرجوا أن تلتمسوا لنا العذر في ذلك، وأطلب من قراء المجلة ومحبيها الدعم والمؤازرة حتى تستمر مسيرة التوحيد.

وفقنا الله وإياكم إلى ما يحب ويرضى

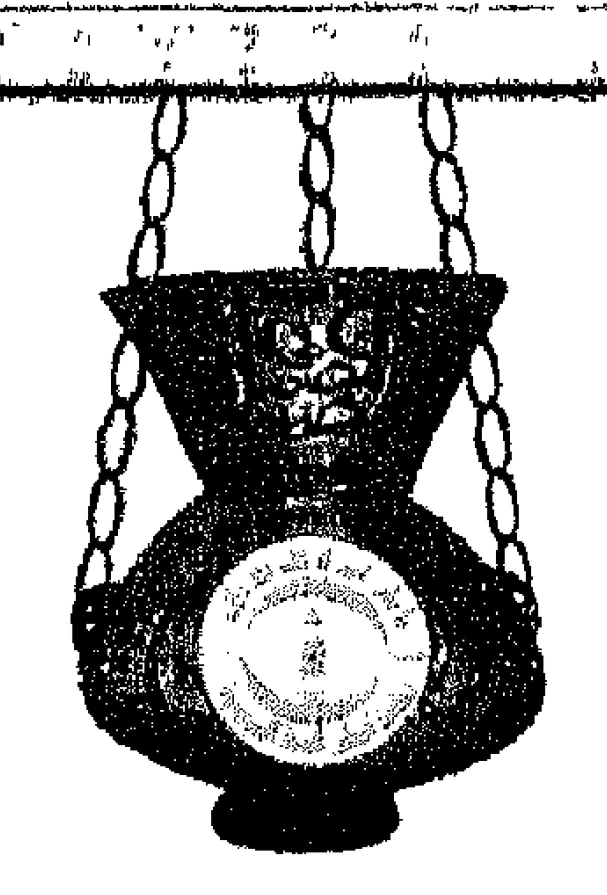
رئيس التحرير

البريد الإلكتروني

المجلة Mgtawheed@hotmail.com
رئيس التحرير Gshatem@hotmail.com
التوزيع والاشتراكات Ashterakat@hotmail.com
موقع المجلة على الانترنت www.altawhed.com
موقع المركز العام www.ELsonna.com

التحرير / ٨ شارع قوله - عابدين القاهرة
ت: ٢٣٩٣٦٥١٧ - فاكس: ٢٣٩٣٠٦٦٢
قسم التوزيع والاشتراكات ت: ٢٣٩١٥٤٥٦

رئيس التحرير **جمال سعد حاتم** مدير التحرير الفني **حسين عطا القراط**



صاحبة الامتياز
جماعة أنصار السنة المحمدية

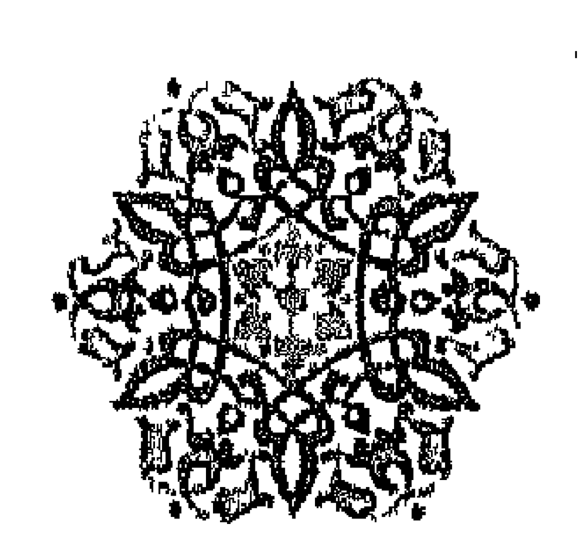
في هذا العدد

ثمن النسخة

مصر جنيه واحد ، السعودية ٦ ريالات ، الإمارات ٦ دراهم ، الكويت ٥٠٠ فلس، المغرب دولار أمريكي، الأردن ٥٠٠ فلس، العراق ٧٥٠ فلساً، قطر ٦ ريالات، عمان نصف ريال عماني.

الاشتراك السنوي:

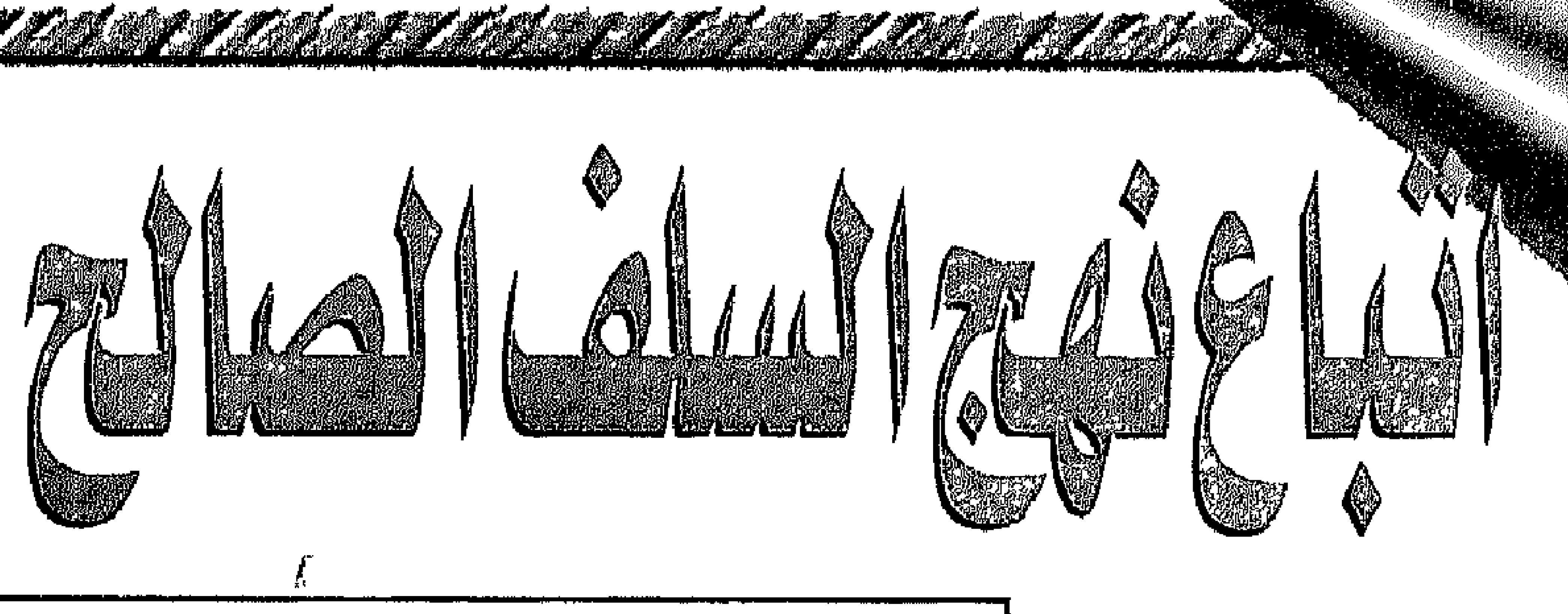
١- في الداخل ١٥ جنيهاً (بحوالة بريدية داخلية باسم مجلة التوحيد - على مكتب بريد عابدين).
٢- في الخارج ٢٠ دولاراً أو ٧٥ ريالا سعوديا أو ما يعادلها.
ترسل القيمة بحوالة بنكية أو شيك - على بنك فيصل الاسلامي - فرع القاهرة - باسم مجلة التوحيد - انصار السنة (حساب رقم / ١٩١٥٩٠).



المركز العام : القاهرة - ٨ شارع قوله - عابدين
هاتف : ٣٩١٥٥٧٦ - ٣٩١٥٤٥٦

التوزيع الداخلي
مؤسسة الأهرام
وفروع أنصار السنة المحمدية

مطابع الأهرام التجارية - قليوب - مصر



اتباع نهج السلف الصالح

بقلم الرئيس العام

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اتبع هداه أما بعد:

فقد قلنا في الحلقة السابقة إن الخير العميم الذي اختص الله به هذه الأمة فجعلها خير أمة أخرجت للناس لا يناله إلا من حقق التوحيد مخلصًا لله الدين، وتابع النبي ﷺ أما أهل البدع والضلال فلا نصيب لهم في هذا الخير والفضل إلا بقدر قربهم من الحق ومتابعتهم للسنة والهدي النبوي بل إنهم يُزادون عن حوض النبي ﷺ فلا يشربون منه وتقول الملائكة للنبي ﷺ «إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك». [متفق عليه]

وقلنا إن الزمان لا يخلو من متبع للحق ناصر للسنة، لقول النبي ﷺ: «لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم ولا من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك». [متفق عليه]

وهؤلاء هم الطائفة الناجية المنصورة إلى قيام الساعة يتمسكون بما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه ومن تابعهم بإحسان من السلف الصالح.

تحقيق معنى السلف

تأتي كلمة السلف ويراد بها معانٍ عديدة منها:

١ - القرض أو الدين ومنه بيع السلف - أو السلم - كما جاء في الحديث الصحيح عن ابن عباس قال: قدم النبي ﷺ المدينة وهم يسلفون في الثمار للعامين والثلاثة فقال النبي ﷺ: «من أسلف فليسلف في كيلٍ معلوم أو وزنٍ معلوم إلى أجلٍ معلوم». [البخاري كتاب السلم]

وذكر مالك في الموطأ أبوابا في السلف منها ما يجوز من السلف وباب ما لا يجوز من السلف، وروى عن ابن عمر أنه قال: السلف على ثلاثة وجوه: سلف تسلفه تريد به وجه الله، فلك وجه الله، وسلف تسلفه تريد به وجه صاحبك، فلك وجه صاحبك، وسلف تسلفه لتأخذ خبيثا بطيب فذلك الربا.

٢ - وتأتي كلمة السلف ويراد بها من مضى من الأمم قبل أمة محمد ﷺ كما في الحديث: «إنما بقاؤكم فيما سلف قبلكم من الأمم كما بين صلاة العصر إلى غروب الشمس» [رواه البخاري].

وفي المسند في حديث الثلاثة الذين آواهم المبيت إلى الغار: «أن ثلاثة نفر فيما سلف من الناس انطلقوا يرتادون لأهلهم فأخذتهم السماء، فدخلوا غارًا، فسقط عليهم حجر». الحديث.

وقال تعالى عن فرعون وقومه: ﴿فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ (٥٥) فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفًا وَمَثَلاً لِلآخِرِينَ﴾ [الزخرف:٥٥-٥٦].

قال الفراء: جعلناهم سلفًا متقدمين ليتعظ بهم الآخرون. [لسان العرب].

وقال مجاهد: قوم فرعون كفارهم صاروا سلفًا لكفار أمة محمد ﷺ. ذكره البخاري معلقًا في التفسير.

٣ - وتأتي بمعنى ما مضى من العمل كما في قوله تعالى ﴿فَمَنْ جَاءَهُ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّهِ فَانْتَهَى فَلَهُ مَا سَلَفَ وَأَمْرُهُ إِلَى اللَّهِ﴾ [البقرة:٢٧٥].

﴿وَأَنْ تَجْمَعُوا بَيْنَ الأُخْتَيْنِ إِلاَّ مَا قَدْ سَلَفَ﴾ [النساء:٢٣].

وقال النبي ﷺ: «أسلمت على ما سلف من خير».

٤ - وتأتي بمعنى من تقدم من أهل الفضل من أصحاب النبي ﷺ ومن تابعهم بإحسان وهم السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار وتابعوهم من أهل السنة والجماعة قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنْصَارِ

وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾ [التوبة:١٠٠]، وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنْصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُولَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ * وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلاَ يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ * وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [الحشر:٨-١٠].

جاء في لسان العرب: سلف الإنسان من تقدمه بالموت من آبائه وذوي قرابته، ولهذا سُمي الصدر الأول من التابعين السلف الصالح.

وذكر القرطبي عن علي بن الحسين أن نفرًا من أهل العراق جاءوا إليه فسبوا أبا بكر وعمر رضي الله عنهما، ثم عثمان فأكثروا، فقال لهم علي بن الحسين: أمن المهاجرين الأولين أنتم؟ قالوا: لا، قال: أفمن الذين تبوءوا الدار والإيمان من قبلهم؟ قالوا: لا، فقال: قد تبرأتم من هذين الفريقين، وأنا أشهد أنكم لستم من الذين قال الله عز وجل فيهم: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلاَ تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلاً لِلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ قوموا فعل الله بكم وفعل، يدعو عليهم.

لماذا يجب على كل مسلم اتباع منهج السلف؟

أقول يجب على كل مسلم عاقل اتباع منهج السلف في العقيدة والسلوك والأخلاق لأن الأمة الإسلامية مرت بمرحلتين: المرحلة الأولى هي مرحلة الاجتماع على الإيمان بما جاء به محمد ﷺ ومتابعته في هديه وسنته قبل أن تظهر المقالات المنحرفة والفرق الضالة. والمرحلة الثانية مرحلة الاختلاف في الدين والتنازع واتباع الأهواء المضلة وظهور مقالات الخوارج والروافض والمرجئة والقدرية وغيرها من المقالات الفاسدة التي لم يقل بها أحد من السلف الصالح، بل أنكروها وردوها.

وكانت الأمة في المرحلة الأولى في عز ونصر وتمكين فحازت شرف الخيرية،كما قال رسول الله ﷺ: «خير أمتي قرني ثم الذين يلونهم ثم الذين يلونهم» [متفق عليه].

وكانت فتوح الإسلام في هذه المرحلة، ففتح الله على هذه الأمة البلاد وكذلك قلوب العباد فدخل الناس في دين الله أفواجا، وفي هذا يقول النبي ﷺ: «يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس، فيقال: هل فيكم أحد من أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. قال: فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم أحد ممن صحب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. قال: فيفتح لهم، ثم يأتي على الناس زمان فيغزو فئام من الناس فيقال: هل فيكم ممن صحب أصحاب أصحاب رسول الله ﷺ؟ فيقولون: نعم. قال: فيفتح لهم» [متفق عليه] وإلى هنا ينتهي الحديث، تنتهي قرون الخير، ينتهي زمن الفتوح، وتعم الفتن المضلة عافانا الله منها بفضله ومَنّه وكرمه. قال الحافظ: واتفقوا أن آخر من كان من أتباع التابعين ممن يُقبل قوله من عاش إلى حدود العشرين ومائتين، وفي هذا الوقت ظهرت البدع ظهورًا فاشيًا، وأطلقت المعتزلة ألسنتها ورفعت الفلاسفة رؤوسها، وامتُحن أهل العلم ليقولوا بخلق القرآن، وتغيرت الأحوال تغيرًا شديدًا، ولم يزل الأمر في نقص إلى الآن. اهـ [فتح الباري ص٧، ص٨].

فالمسلم الكيس الفطن هو الذي يتبع ولا يبتدع في دين الله، هو الذي يتبع أقوال السلف الصالح ومنهجهم قبل أن يظهر الخلاف لقول النبي ﷺ: «إنه من يعش منكم بعدي فسيرى اختلافًا كثيرًا، فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين بعدي، تمسكوا بها وعضوا عليها بالنواجذ، وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة» [الترمذي وأحمد بسند صحيح].

وعن حذيفة بن اليمان قال: كان الناس يسألون رسول الله ﷺ عن الخير، وكنت أسأله عن الشر مخافة أن يدركني فقلت يا رسول الله: إنا كنا في جاهلية وشر، فجاءنا الله بهذا الخير، فهل بعد هذا الخير من شر؟ قال: نعم.

قلت: وهل بعد ذلك الشر من خير؟ قال: نعم وفيه دخن. قلت: وما دخنه؟ قال: قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر. قلت: فهل بعد ذلك الخير من شر؟ قال: نعم، دعاةٌ إلى أبواب جهنم، من أجابهم إليها قذفوه فيها. قلت يا رسول الله: صفهم لنا. فقال: هم من جلدتنا ويتكلمون

بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: تلزم جماعة المسلمين وإمامهم. قلت: فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام؟ قال: فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت على ذلك». [البخاري]

وفي رواية مسلم: «قوم يستنون بغير سنتي ويهدون بغير هديي تعرف منهم وتنكر».

وفي رواية ثانية لمسلم: «يكون بعدي أئمة لا يهتدون بهداي ولا يستنون بسنتي، وسيقوم فيهم رجالٌ قُلُوبُهُمْ قُلُوبُ الشياطين في جثمان إنس. قلت: كيف أصنع يا رسول الله إن أدركت ذلك؟ قال: تسمعُ وتُطيعُ للأمير وإن ضرب ظهرك وأخذ مالك فاسمع وأطع».

ورواية أبي داود عن سبيع بن خالد قال: أتيت الكوفة في زمن فتحت تُستر أجلب منها بغالا فدخلت المسجد فإذا صَدْعٌ من الرجال، وإذا رجل جالس تعرف إذا رأيته أنه من رجال أهل الحجاز.

قال: قلت: من هذا؟ فتجهمني القوم وقالوا، أما تعرف هذا؟ هذا حذيفة بن اليمان صاحب رسول الله ﷺ.

فقال حذيفة: إن الناس كانوا يسألون رسول الله ﷺ عن الخير: وكنت أسأله عن الشر، فأحدقه القوم بأبصارهم. فقال: «إني أرى الذي تُنكرون، إني قلت يا رسول الله: أرأيت هذا الخير الذي أعطانا الله أيكون بعده شر كما كان قبله؟ قال: نعم. قلت: فما العصمة من ذلك؟ قال: السيف. قلت: يا رسول الله ثم ماذا يكون؟ قال: إن كان لله خليفة في الأرض فضرب ظهرك وأخذ مالك فأطعه وإلا فمت عاضًا بجذع شجرة. قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم يخرج الدجال، معه نهر ونار، فمن وقع في ناره وجب أجره وحُط وزره، ومن وقع في نهره وجب وزره وحط أجره قلت: ثم ماذا؟ قال: ثم قيام الساعة».

وعند ابن ماجه: «يكون دعاة على أبواب جهنم من أجابهم إليها قذفوه فيها، قلت يا رسول الله صفهم لنا، قال: هم من جلدتنا يتكلمون بألسنتنا. قلت: فما تأمرني إن أدركني ذلك؟ قال: فالزم جماعة المسلمين وإمامهم، فإن لم يكن لهم جماعة ولا إمام فاعتزل تلك الفرق كلها، ولو أن تعض بأصل شجرة حتى يدركك الموت وأنت كذلك».

وقول النبي ﷺ: اعتزل تلك الفرق كلها معناه أن يلتزم الإنسان السنة ولو كان وحده، ويعتزل كل المقالات والأراء الفاسدة ومن يروجون لها ولو فعل ذلك فهو الجماعة هو ومن وافقه على ذلك لقول النبي ﷺ: لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خالفهم حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك.

فالحديث يوضح للمسلم المنهج الذي يعتصم به حال الاختلاف وقوله: كنا في جاهلية وشر، يشير إلى ما كان قبل الإسلام من الكفر، وقتل بعضهم بعضا ونهب بعضهم بعضا، وإتيان الفواحش: والمراد بالشر المذكور أولا ما يقع من الفتن بعد مقتل عثمان، أو ما يترتب على ذلك من عقوبات الآخرة.

وقوله عن الخير وفيه دخن إشارة إلى أنه لا يكون خيرًا محضًا خالصا بل فيه كدر، وفي رواية: «لا ترجع قلوب قوم على ما كانت عليه» فكأن المعنى أن قلوبهم لا يصفو بعضها لبعض.

وقد فسر هذا الدخن بوجود البدع وظهورها قوله: «قوم يهدون بغير هديي، تعرف منهم وتنكر». وقوله في الشر الآخر: «دعاة يدعون على أبواب جهنم» باعتبار ما يؤول إليه حالهم وحال من تابعهم في دعوتهم الفاسدة التي تهدم دين الإسلام. وقوله: هم من جلدتنا ويتكلمون بألسنتنا إشارة إلى أنهم من العرب، أو ممن يظهرون الإسلام. ووصفهم بأن قلوبهم قلوب الشياطين في جثمان إنس.

قال عياض: المراد بالشر الأول الفتن التي وقعت بعد عثمان والمراد بالخير الذي بعده ما وقع في خلافة عمر بن عبد العزيز وقال غيره، بل هو الاجتماع على معاوية وترك القتال في الفتنة. وفي الحديث الأمر باعتزال الفتن، وهجران البدع وأهلها مع الإنكار لها، ورد الباطل الذي يدعون إليه.

وفيه أن الجماعة قد تكون رجلا واحدًا يعتصم بالسنة ويرد البدعة كما كان من أمر أحمد بن حنبل في فتنة خلق القرآن. [راجع فتح الباري بشرح صحيح البخاري]

والحمد لله رب العالمين

كلمة التحرير

الشرق الأوسط الكبير ومؤامرة أمريكا وإسرائيل

بقلم رئيس التحرير

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده. وبعد:

فإن تداعيات الأحداث النازلة وممارسات الإكراه على ديار المسلمين من قبل أعدائهم ليست وليدة اليوم، إذ الابتلاءُ سنة ماضية، بل الابتلاء ليس قاصرًا على الشرّ وحده إذ يقول تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥].

وليست المصيبة في الابتلاء لكونه سنة ربانية ماضية، وإنما المصيبة في كيفية التعامل السلبي معه إذ المفترض أن يكون موقف المؤمنين منه واضحًا جليًا من خلال الإيمان بأنه من عند الله، ثم الإدراك بأنه وإن كان ظاهره الشرّ إلا أنه قد ينطوي على خيرات كثيرة لمن وفقه الله لاستلهام ذلك، ولا أدلَّ على ذلك من حادثة الإفك الشهيرة التي رُمي فيها عرض سيد ولد آدم بأبي هو وأمّي وصلوات الله وسلامه عليه حيث يقول تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالإِفْكِ عُصْبَةٌ مِنْكُمْ لاَ تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ﴾ [النور:١١].

فالسعيد من الناس من تلمس الأمل وسط هذه الزوابع، والكيِّس الفطن هو من استخرج لطائف المنح وسط لفائف المحن.!!

الاستعمار الأمريكي.. والشرق أوسطية!!

ومع تكشف الوجه القبيح لأمريكا وبعد أن ظهرت للعالم كله الأهداف الخفية لاحتلال العراق، وانكشف المستور وأعلنت أمريكا بكل وضوح أن الهدف هو تقسيم وتفتيت العالم الإسلامي إلى دويلات صغيرة واحتلاله والسيطرة عليه ودحر أي قوة تهدد أمن إسرائيل.

فها هو كولن باول في آخر تصريح له عن العراق والذي قال فيه: «بأن حرب العراق هي الخطوة الأولى لتغيير الشرق الأوسط أو الشرق الأوسط الكبير حسب الرؤيا والمصالح الأمريكية».

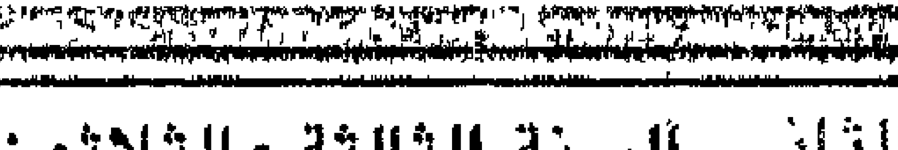
وقد كان رد فعل القيادة السياسية المصرية وتحركها النشط لدحر المؤامرة الأمريكية فيما يسمى بمؤامرة الإصلاح ورفض الرئيس مبارك لأي محاولة تأتي إلى المنطقة بمحاولة زرع وهم الإصلاح والديمقراطية بمثابة الضربة القاصمة التي أفقدت الأمريكان صوابهم وأصابتهم بشلل كبير.

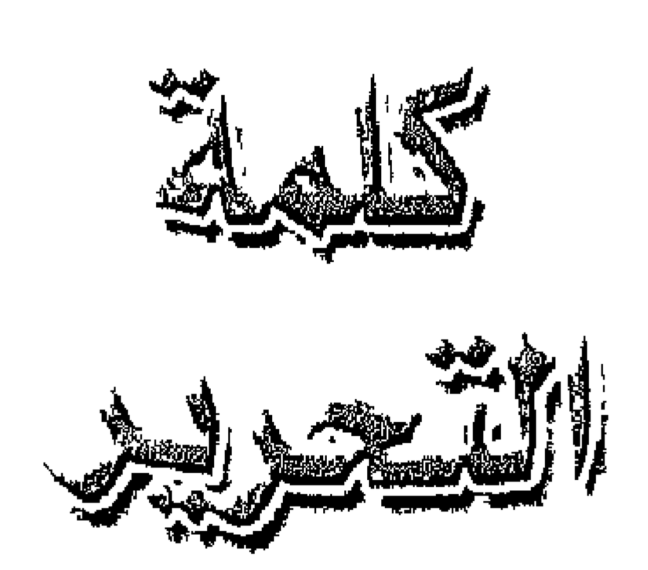
وقد أثارت تحركات الرئيس مبارك الأخيرة وتصريحاته في مواجهة مخطط الشرق الأوسط الكبير حالة من الغضب الشديد في أركان الإدارة الأمريكية حيث سارع نائب الرئيس الأمريكي ديك تشيني إلى تشكيل فريق عمل، ضم كلا من ريتشارد أرميتاج نائب وزير الخارجية الأمريكي وإكيوت واليوت إبرامز عن الأمن القومي الأمريكي، واثنين من مساعدي وزير الخارجية ونحو عشرة من المتخصصين في شئون الشرق الأوسط لإعداد ملفات مهمة لعرضها على قادة دول المنطقة، وبحسب المعلومات فإن هذه الملفات سيتم نقلها إلى قادة بعض الدول العربية قبيل نهاية شهر إبريل المقبل وأن الدول المرشحة هي مصر والسعودية وليبيا والإمارات وتونس واليمن والسودان ولبنان.

وقد شهدت الأيام الأخيرة تصعيدًا أمريكيًا واضحًا في اتجاه فرض مشروع الشرق الأوسط الكبير على المنطقة، وفي هذا الصدد تقدم نحو ٣٠ عضوًا بالكونجرس الأمريكي باقتراحات تقضي بإعداد دستور أو قانون أساسي أمريكي تلتزم به البلاد العربية كأساس نهائي للإصلاح والتطوير.

وتقترح مذكرة أعضاء الكونجرس التي نقلت إلى البيت الأبيض والخارجية الأمريكية أن يتم منح الدول العربية مهلة لا تتجاوز الستة أشهر فقط لتعديل دساتيرها القائمة حاليًا، ووضع دساتير جديدة تكون مقدمة وعنوانًا للإصلاح وأن الشكل الأمثل لدستور الدول العربية يجب أن يتضمن النصوص التالية:

١ - التأكيد على أن نظام الحكم يأخذ بالديمقراطية والتشاور مع كل





القوى والفعاليات الشعبية كأساس لسلطة القرار السياسي.

٢ ـ القبول بالتعددية في الرأي، والتأكيد على إعطاء كل الضمانات السياسية والقانونية اللازمة لتكوين الأحزاب أو تقوية دورها وجعلها تمارس حقها الطبيعي في تداول السلطة، وأن النظم الجمهورية في المنطقة يجب أن تعترف صراحة في دساتيرها بأن حق تداول السلطة بين الأحزاب واجب مقدس، وأنه سيتم تطبيقه من خلال العمل المشترك مع الأصدقاء الدوليين في رفع الوعي السياسي، والمشاركة السياسية لدى الجماهير وتطوير عمل الأحزاب.

وأشارت المذكرة إلى أن التطور الأكثر أهمية هو ما يجب أن تشهده نظم الحكم الملكية في المنطقة، فقد حان الوقت لإدخال إصلاحات جذرية مهمة على نظم الحكم الملكية، بحيث تتحول إلى أسلوب الملكيات الديمقراطية التي تمثلها بريطانيا في النموذج الدولي وهو أن تكون الأسرة المالكة معينة بملكية شرفية في حين تتبارى الأحزاب والجماعات من أجل الفوز بمنصب رئيس الحكومة الذي يجب أن يختاره الشعب وهو الذي يوافق أو يصحح مسارات حكمه، وأن يقتصر دور الملك على مراسم الإعلان عن رئيس الحكومة وأعضائها أو قبول استقالتهم أو التدخل القسري في بعض المسائل العامة وأن الأسر المالكة يجب أن تقبل بالتنازل التدريجي عن امتيازاتها إلى أعضاء الحكومة.

ويشير المشروع الأمريكي إلى أن هذه العملية يمكن أن تستغرق ما بين عامين إلى ثلاثة أعوام حتى يمكن الحديث عن نظم ملكية ديمقراطية في هذه المنطقة.

وتشير المذكرة إلى أن العديد من أنظمة الحكم في المنطقة فرضت الأسلوب الإتحادي القسري على كل أحياء حدود بلادها، مما جعل العديد من الأقليات تعاني من مظالم كبرى، وأن هذه الأقليات تعجز عن ممارسة أي قدر من الذاتية أو الاستقلال، وإلا تعرضت لإجراءات بوليسية قهرية، كما أشارت المذكرة بشكل واضح إلى وضع النصارى في مصر وإلى أوضاع السكان الجنوبيين في السودان وإلى بعض الطوائف في السعودية واليمن ودول أخرى على حد وصف التقرير.

ومن المسائل المهمة التي تضمنتها كذلك مذكرة الكونجرس «الاعتراف بالخصائص الجغرافية لكل دولة بما يؤدي إلى منح استقلال ذاتي محدود لبعض الطوائف والأقليات في إدارة شئونها الداخلية أو في تمثيلها لدى الحكومة أو في تعاونها أو اتصالاتها مع الجهات الخارجية». انتهى.

وبالنظر إلى اقتراح أعضاء الكونجرس الأمريكي فإن الدساتير المقترحة للبلدان العربية يجب أن تتضمن نصوصًا خاصة لأوضاع هذه الطوائف والأقليات على أن تتضمن هذه النصوص ما يلي:

- أن يكون من حق الطوائف والأقليات أن تعبر عن رأيها بصراحة من خلال استفتاءات ديمقراطية حرة تشرف عليها الأمم المتحدة بالاشتراك مع بعض القوى الدولية حول ما إذا كانت تريد الاستمرار في الاندماج في دولها، وأن يكون لها استقلالها الذاتي في داخل هذه الدول.
- الاعتراف الكامل بأن لهذه الأقليات والطوائف كافة الحقوق المقررة للأغلبية بالإضافة إلى حقوق أخرى خاصة تتمثل في حرية العقيدة وممارسة الشعائر الدينية أو طقوس حياتهم اليومية بالشكل الذي يتفق مع مفاهيمهم وأفكارهم.
- عدم التعرض لأي نوع من المضايقات الأمنية أو الإجراءات البوليسية أو العسكرية التي تهدد حقوق هذه الأقليات والطوائف.
- في حال قبول اندماجهم الكامل في مجتمعاتهم الأكبر فإن هذه الطوائف يجب أن تمثل في كل مؤسسات الدولة التشريعية والتنفيذية والقضائية والعسكرية والبوليسية بنسب محددة تتفق مع أعدادهم في داخل هذه المجتمعات حتى يمارسوا حريتهم بالقدر الذي يتفق مع

•• أثارت تحركات الرئيس مبارك وتصريحاته في مواجهة مخطط الشرق الأوسط الكبير حالة من الغضب الشديد في أركان الإدارة الأمريكية!!

خصائصهم.

- الحصول على كل الحقوق الأخرى اللازمة في حال قبولهم بالاستقلال الذاتي المحدود أو الموسع، ولكن في نطاق دولهم أو في إطار أقرب إلى وضعهم الجغرافي.

وترى المذكرة أن الإصلاح الحقيقي في الشرق الأوسط يجب ألا يقتصر على الاعتراف بالتعددية تجاه تعريف مؤسسات الحكم أو طريقة عملها ولكن التعددية المجتمعية التي تمثل الإطار الأوسع لتحقيق الديمقراطية.. وأن هذه التعددية للطوائف والأقليات يمكن حمايتها فعليًا من خلال إنشاء مجالس تشريعية مصغرة، تحدد طبيعة المصالح وأهداف هذه الطوائف والأقليات. مثال ذلك إنشاء برلمان خاص للأقباط، إلا أنه ووفق النموذج الأمريكي المقترح فإن برلمان الأقباط يتم انتخابه من كل الأقباط وأن هؤلاء يعينون فيما بينهم «رئيس برلمان الأقباط، في حين يظل البابا محتفظًا بمكانته كرئيس لحكومة الأقباط في مصر.

ووفق النموذج الأمريكي المقترح الذي أولي اهتمامًا لوضع الأقباط في مصر فإن البابا «رئيس حكومة الأقباط المصرية» بإمكانه أن يتخذ قرارات سياسية مهمة حتى لو أدت هذه القرارات إلى التعارض مع رأي حكومة الأغلبية، كما أن من حقه أن يبرم اتفاقات خارجيه ولكن في إطار التنسيق والتشاور مع حكومة الأغلبية المسلمة!!

الإسلام مصدر من مصادر التشريع!!

كذلك تضمنت مقترحات مذكرة «الوقاحة الأمريكية» أن تأخذ الدول العربية جميعها بمبدأ مشترك وهو «أن الإسلام مصدر من مصادر التشريع دون تعارضه مع كافة المصادر التاريخية الأخرى أو المنتشرة في قوى العالم المتمدين أو مصادر غير تقليدية.

ووفق المذكرة الأمريكية فإن الإسلام لا يجب الاعتراف به في خطة الإصلاح القادمة كمصدر للتشريع بمدلول حكمه أو نهجه السياسي إلا في الشكل الذي لا تتعارض فيه مبادؤه مع جميع أنواع المصادر الأخرى العلمانية والعلمية معًا، وأنه في حال التعارض فإن الغلبة تكون للمصادر الأخيرة ويتم تهميش المبادئ الإسلامية لتكون نهجًا دينيًا فقط.. وحتى في الحالة الأخيرة فإن الرقابة على الإسلام كنهج ديني ستتطابق مع حذف كل المبادئ والأفكار التي تحض على التطرف والعنف أو التي تسبب المزيد من التوتر بفعل أحداث إرهابية.

كل الأعمال التي تتم باسم الدين يجب أن تختفي!!

وتؤكد مذكرة الكونجرس أن كافة الشعائر والشعارات الدينية أو بعض الرموز أو الأعمال الافتتاحية التي تتم باسم الدين يجب أن تختفي من مظاهر ممارسة السلطة لأن فكرة الدين تنبع أساسًا من اقتناع داخلي!! وأن هذا الاقتناع يجب أن يكون في داخل كل فرد، وأن الأفراد ليسوا ملزمين بالإفصاح عنه بين الحين والآخر، وأن كل الأعمال الرسمية الافتتاحية أو الجلسات الرسمية أو المؤتمرات أو الندوات أو كل ما يأخذ نطاق العمل الحكومي والبرلماني والقضائي والعسكري وغيره يجب أن تفتتح باسم الحرية والديمقراطية والشعب، ومبادئ الدولة العليا - ووفق هذا النموذج فإنه لا يجوز مثلا افتتاح جلسات مجلس الشعب بالآية القرآنية التي تقول: ﴿ وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾. أو أن يبدأ رئيس الجمهورية خطابه، أو يختمه بآية قرآنية، بل إن «بسم الله الرحمن الرحيم» تعد رمزًا دينيًا كما ورد في المذكرة الأمريكية وعلى هذا الأساس يجب إلغاء استخدامها وأن يتم استبدالها «باسم الشعب، وباسم الديمقراطية والحرية» وغير ذلك من المعاني اللادينية.

---

* معلوم تاريخيا أن كلمة (قبطي) تطلق على المصريين القدماء قبل نبي الله موسى عليه السلام، وتطلق كلمة أقباط على أصحاب البلاد الأصليين والذين يشملون بكل تأكيد مسلمين ونصارى ، لذا فلا يصح أن نطلق على النصارى وحدهم لقب الأقباط، لأنه لفظ يشترك فيه المسلمون والنصارى. انظر تفسير ابن كثير الآية ١٥ سورة القصص، والبداية والنهاية قصة موسى عليه السلام.

●● القيادة السياسية المصرية أعلنت بوضوح موقفها الرافض لمحاولات فرض الهيمنة الأمريكية، وأن أي نوع من أنواع الإصلاح يجب أن ينبع من داخل الدول العربية والإسلامية، كما رفضت فرض المؤامرات باسم الإصلاح والديمقراطية

كلمة التحرير

•• المذكرة الأمريكية المقترحة تنص على حذف كافة الشعارات الدينية أو الرموز أو الأعمال الافتتاحية التي تتم باسم الدين!!

نظام الانتخاب في تكوين السلطة التشريعية!!

وتقول المذكرة في موضع آخر: «إنه لم يعد من المقبول أن نقبل بأية دولة في المنطقة لا تأخذ بنظام الانتخاب في تكوين سلطتها التشريعية «البرلمان» لأن ذلك يعد من الأمور البديهية والحاكمة لمسيرة الإصلاح في الشرق الأوسط وأن الدول الخليجية تحديدًا ستكون عليها مسئولية أساسية في تطوير أنظمتها البرلمانية ويمكن تكرار «التجربة الكويتية» في كل أرجاء هذه المنطقة.

كما تقترح المذكرة أن تكون القوانين المفصلة للدساتير مؤكدة على الأسس الاسترشادية التي يجب أن يتم التعاون في وضعها مع الدول الصديقة، خاصة الخبراء الأمريكيين الذين عليهم أن يقدموا نماذج عمل وخبرات جديدة من أجل إقناع هذه الدول بتطوير التجارب الديمقراطية في داخل المجتمعات العربية كما تقترح أن يتم إنشاء لجنة في كل برلمان خاصة بحقوق الإنسان على أن يكون لها الحق في رفع تقاريرها إلى العديد من الهيئات الدولية أو إلى إحدى لجان الكونجرس الأمريكي الذي سيسعى إلى بناء نماذج متفردة للتعاون مع هذه اللجان المعنية بوضع حقوق الإنسان!!

ونوهت هذه المذكرة بأن الجانب الأمريكي قد انتهى منذ شهرين من إعداد المذكرة التفصيلية التي تعدت المائة صفحة، وعلى الرغم من السريَّة المطلقة التي يفرضها الجانب الأمريكي على هذه المذكرة السرية بهدف الحصول على موافقة الدول العربية والأوربية أولا على الإطار العام الذي اقترحته الإدارة الأمريكية.

تعقيب

وبعيدًا عن الشعارات التي تحملها المذكرة الأمريكية في شأن الشرق الأوسط الكبير؛ أو مذكرة أعضاء الكونجرس المقدمة في هذا الشأن إلا أن الجميع يدرك أن الشعارات البراقة التي ترفعها واشنطن تحمل في طياتها النوايا الخبيثة، وعلى من يشكك في ذلك عليه أن يراقب السياسة الأمريكية على صعيد التطبيق العملي سواء في العراق أو فلسطين أو في أفغانستان، بل في كل بقعة أرض دنست بأقدام الأمريكان واليهود وتنفيذًا للمؤامرة الكبرى الكاسحة على ديار المسلمين قد أبرزت لنا قضايا خطيرة من أهمها الإعلان الأمريكي عن أنه لن يتوانى لحظة إذا تعرضت مصالح إسرائيل للخطر بل سيرد بعنف شديد ويضرب بيد من حديد على هذه المخاطر، وكذلك إصرار بوش على أنه مبعوث العناية الإلهية لإصلاح الكون.. ويرى أن هذا الإصلاح لن يتأتى إلا بإصلاح منطقة الشرق الأوسط الكبير، والذي يعني منطقة الدول العربية والإسلامية، والأيام القليلة القادمة سوف تضع الأمة الإسلامية على مفترق الطرق.

فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين

أمة الإسلام: وبعد أن استعرضنا الحجم الضخم لما يخططه أعداء الإسلام لأمة الإسلام، وما يقدمونه لها في صورة العسل الذي بداخله السم الزعاف، وهو ما عبر عنه القرآن العظيم في قول الله تعالى: ﴿يرضونكم بأفواههم وتأبى قلوبهم﴾، وقوله: ﴿وما تخفي صدورهم أكبر﴾. على الأمة أن تنتبه لهذه الثوابت:

١ - إن التمسك بالدين والاعتصام بحبل الله المتين والرجوع إلى رب العالمين الذي قال: ﴿فلا تخافوهم وخافون إن كنتم مؤمنين﴾ يجعل كيد هؤلاء الشياطين ضعيف الأثر إن لم يكن معدوما كما قال تعالى: ﴿إن كيد الشيطان كان ضعيفا﴾.

وإذا لم نعتصم بالله ونلجأ إليه بتوبة عامة صادقة فإن بأس الأعداء سيؤثر فينا غاية الأثر ويصبح لكيدهم فعالية عالية كما قال ربنا: ﴿وإن كان مكرهم لتزول منه الجبال﴾.

٢ - أن يكون سلوك المسلمين منطلقا من عقيدة تقول: ﴿وأن الله مع المؤمنين﴾، ﴿وقال الله إني معكم لئن أقمتم الصلاة وآتيتم الزكاة وآمنتم برسلي وعزرتموهم وأقرضتم الله قرضا حسنا..﴾ وأن أعداء الإسلام مهما مكروا فإن ﴿الله أسرع مكرا﴾.

وكما قال تعالى: ﴿ومكروا مكرًا ومكرنا مكرًا وهم لا يشعرون * فانظر كيف كان عاقبة مكرهم أنا دمرناهم وقومهم أجمعين﴾.

وقال: «إنهم يكيدون كيدا وأكيد كيدا فمهل الكافرين أمهلهم رويدا﴾.

فمعية الله تتحقق بعودتنا إليه، فإن لم نعد إليه حاق فينا مكر أعدائنا، فأي خيار تختاره أمة الإسلام؟!!

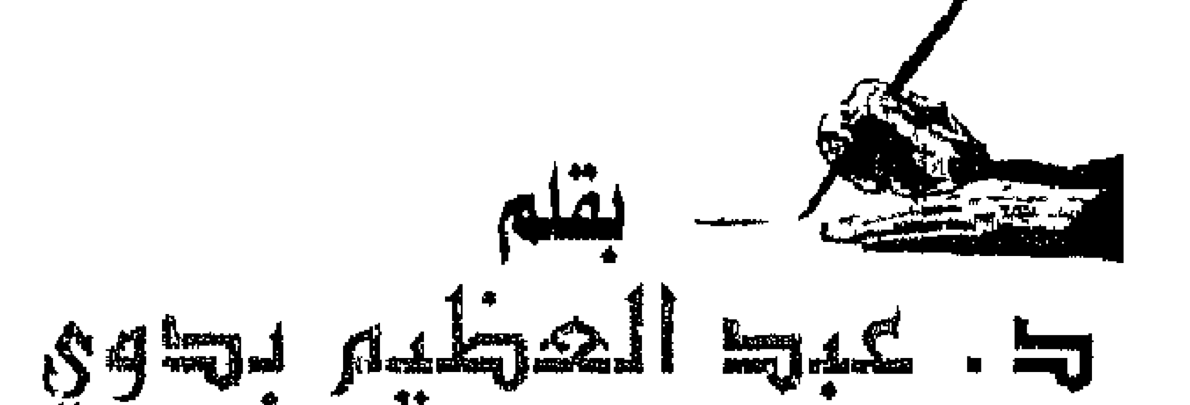
والله غالب على أمره.



سورة التحريم

الحلقة الثانية

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ (٦) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٧) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ نُورُهُمْ يَسْعَى بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ (٨) يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ وَمَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (٩) ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَةَ نُوحٍ وَامْرَأَةَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ (١٠) وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَةَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ (١١) وَمَرْيَمَ ابْنَةَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِنْ رُوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾ [التحريم: ٦- ١٢].



بقلم
د. عبد العظيم بدوي

تفسير الآيات

إنّ واجب المؤمن في بيته كبير، وإنّ مسئوليته عظيمة، «كلكم راعٍ وكلكم مسئولٌ عن رعيته، فالرجل في بيته راعٍ وهو مسئول عن رعيته». ومن واجبه ومسئوليته العملُ على نجاة نفسه وأهله من النار: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، ووقاية النفس تحصل بالقيام بالواجبات وترك المحرمات، ووقاية الأهل تحصلُ بأمرهم بذلك، قال تعالى: ﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا﴾ [طه: ١٣٢]، فأمرهُ أن يقيم الصلاة ويصطبر عليها، وأن يأمرَ أهله بها، وقال النبيّ ﷺ: «مُرُوا أولادكم بالصلاة وهم أبناءُ سبع سنين، واضربوهم عليها وهم أبناءُ عشر، وفرّقوا بينهم في المضاجع».

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبِهِنَّ ذَلِكَ أَدْنَى أَنْ يُعْرَفْنَ فَلَا يُؤْذَيْنَ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٩]. فأمر اللهُ نبيه أن يأمر نساء المؤمنين أن يدنين عليهنّ من جلابيبهن، ولكن بعد أمرهِ أزواجه وبناته.

وقوله تعالى: ﴿وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾ مبهم، فسّره قولُه تعالى للكافرين: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٨]. فعُلِمَ أن المرادَ بالناس الكافرون، وأنّ المرادَ بالحجارةِ الأصنامُ والأوثان التي عبدها الكافرون من دون الله.

وقوله تعالى: ﴿عَلَيْهَا مَلَائِكَةٌ غِلَاظٌ شِدَادٌ﴾ المراد زبانيةُ جهنمَ، وهم القائمون على أمرها من الملائكة، وقد وصفهم الله بأنهم «غلاظ» أي:

طباعهم غليظة، قد نُزعتْ من قلوبهم الرحمةُ بالكافرين بالله، «شداد» أي تركيبُهم في غاية الشدّة والكثافة والمنظر المزعج. ﴿لَا يَعْصُونَ اللَّهَ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ أي مهما أمرهم به تعالى يبادرون إليه، لا يتأخرون عنه طرفة عين، وهم قادرون على فعله، ليس لهم عَجْزٌ عنه. وهذا كلّه تعظيمٌ للنّار وتفخيمٌ لشأنها، حتى ينفر المؤمنون عن كل ما يقرّب منها، ويستجيبوا لربّهم حيث أمرهم أن يقوا أنفسهم وأهليهم إيّاها. وقد كثر في القرآن الكريم تعظيمُ النّار وتفخيم شأنها، من ذلك قوله تعالى: ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ (٨) فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ (٩) وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ (١٠) نَارٌ حَامِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨- ١١]، وقوله تعالى: ﴿وَيْلٌ لِكُلِّ هُمَزَةٍ لُمَزَةٍ (١) الَّذِي جَمَعَ مَالاً وَعَدَّدَهُ (٢) يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ (٣) كَلاَّ لَيُنْبَذَنَّ فِي الْحُطَمَةِ (٤) وَمَا أَدْرَاكَ مَا الْحُطَمَةُ (٥) نَارُ اللَّهِ الْمُوقَدَةُ (٦) الَّتِي تَطَّلِعُ عَلَى الأَفْئِدَةِ (٧) إِنَّهَا عَلَيْهِمْ مُؤْصَدَةٌ (٨) فِي عَمَدٍ مُمَدَّدَةٍ﴾ [الهمزة: ١-٩]. وقوله تعالى: ﴿وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَاهُمْ سَعِيرًا﴾ [الإسراء: ٩٧].

كما عظم النبي ﷺ شأن النار تخويفًا للناس منها، فقال النبي ﷺ: «يُؤتى يومئذ بجهنم، لها سبعون ألف زمام، مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها». وقال ﷺ: «إنّ ناركم هذه التي تُوقدُون جزءٌ من سبعين جزءًا من نار جهنم». قالوا: والله إنْ كانت لكافية يا رسولَ الله. قال: «فإنها فُضّلت عليها بتسعةٍ وستين جزءًا، كُلها مثل حرّها».

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: كنّا مع رسول الله ﷺ إذ سمع وجبةً، فقال: أتدرون ما هذا؟ قلنا: اللهُ ورسوله أعلم. قال: هذا حجرٌ رُمي به في النار منذ سبعين خريفًا، فهو يهوي في النار الآن حيث انتهى إلى قعرها.

فعلى العاقل أن يُعظم ما عظّم الله ورسولُه، وألا يألوا جهدًا في العمل على وقاية نفسه وأهله من هذه النار التي قال تعالى: ﴿فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ﴾ [آل عمران: ١٨٥]، وعليه أنْ يكون مع أهله كالحارس الأمين، لا يغفل ولا ينام، يأمرهم وينهاهم، إنْ رأى منهم خيرًا شكَرَه لهم وأثابهم، وإنْ رأى غير ذلك عاقبهم. لا يسمح لولدٍ بالسهر بعد العشاء خارج البيت، ولا يسمحُ لبنت بالتبرّج والسفور، إن غاب عنهم وصّاهم بتقوى الله، وإن عاد إليهم سألهم عن الصلاة. فمن فعل ذلك فـ ﴿أُولَئِكَ لَهُمْ عُقْبَى الدَّارِ (٢٢) جَنَّاتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبَائِهِمْ وَأَزْوَاجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَالْمَلائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِمْ مِنْ كُلِّ بَابٍ (٢٣) سَلامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَى الدَّارِ﴾ [الرعد: ٢٣، ٢٤].

وقوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ كَفَرُوا لاَ تَعْتَذِرُوا الْيَوْمَ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [غافر: ٥٢]. وقول النبي ﷺ: «أعذر اللهُ إلى امرئ أخّر أجلَه حتى بلغ ستين سنة». ولذا إذا دخل أهلُ النّار النارَ، وذاقوا مَسَّ سقر، سألوا العودة إلى الدنيا ليتداركوا ما فاتهم من العمل الصالح، فقيل لهم: ﴿أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ وَجَاءَكُمُ النَّذِيرُ فَذُوقُوا فَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ نَصِيرٍ﴾ [فاطر: ٣٧].

وهذا النداء للكافرين قد جاء بين نداءين للمؤمنين: الأول: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنْفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾، والثاني: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾، وكأن الله يقول للمؤمنين: بادروا إلى العمل على وقاية أنفسكم وأهليكم من النار، وخلّصوا أنفسكم من الأوزار من قبل أن يأتي يومٌ لا تُقْبَل فيه الأعذار. فكأنّهم قالوا: وما السبيل إلى ذلك؟ فقيل لهم: ﴿تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ فإن التوبة تجبّ ما قبلها. وللتوبة النصوح شروط:

الأول: الإقلاعُ عن الذنب، فتخلع نفسَك من الذنب كما تخلع الثوب عن بدنك. فلا يصلح أن تقول تُبْتُ إلى الله وأنت متلبس بالذنب. لا يصلح- مثلاً- أن تقول تبتُ إلى الله من الربا، وأموالُك كلّها في البنك. يجبُ أن تأخذ رأسَ مالك وتترك الربا، وتسدد حساباتك ثم تقول تبتُ إلى الله.

الثاني: الندمُ على ما فات بأن تتحسّر على ما فرّطت في جنب الله.

الثالث: العزمُ على ألا تعود إلى هذا الذنب أبدًا.

فإذا كان الذنبُ متعلقًا بحقوق الآدميين، فإن كان حقًا ماليًا رددته، وإن كان غير ذلك استسمحتهم، إذا لم يترتب على ذلك مفسدة، فإن خشيت المفسدة فاكثر لهم من الدعاء والاستغفار، وأكثر من الأعمال الصالحة، حتى إذا استُوفيت الحقوقُ من حسناتك بقي لك منها ما يُدْخِلُك الجنة، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «مَن كانت عنده مظلمةٌ لأخيه مِنْ عرض أو شيء، فليتحلله منه اليوم، من قبل أن لا يكون دينارٌ ولا درهمٌ، إن كان له عملٌ صالح أُخذ منه بقدر مظلمته، وإن لم يكن له حسناتٌ أُخذ من سيئات صاحبه فحُمل عليه».

وعنه قال: قال رسول الله ﷺ: «أتدرون ما المفلس؟» قالوا: المفلسُ فينا من لا درهمَ له ولا متاع، قال: «إنّ المفلس مَن يأتي يوم القيامة بصلاةٍ وصيامٍ وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مالَ

هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإن فنيت حسناته قبل أن يُقضى ما عليه أُخذ من خطاياهم فطُرِحت عليه، ثم يُطْرَحُ في النار».

وقوله تعالى: ﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾: أي توبوا إلى الله توبة نصوحًا، عسى ربكم أن يكفّر عنكم من سيئاتكم... إلخ، وعسى من الله موجبةٌ، فهو وَعدٌ من الله للتائبين أن يغفر لهم ما مضى من ذنوبهم، وأن يدخلهم جنات تجري من تحتها الأنهار.

وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ لَا يُخْزِي اللَّهُ النَّبِيَّ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ﴾ أي: لا يعذّبهم في النار؛ لأن من عذّبه فقد أخزاه، ولذا كان من دعاء أولي الألباب: ﴿الَّذِينَ يَذْكُرُونَ اللَّهَ قِيَامًا وَقُعُودًا وَعَلَىٰ جُنُوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَٰذَا بَاطِلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ (١٩١) رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [آل عمران: ١٩١، ١٩٢]. وقوله تعالى: ﴿نُورُهُمْ يَسْعَىٰ بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَبِأَيْمَانِهِمْ﴾ يعني على قدر أعمالهم، يسعى نورهم بين أيديهم وهم يمرون على الصراط، منهم مَن نُوره مثل الجبل، ومنهم مَن نوره مثل النخلة، ومنهم مَن نوره مثل الرَّجُل القائم، وأدناهم نورًا مَن نُوره في إبهامه، يتقد مرةً، ويُطْفَأ مرة. وقد سبق في سورة الحديد أنّ كل واحد من هذه الأمة يُعطى نورًا يوم القيامة، ثم يمرون على الصراط، فبينما المؤمنون الصادقون متقدّمون يسعى نورهم بين أيديهم، والمنافقون وراءهم، يسعى نورهم أيضًا، فبينما كذلك، إذْ أُطْفِئَ نورُ المنافقين، فخاف المؤمنون على أنفسهم فتوجّهوا إلى الله بالدعاء: ﴿رَبَّنَا أَتْمِمْ لَنَا نُورَنَا وَاغْفِرْ لَنَا إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾.

قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ﴾: يأمر تعالى نبيّه ﷺ بجهاد الكفار والمنافقين، وجهادُ الكفار أخصّ باليد، وجهادُ المنافقين أخصّ باللسان. ويأمرهم أن يغلظ عليهم في الدنيا ﴿وَمَأْوَاهُمْ﴾ جميعًا ﴿النَّارُ﴾، كما قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ جَامِعُ الْمُنَافِقِينَ وَالْكَافِرِينَ فِي جَهَنَّمَ جَمِيعًا﴾، والمنافقون أشدّ عذابًا من الكافرين، ولذا كانوا تحتهم في النار، والنّار كلما نزلت دركاتُها اشتد عذابها، قال تعالى: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَنْ تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾، ﴿وَبِئْسَ الْمَصِيرُ﴾ النار.

قوله تعالى: ﴿ضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ كَفَرُوا امْرَأَتَ نُوحٍ وَامْرَأَتَ لُوطٍ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَالِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ اللَّهِ شَيْئًا وَقِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾ هذا مثلٌ ضربه اللهُ لنساء النبي ﷺ وغيرهنّ ممن يخالطن الأنبياء والصالحين ليعلموا جميعًا أن القُرب من الأنبياء والصالحين، بل القرابةُ لا تنفعُ شيئًا إذا لم يكن ثمّ إيمانٌ وعملٌ صالح، فها هي امرأةُ نوح وامرأةُ لوط لما خانتاهما لم يغنيا عنهما من الله شيئًا، وقيل ﴿ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾. والمراد بخيانتهما أنهما لم يوافقاهما على الإيمان، ولم يصدّقاهما في الرسالة ويخطئ من يظن أن خيانتهما كانت في الفاحشة، مستدلاً على ظنّه بقول الله تعالى لنوح عليه السلام وقد قال: ﴿رَبِّ إِنَّ ابْنِي مِنْ أَهْلِي وَإِنَّ وَعْدَكَ الْحَقُّ وَأَنْتَ أَحْكَمُ الْحَاكِمِينَ (٤٥) قَالَ يَا نُوحُ إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾ [هود: ٤٥، ٤٦]، وهذا استدلالٌ باطل؛ لأنّ الله لم يَقُل: إنه ليس ولدك، أوْ ليسَ من أولادك، وإنما قال: ﴿لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ﴾ أي الذين وعدتُك بنجاتهم معك، وأهلُه عليه السلام هم مَنْ آمن معه، وابنُ نوح هذا لم يؤمن، فلم يكن من أهله الذين نجّاهم الله معه. ولذا قال ابنُ عباس رضي الله عنهما في هذه الآية ﴿فَخَانَتَاهُمَا﴾ قال: مازنتا، أما خيانةُ امرأةِ نوح فكانت تخبر أنه مجنون، وأما خيانة امرأة لوط فكانت تدلّ قومَها على أضيافه، وقال أيضًا: ما بغت امرأة نبيٍّ قط، وإنما كانت خيانتُهما في الدين، وما كان الله ليقرّ في بيت نبيٍّ بغيًا، ولو كان شيء من ذلك لأطلع اللهُ نبيه عليه، ولا سيما والوحي ينزل عليه صباحًا ومساء.

قوله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا لِلَّذِينَ آمَنُوا امْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ابْنِ لِي عِنْدَكَ بَيْتًا فِي الْجَنَّةِ وَنَجِّنِي مِنْ فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِ وَنَجِّنِي مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ﴾. هذا مثلٌ ضربه اللهُ تعالى للمؤمنين أنهم لا تضرّهم مخالطةُ الكافرين.

قال قتادة: كان فرعون أعتى أهل الأرض وأكفرهم، فوالله ما ضرّ امرأته كفر زوجها حين أطاعت ربّها، ليعلموا أنّ الله تعالى حَكَمٌ عَدل، لا يؤاخذُ أحدًا إلا بذنبه، فكما أنّ الزوجاتِ الكافراتِ لم ينفعهن إيمانُ أزواجهنّ، كذلك الزوجاتُ المؤمناتُ لا يضرهنّ كفر أزواجهن. وأما من لا زوج لها فلا ينقص ذلك من أجرها، ولا يحطّ من قدرها، ولهذا قال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ أي: حفظته وصانته ﴿فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا﴾ بواسطة جبريل عليه السلام، وقد تمثّل لها بشرًا سويًا: ﴿قَالَتْ إِنِّي أَعُوذُ بِالرَّحْمَٰنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ تَقِيًّا (١٨) قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِأَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا (١٩) قَالَتْ أَنَّىٰ يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمْسَسْنِي بَشَرٌ وَلَمْ

أَلُ بَغِيًّا (٢٠) قَالَ كَذَٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَيَّ هَيِّنٌ وَلِنَجْعَلَهُ آيَةً لِلنَّاسِ وَرَحْمَةً مِنَّا وَكَانَ أَمْرًا مَقْضِيًّا ﴾ [مريم: ١٨- ٢١]، ﴿وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ ﴾ أي بقدره وشرعه ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾.

وقد ثبت في الصحيحين في فضل آسية امرأة فرعون ومريم ابنة عمران قولُ النبي ﷺ: «كَمُلَ من الرجال كثيرٌ، ولم يكملْ من النساء إلا آسية امرأةُ فرعون، مريم ابنة عمران، وخديجة بنت خويلد».

قال ابن القيم رحمه الله في كتابه القيم «أعلام الموقعين» (١/١٨٨): فاشتملت هذه الآيات على ثلاثة أمثال: مثلٍ للكافرين، ومثلَيْن للمؤمنين، فتضمّن مثل الكفّار: أنّ الكافرَ يعاقب على كفره وعدواته لله ورسوله وأوليائه، ولا ينفعه مع كفره ما كان بينه وبين المؤمنين لحمه نسب، أو وَصلةِ صهر أو سبب من أسباب الاتصال، فإن الأسباب كلها تنقطعُ يوم القيامة إلا ما كان منها متصلاً بالله وحده على أيدي رسله، فلو نفعتْ وصلة القرابة والمصاهرة أو النكاح مع عدم الإيمان لنفعتْ الوصلةُ التي كانت بين لوط ونوح وامرأتيهما، فلمّا لم يغنيا عنهما من الله شيئًا ﴿قِيلَ ادْخُلَا النَّارَ مَعَ الدَّاخِلِينَ﴾، فقطعت الآية حينئذ طَمَعَ مَن ركب معصية الله وخالفَ أمره، ورجا أن ينفعه صلاحُ غيره من قريب أو أجنبي، ولو كان بينهما في الدنيا أشدُّ الاتصال، فلا اتصال فوق اتصال النبوة والأبوة والزوجية، ولم يغنِ نوحٌ عن ابنه، ولا إبراهيمُ عن أبيه، ولا نوحٌ ولا لوطٌ عن امرأتيْهما من الله شيئًا، قال الله تعالى: ﴿ لَنْ تَنْفَعَكُمْ أَرْحَامُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَفْصِلُ بَيْنَكُمْ ﴾ [الممتحنة: ١]، وقال تعالى: ﴿يَوْمَ لَا تَمْلِكُ نَفْسٌ لِنَفْسٍ شَيْئًا ﴾ [الانفطار: ١٩]، وقال تعالى: ﴿ وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا ﴾ [البقرة: ٤٨]. وقال: ﴿وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ ﴾ [لقمان: ٣٣]. وهذا كلّه تكذيبٌ لأطماع المشركين الباطلة أنّ مَنْ تعلّقوا به من دون الله من قرابةٍ أو صهر أو نكاح أو صحبةٍ ينفعهم يوم القيامة، أو يجيرُهم من عذاب الله، أو هو يشفعُ لهم عند الله، وهذا أصلُ ضلال بني آدم وشركهم، وهو الشرك الذي لا يغفره الله، وهو الذي بعث اللهُ جميع رسله وأنزل جميع كتبه بإبطاله، ومحاربة أهله ومعاداتهم. وأما المثلان اللذان للمؤمنين: فأحدُهما: امرأةُ فرعون، ووجهُ المثل أنّ اتصالَ المؤمنِ بالكافر لا يضرّه شيئًا إذا فارقه في كفره وعمله، فمعصيةُ الغير لا تضر المؤمن المطيعَ شيئًا في الآخرة، وإن تضرّ ربها في الدنيا بسبب العقوبة التي تحلّ بأهل الأرض إذا أضاعوا أمر الله، فتأتي عامة. فلم يضرّ امرأة فرعون اتصالُها به وهو من أكفر الكافرين ولم ينفع امرأة نوحٍ ولوطٍ اتصالُهما بهما وهما رسولا ربّ العالمين.

المثل الثاني للمؤمنين: مريم التي لا زوج لها، لا مؤمن ولا كافر.

فذكر ثلاثة أنصافٍ من النساء: المرأة الكافرةُ التي لها وصلةٌ بالرجلِ الصالح، والمرأةُ الصالحةُ التي لها وصلةٌ بالرجلِ الكافرِ، والمرأةُ الغَرب التي لا وصلةَ لها بينها وبين أحدٍ. فالأولى: لا تنفعُها وصلتُها وسببُها. والثانيةُ: لا تضرُّها وصلتُها وسببُها. والثالثةُ: لا يضرّها عدمُ الوصلةِ شيئًا.

ثم في هذه الأمثالِ من الأسرار البديعة ما يناسب سياق السورة، فإنّها سيقيت في ذِكْرِ أزواج النبي ﷺ، والتحذير من تظاهرهنّ عليه، وأنهنّ إن لم يطعن الله ورسوله ويردن الدار الآخرة لم ينفعهن اتصالهن برسول الله ﷺ، كما لم ينفع امرأةَ نوحٍ ولوطٍ اتصالُهما بهما، ولهذا إنما ضرب في هذه السورة مثل اتصالِ النكاح دون القرابة.

قال يحيى بن سلّام: ضرب اللهُ المثل الأوّل يحذّر عائشةَ وحفصة، ثم ضرب لها المثل الثاني يحرّضها على التمسك بالطاعة.

وفي ضرب المثل للمؤمنين بمريم أيضًا اعتبارٌ آخر، وهو أنها لم يضرّها عند الله شيئًا قذفُ أعداءِ الله اليهود لها، ونسبتهم إياها وابنها إلى ما برّأهما الله عنه، مع كونها الصديقة الكبرى، المصطفاة على نساء العالمين، فلا يضرّ الرجلَ الصالحَ قذفُ الفجار والفسّاق فيه. وفي هذا تسليةٌ لعائشة أم المؤمنين إن كانت السورة نزلت بعد قصّة الإفك، وتوطين نفسها على ما قال فيها الكاذبون إن كانت قبلها. كما في ذكر التمثيل بامرأة نوح ولوط تحذير لها ولحفصة مما اعتمدناه في حقّ النبي ﷺ، فتضمنت هذه الأمثالُ التحذير لهن والتخويفَ، والتحريض لهن على الطاعة، والتوحيد، والتسلية، وتوطين النفس لمن أوذي منهن وكذب عليه، وأسرار التنزيل فوق هذا وأجلّ منه، ولا سيما أسرار الأمثال التي لا يعقلها إلا العالمون. اهـ.

والحمد لله رب العالمين



زمن الفتن وذهاب الأمانة

الحمد لله وحده، والصلاة والسلام على من لا نبي بعده نبينا محمد وآله وصحبه ومن اهتدى بهديه واستن بسنته إلى يوم الدين... وبعد:

عن حذيفة قال: حدثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم حديثين رأيت أحدهما، وأنا أنتظر الآخر، حدثنا أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال، ثم علموا من القرآن، ثم علموا من السنة، وحدثنا عن رفعها قال: «ينام الرجل النومة فتقبض الأمانة من قلبه فيظل أثرها مثل أثر الوكت، ثم ينام النومة فتقبض فيبقى أثرها مثل المَجْلِ كجمر دحرجته على رجلك فنفط، فتراه منتبرًا وليس فيه شيء فيصبح الناس يتبايعون فلا يكاد أحدهم يؤدي الأمانة، فيقال: إن في بني فلانٍ رجلاً أمينًا، ويقال للرجل: ما أعقلَهُ وما أظرفَهُ وما أجلدَهُ وما في قلبه مثقال حبة خردل من إيمان، ولقد أتى عليَّ زمانٌ وما أبالي أيكم بايعت، لئن كان مسلمًا ردَّه عليَّ الإسلام، وإن كان نصرانيًا ردَّهُ عليَّ ساعيه، فأما اليوم فما كنت أبايع إلا فلانًا وفلانًا».



بقلم / زكريا الحسيني

هذا الحديث أخرجه الإمام البخاري في صحيحه واللفظ له في ثلاثة مواضع؛ الموضع الأول في كتاب الرقاق باب «رفع الأمانة» برقم (٦٤٩٦)، والموضع الثاني في كتاب الفتن باب «إذا بقي في حثالة من الناس» برقم (٧٠٨٦) والثالث في كتاب الاعتصام باب «الاقتداء بسنن رسول الله ﷺ» برقم (٧٢٧٦) مختصرًا.

كما أخرجه الإمام مسلم في كتاب الإيمان باب «رفع الأمانة والإيمان من بعض القلوب وعرض الفتن على القلوب» برقم (٣٦٧)، وأخرجه ابن ماجه في أبواب الفتن باب «ذهاب الأمانة» برقم (٤٠٥٣)، وأخرجه الإمام أحمد في مسنده برقم (٥/٣٨٣) كما في المعجم.

راوي الحديث:

هو الصحابي الجليل حذيفة بن اليمان، وهوحذيفة بن حُسَيْلٍ، ويقال: حِسْلُ بن جابر بن أسيد بن عمرو بن مالك، ويقال: حذيفة بن اليمان بن جابر بن عمرو، صاحب سرِّ رسول الله ﷺ. قال المزي في تهذيب الكمال: شهد مع رسول الله ﷺ أُحُدًا هو وأبوه، وقُتِل أبوه يومئذ، قتله المسلمون خطأ، أرادا أن يشهدا بدرًا فاستحلفهما المشركون أن لا يشهدا مع النبي ﷺ فحلفا لهم، ثم سألا النبي ﷺ فقال ﷺ: «انصرفا، نفي لهم بعهدهم ونستعين الله عليهم». رواه مسلم. وهذا والله نعم التوجيه من رسول الله ﷺ، ونعم الوفاء، مع انه مع المشركين، لكن المسلم إذا عاهد عهدًا، أو ميثاقًا وجب عليه الوفاء به حتى مع المشركين فضلاً عن العصاة والفساق، فكيف بالمتقين المطيعين.

كما ذكر المزي رحمه الله تعالى بسنده عن صلة بن زُفَر قال: قلنا لحذيفة: كيف عرفت أمر المنافقين ولم يعرفه أحد من أصحاب النبي ﷺ أبو بكر ولا عمر؟ قال: إني كنت أسير خلف رسول الله ﷺ فنام

على راحلته، فسمعت ناسًا منهم يقولون: لو طرحناه عن راحلته فاندقت عنقه فاسترحنا منه، فسرت بينهم وبينه، وجعلت أقرأ وأرفع صوتي فانتبه النبي ﷺ فقال: «من هذا؟» قلت: حذيفة، قال: «من أولئك؟» قلت: فلان وفلان حتى عددتهم، قال: «أو سمعت ما قالوا؟» قلت: نعم، ولذلك سرت بينك وبينهم، قال: «فإن هؤلاء فلانًا وفلانًا- حتى عد أسماءهم- منافقون، لا تخبرنَّ أحدًا».

شرح الحديث:

قال الإمام النووي: قول حذيفة رضي الله عنه: حدثنا رسول الله ﷺ حديثين: معناه: حدثنا حديثين في الأمانة، وإلا فروايات حذيفة كثيرة في الصحيحين وغيرهما. وأما الأمانة فهي كل ما افترض الله تعالى على عباده من كلمة التوحيد ومن الصلاة والزكاة وأداء الدَّيْن، وآكد الأمانة الودائع وآكد الودائع كتم الأسرار، وقد قيل إن الأمانة تشتمل على ثلاثة عناصر:

١- عفة الأمين عما ليس له بحق.

٢- تأدية الأمين ما يجب عليه من حق لغيره.

٣- اهتمام الأمين بحفظ ما استؤمن عليه، وعدم التفريط بالأمانة أو التهاون بشأنها.

وقد بيّن بعض العلماء أن للأمانة مجالات تشمل نواحي الحياة كلها ومن ذلك أنها تدخل في الدين والعرض والمال والأجساد والأرواح والمعارف والعلوم والولاية والوصاية والشهادة والقضاء والكتابة ونقل الحديث والأسرار، والحواس كلها. إلخ ذلك.

ولقد نقل ابن الجوزي رحمه الله عن بعض المفسرين أن الأمانة جاءت في القرآن الكريم على ثلاثة معان: أحدها الفرائض كما في قوله تعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ ﴾ [الأنفال: ٢٧].

والثاني الوديعة، ومن ذلك قوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَنْ تُؤَدُّوا الأَمَانَاتِ إِلَى أَهْلِهَا ﴾ [النساء: ٥٨].

والثالث: العفة والصيانة كما في قوله تعالى: ﴿ إِنَّ خَيْرَ مَنِ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوِيُّ الأَمِينُ ﴾ [القصص: ٢٦].

والأمانة من أبرز وأعظم أخلاق الرسل وصفاتهم عليهم الصلاة والسلام، فنوح وهود وصالح وشعيب ولوط كل واحد منهم قال لقومه: ﴿ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴾ كما ورد في سورة الشعراء.

ورسولنا محمد ﷺ كان مشهورًا بين قومه- قبل الرسالة وبعدها- بأنه الأمين، حتى إن الناس كانوا- يختارونه لحفظ ودائعهم عنده، فلما هاجر ﷺ وَكَلَ أمرَ ردِّ الأمانات إلى ابن عمه علي بن أبي طالب رضي الله عنه فردها إلى أصحابها.

وجبريل عليه السلام- أمين الوحي قال تعالى: ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الأَمِينُ (١٩٣) عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنْذِرِينَ ﴾، وأما الخيانة- وهي ضد الأمانة- فإنها من صفات المنافقين، فقد ثبت من حديث أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: «آية المنافق ثلاث؛ إذا حدث كذب، وإذا وعد أخلف وإذا اؤتمن خان». متفق عليه، وكذا ثبت عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «أربع من كن فيه كان منافقًا خالصًا، ومن كانت فيه خصلة منهن كانت فيه خصلة من النفاق حتى يدعها؛ إذا اؤتمن خان، وإذا حدث كذب، وإذا عاهد غدر، وإذا خاصم فجر». متفق عليه واللفظ للبخاري.

الأمانة هي عين الإيمان، فإذا استمكنت
الإيمان يزول عن القلوب شيئًا
لن يَصلح الزمان إلا بأهله

وقول حذيفة: «أن الأمانة نزلت في جذر قلوب الرجال» قال النووي: أما الجذر فهو بفتح الجيم وكسرها لغتان وهو الأصل. ونقل عن صاحب التحرير قوله: الأمانة في الحديث هي الأمانة المذكورة في قوله تعالى: ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا الأَمَانَةَ عَلَى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَالْجِبَالِ ﴾ الآية، وهي عين الإيمان، فإذا استمكنت من قلب العبد قام حينئذ بأداء التكاليف واغتنم ما يرد عليه منها وجَدَّ في إقامتها، والله أعلم.

قوله عليه الصلاة والسلام: «فيظل أثرها مثل الوَكْت» هو بفتح الواو وسكون الكاف وبالتاء المثناة، وهو الأثر اليسير، وقيل هو سواد يسير أو لون يحدث مخالفًا للون الجلد الذي كان قبله. قال النووي: وأما «المَجْل» فبفتح الميم وسكون الجيم وفتحها لغتان، والمشهور الإسكان، يقال منه: مَجِلَتْ تَمْجَلُ، ومَجَلَتْ تَمْجُلُ، والمصدر في الأول بفتح الجيم

من قلب العبد جدّ في إقامة التكاليف

فشيئًا حتى يشتد ظلام القلب

ولن يُصلح الناس إلا الأمانة

وفي الثاني بإسكانها، قال أهل اللغة: المجل هو التنفط الذي يصير في اليد من أثر العمل بفأس أو نحوها ويصير كالقبة فيه ماء قليل.

قوله: «كجمر دحرجته على رجلك فنفط فتراه منتبرًا وليس فيه شيء» الجمر معروف، وكذلك الدحرجة معروفة أيضًا، وأما نَفِط بفتح النون وكسر الفاء، ويقال أيضًا تنفط بمعناه أي انتفخ، ومنتبرًا أي مرتفعًا، والانتبار الارتفاع ومنه أُخِذَ المنبر لارتفاعه وارتفاع الخطيب عليه.

وفي رواية مسلم وابن ماجه: «ثم أخذ حصى فدحرجه على رجله» أي أن حذيفة رضي الله عنه أخذ حصى فدحرجه على رجله شارحًا لمن يسمعونه ويحضرون مجلسه بطريقة عملية صورة دحرجة الجمر على الرجل.

نقل النووي عن صاحب التحرير قوله: معنى الحديث أن الأمانة تزول عن القلوب شيئًا فشيئًا، فإذا زال أول جزء منها زال نورها وخلفته ظلمة كالوكت وهو اعتراض لون مخالف للون الذي قبله، فإذا زال شيء آخر صار كالمجل وهو أثر محكم لا يكاد يزول إلا بعد مدة، وهذه الظلمة فوق التي قبلها، ثم شبه زوال ذلك النور بعد وقوعه في القلب وخروجه بعد استقراره فيه واعتقاب الظلمة إياه بدحرجه على رجله حتى يؤثر فيها، ثم يزول الجمر ويبقى التنفط.

قوله: «ولقد أتى عليَّ زمان وما أبالي أيكم بايعت لئن كان مسلمًا ردَّه عليَّ الإسلام، ولئن كان نصرانيًا رده عليَّ ساعيه، فأما اليوم فما كنت لأبايع إلا فلانًا وفلانًا».

فمعنى المبايعة هنا كما قال النووي وغيره من العلماء: البيع والشراء المعروفان، ومراده: أني كنت أعلم أن الأمانة لم تنزع ولم ترتفع وأن في الناس وفاءً بالعهود، فكنت أُقْدِمُ على التعامل والتبايع مع من شئت غير باحث عن حاله وأمانته وثوقًا بالناس وأمانتهم، فإنه إن كان مسلمًا فدينه وأمانته تمنعه من الخيانة وتحمله على أداء الأمانة، وإن كان كافرًا فساعيه وهو الوالي عليه كان أيضًا يقوم بالأمانة في ولايته فيستخرج حقي منه، وأما اليوم فقد ذهبت الأمانة فما بقي لي وثوق بمن أبايعه ولا بالساعي في أدائهما الأمانة فما أبايع إلا فلانًا وفلانًا، يعني أفرادًا من الناس أعرفهم وأثق بهم.

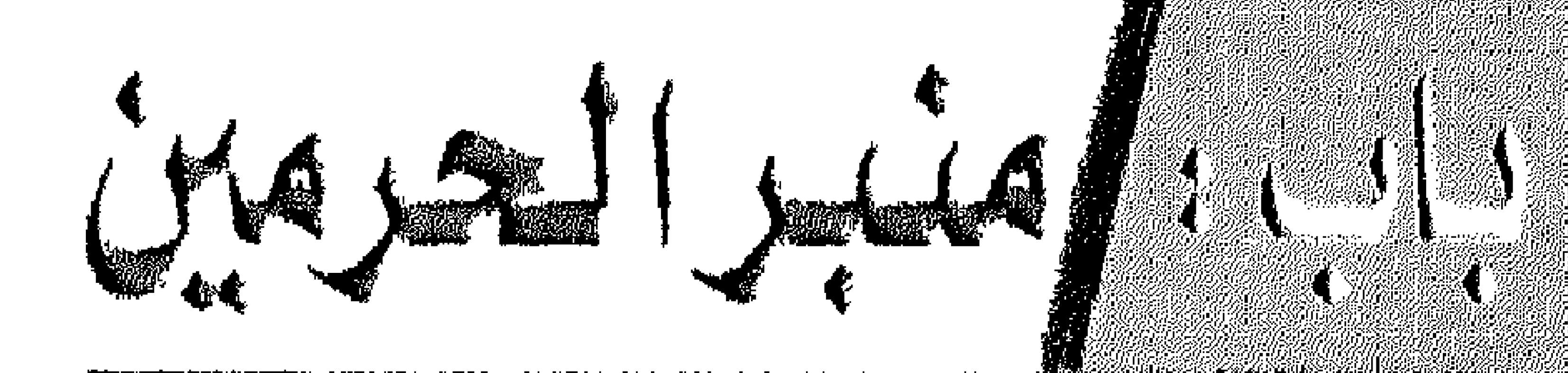
ثم نقل النووي عن صاحب التحرير والقاضي عياض رحمهما الله تعالى قولهما: وحمل بعض العلماء المبايعة هنا على بيعة الخلافة وغيرها من المعاقدة والتحالف في أمور الدين، قالا: وهذا خطأ من قائله ففي هذا الحديث مواضع تبطل قوله، منها قوله: ولئن كان نصرانيًا (أو يهوديًا) كما في رواية مسلم، ومعلوم أن النصراني واليهودي لا يُعَاقَدُ على شيء من أمور الدين. والله أعلم.

وإذا كان هذا في زمان حذيفة رضي الله عنه- في خير القرون- فماذا يقال في زماننا هذا الذي بلا شك هو شر مما قبله، وهذا آخر الزمان عند اقتراب الساعة، وقد ضيعت الأمانة، كما ثبت من حديث أبي هريرة أن النبي ﷺ قال للأعرابي الذي سأله عن الساعة قال له: «إذا ضُيِّعت الأمانة فانتظر الساعة»، قال الأعرابي: كيف إضاعتها؟ قال: «إذا وسد الأمر إلى غير أهله فانتظر الساعة». أخرجه البخاري.

فأين الآن التاجر الأمين؟ وأين الصانع الأمين؟ وأين الزارع الأمين؟ وأين المعلم المربي الأمين؟ وأين الطبيب الأمين؟ وأين المهندس الأمين؟ وأين الموظف الأمين؟ وأين، وأين، وأين؟ إن الأمين في كل فن وكل عمل وكل علم أندر من النادر اليوم، ولن يصلح الزمان إلا بأهله، ولن يصلح الناس إلا بالأمانة، ولقد جعل الله عز وجل حفظ الأمانة وأداءها من صفات عباد الله المؤمنين المتقين، فقال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ﴾.

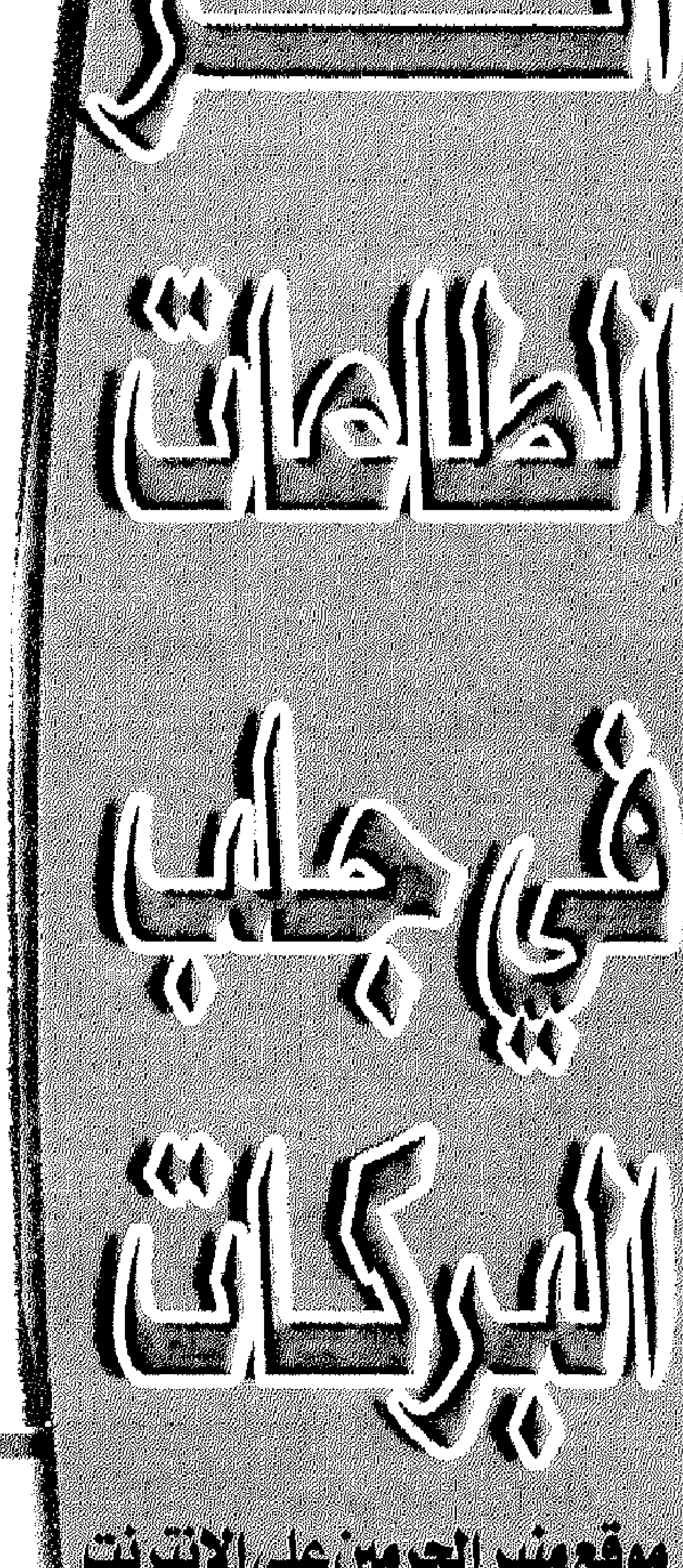
نسأل الله تعالى أن يرد المسلمين إلى دينهم وأمانتهم ردًا جميلاً، وأن يحسن عاقبتنا في الأمور كلها، وأن يجيرنا من خزي الدنيا وعذاب الآخرة.

وصلى الله وسلم وبارك على عبده ورسوله محمد وآله وصحبه أجمعين. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



لفضيلة الشيخ : عبد المحسن القاسم

إمام المسجد النبوي



موقع منبر الحرمين على الإنترنت

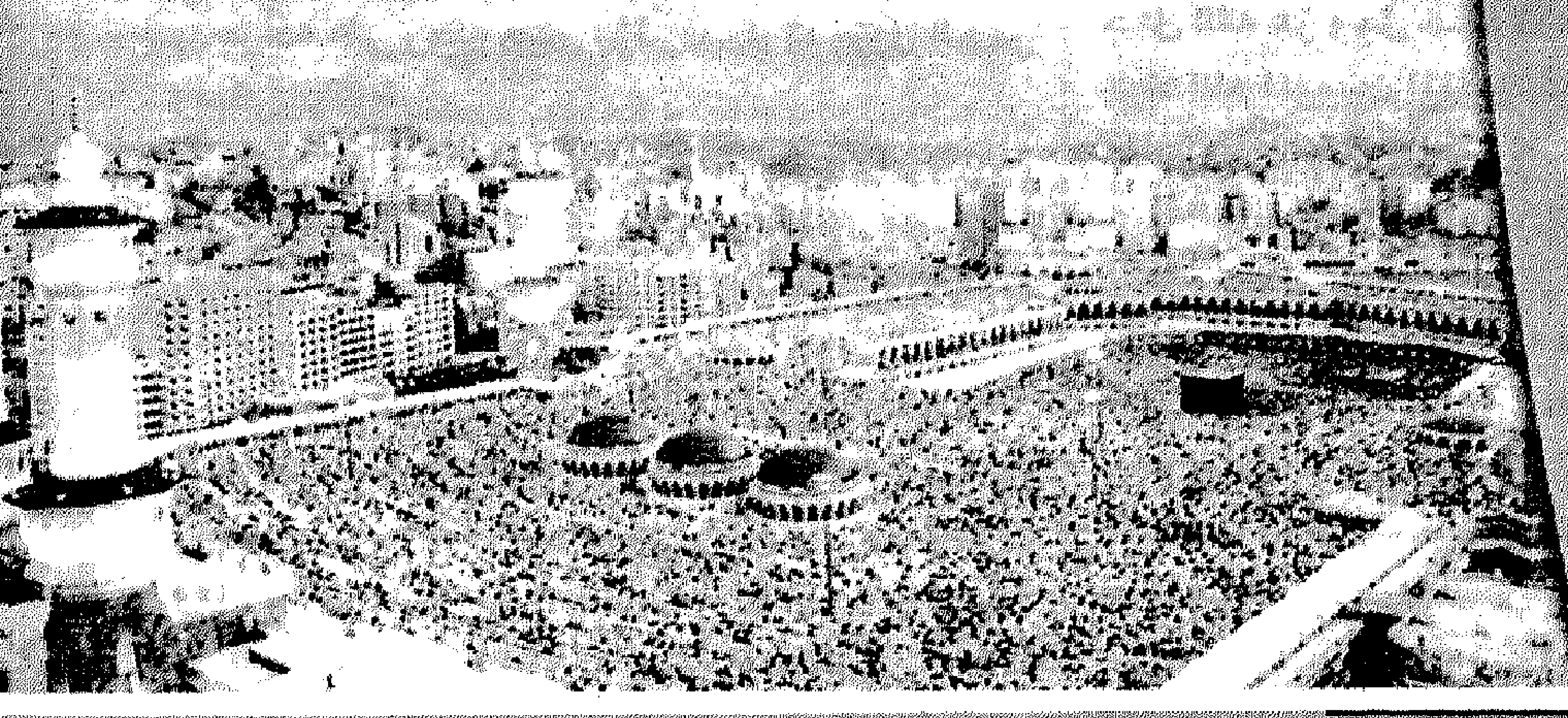
WWW.alminbar.net

الحمد لله على إحسانِه، والشكر له على توفيقه وامتنانه، وأشهد أن لا إله إلا الله وحدَه لا شريك له تعظيمًا لشأنه، وأشهد أنّ نبيّنا محمّدًا عبده ورسوله، صلّى الله عليه وعلى آله وأصحابه، وسلّم تسليمًا مزيدًا.

أمّا بعد: فاتّقوا الله- عبادَ الله- حقّ التقوى، فتقوى الله نورُ البصائر، وبها تحيى القلوبُ والضمائر.

أيّها المسلمون، يسعَى الخلائقُ في هذه الحياة بألوانٍ من الأعمال شتّى، يضمَحلّ منها ما كان في معصية الله وسخَطه، ويزكو ما كان في مرضاتِ الله وطاعتِه، قال سبحانه: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاء وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾ [الرعد:١٧].

وكلُّ شيءٍ لا يكونُ لله فبركتُه منزوعَة، والربُّ هو الذي يُبارك وحدَه، والبركةُ كلُّها منه، وهو سبحانَه تبارَك في ذاتِه، ويبارِكُ فيمن شاءَ من خلقِه.



قال جلّ وعلا: ﴿ وَتَبَارَكَ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَعِندَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴾ [الزخرف:٨٥]، وكلُّ ما نُسِب إليه فهو مبارك، واسمه تعالى مباركٌ تُنال معه البركة، قال عزّ وجلّ: ﴿ تَبَارَكَ اسْمُ رَبِّكَ ذِي الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ﴾ [الرحمن:٧٨].

والله جلّ وعلا برحمته يأتي بالخيرات، وبفضله يضاعِف البركات، وليست سَعةُ الرّزق والعملِ بكثرته، ولا زيادةُ العمر بتعاقُب الشهور والأعوام، ولكن سعةُ الرزقِ والعمُر بالبركة فيه.

بالعمَل المبارَك يُكتسَب الذِّكر الجميل في الحياة، وجزيلُ الثواب في الآخرة، فيه طهارةُ القلبِ وزكاةُ النفس وعليُّ الخُلُق.

والبركةُ ما كانت في قليلٍ إلاّ كثّرته، ولا في كثير إلا نفَعته، ولا غِنَى لأحدٍ عن بركةِ الله، حتى الأنبياء والرسل يطلبونها من خالقِهم، يقول النبيّ ﷺ: «بينما أيّوبُ يغتسلِ عريانًا، فخرّ عليه جرادٌ من ذهَب، فجعل أيّوب يحتسي في ثوبه، فناداه ربّه: يا أيّوب، ألم أكن أغنيتُك عمّا ترى؟! قال: بلى وعزّتِك، ولكن لا غِنى بي عن بركتك» رواه البخاري.

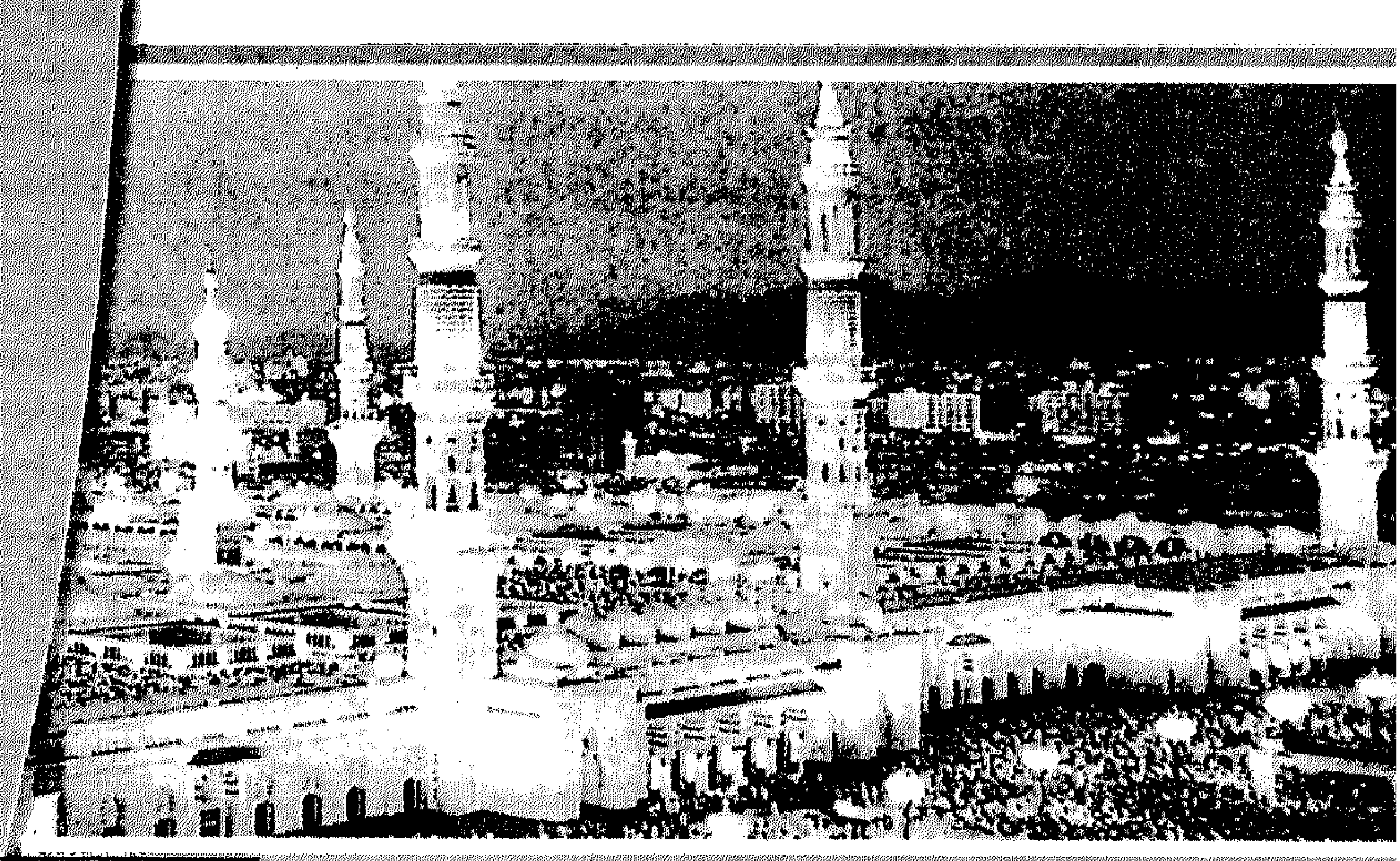
والرسُل والدعاةُ مباركون بأعمالهم الصالحةِ ودعوتهم إلى الخيرِ والهدى، قال عيسَى عليه السلام: ﴿وَجَعَلَنِي مُبَارَكًا أَيْنَ مَا كُنتُ وَأَوْصَانِي بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ مَا دُمْتُ حَيًّا ﴾ [مريم:٣١] .ونوحٌ عليه السّلام أُغدِق ببركاتٍ من الله: ﴿ قِيلَ يَا نُوحُ اهْبِطْ بِسَلَامٍ مِّنَّا وَبَرَكَاتٍ عَلَيْكَ وَعَلَىٰ أُمَمٍ مِّمَّن مَّعَكَ ﴾ [هود:٤٨]، ودعا نوحٌ عليه السلام ربّه بالمنزل المبارَك: ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ [المؤمنين:٢٩] .وألقَى الله البركةَ على إبراهيمَ وآله، قال تعالى: ﴿وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِّنَ الصَّالِحِينَ وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ﴾ [الصافات:١١٢، ١١٣]، وبارَك فيه وفي أهل بيته، قال عزّ وجلّ: ﴿ رَحْمَتُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ ﴾ [هود:٧٣]، قال ابن القيم رحمه الله: «هذا البيتُ المبارَك المطهَّر أشرفُ بيوت العالم على الإطلاق، فلم يأتِ بعدَ إبراهيمَ نبيٌّ إلاّ من أهل بيتِه، وكلُّ من دخل الجنّةَ من أولياء الله بعدَهم فإنما دخل من طريقهم وبدعوَتهم». ودعا نبيّنا ربَّه بالبركة في العطاء في قوله عليه الصلاة والسلام: «وبارِك لي فيما أعطيتَ» رواه الترمذي.

■ □ كلُّ شيءٍ لا يكون لله فبركته منزوعة، والربُّ هو الذي يبارك وحده، والبركة كلُّها منه، وهو سبحانه تبارك في ذاته، ويبارك فيمن شاءَ من خلقِه.

■ ■ لحرص الإسلام على الأسرة وحلول البركة فيها وعليها من أوّل نشأتها شرع الدّعاء للزوجين بالبركة عند النكاح.

■ □ البركة يتحرّاها العبدُ في مأكله في يومه وليلته، فالطعام المبارك ما أكلته مما يليك، وتجنبت الأكلَ من وسط الصحفة، وذكرت اسمَ الله عليه.

■ ■ إذا أظهر العبادُ ذنوبًا تتابعت عليهم العقوبات، وكلما قلّت المعاصي في الأرض ظهرت فيها آثار البركة من الله.



وتحيّة المسلمين بينهم عند اللقاء طلبُ السّلام والرحمة والبركة.

أيّها المسلمون، القرآنُ العظيم كثيرُ الخيراتِ واسع المبرّات، كتابٌ مباركٌ محكَم، فصلٌ مهيمِن، أنزله الله رحمة وشفاءً وبيانًا وهُدى، قال سبحانه: ﴿وَهَٰذَا ذِكْرٌ مُّبَارَكٌ أَنزَلْنَاهُ﴾ [الأنبياء:٥٠] .وسورةُ البقرة سورة مباركة، مأمورٌ بتعلّمها، قال عليه الصلاة والسلام: «تعلّموا سورةَ البقرةِ، فإنّ أخذَها بركَة، وتركَها حَسرة، ولا تستطيعها البطَلَة» أي: السَّحرة. رواه أحمد.

وسَعة الرِّزق وبركةُ العمُر في صلةِ الرحِم، يقول المصطفى: «مَن أحبَّ أن يُبسَط له في رِزقه وينسَأ له أثره فليصِل رحمه» رواه البخاري.

والصادقُ في البيع والشراءِ والمعاملات مباركٌ له في الكَسب، مترادفٌ عليه الخير، يقول النبي: «البيِّعان بالخيار ما لم يتفرّقا، فإن صدَقا وبيَّنا بُورك لهما في بيعِهما، وإن كذبا وكتَما مُحِقت بركة بيعِهما» متفق عليه.

و الإسلام على الأسرةِ وحلولِ البركة فيها وعليها مِن أوّل نشأتها شُرع الدّعاء للزوجين بالبركة عند النكاح، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: كان النبيّ إذا رفّأ الإنسانَ إذا تزوّج قال له: «بارَك الله لك، وبارك عليك، وجمع بينكما في خير» رواه الترمذي وقال: حسن صحيح.

وأوفرُ الزوجاتِ بركةً ما قلّت المؤونة في نكاحها، والزواجُ السعيد ما صاحبه اليسرُ والتسهيلُ، يقول المصطفى: «أعظمُ النّساء بركةً أيسرُهنّ مؤونة» رواه أحمد.

والزوجةُ المباركة هي المطيعةُ لله القائمة بحقوق زوجها في غير معصيةِ الله. والولدُ المبارك هو الناشئ على طاعة ربّه، المستمسِك بسنّة نبيه عليه الصلاة والسلام، الصائنُ لنفسِه عن الذنوب والعصيان.

وإذا دَخل ربُّ الأسرةِ دارَه شُرع إفشاءُ السلام على أهله رجاءَ البركة، يقول أنس رضي الله عنه: قال لي رسول الله: «يا بنيّ، إذا دخلتَ على أهلك فسلّم، تكُن بركةً عليك وعلى أهل بيتك» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

والرجلُ المبارك هو الذي ينتفَع به حيثُما حلّ، وإذا قرُب العبد من ربّه بورك في وقته وعمِل أعمالاً كثيرةً في زمنٍ يسير. أبو بكر الصديق رضي الله عنه قبل صلاة الفجر عاد مريضًا وتبِع جنازةً وأطعَم مسكينًا وأصبح صائمًا، يقول أبو هريرة رضي الله عنه: قال رسول الله: «من أصبَح منكم اليومَ صائمًا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمن تبِع منكم اليومَ جنازة؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمَن أطعمَ منكم اليومَ مسكينًا؟» قال أبو بكر: أنا، قال: «فمَن عاد منكم اليومَ مريضًا؟» قال أبو بكر: أنا، فقال رسول الله: «ما اجتَمَعت في امرئ إلا دخل الجنة» رواه مسلم.

وخير الصُّحبةِ صُحبةُ الصالحين، وأزكى المجالس مجالسُ الذّكر، تحضرُها الملائكة، ويُغفَر لجليسها، «فتقول الملائكة لربّها: فيهم فلانٌ ليس منهم، وإنما جاء لحاجةٍ، قال: هم الجلساءُ لا يشقى بهم جليسهم» متفق عليه. فهذا من بركَتهم على نفوسهم وعلى جليسهم.

والمالُ المبارَك ما كثُر خيرُه وتعدّدت منافعه وبُذِل في طُرق البرّ والإحسان ابتغاءَ مرضاته، ومن قنع بربح حلال قليل وتحرّى الصدقَ في معاملاته ظهرتِ البركة في ماله وفي أولاده، قال النبيّ: «من أخذه بحقّه ووضعه في حقّه فنِعمَ المعونة» رواه البخاري.

وسرورُ الدنيا وبهجةُ زينتِها لا تتمّ إلا بكسبٍ حلال، والمالُ يكثُر عددُه بالبذلِ والعطاء في الخيرات، قال المصطفى: «ما نقصَت صدقةٌ مِن مال» رواه مسلم. وقالَ عليه الصلاة والسلام: «أنفِق ينفَق عليك» رواه البخاري. ومن أخذ ما أُعطِي بتعفُّف وغِنى نفسٍ من غير مسألةٍ ولا استشرافٍ له بالقلب بورك له فيه، قال: «من أخذه بطيب نفسٍ منه بورك له فيه، ومن أخذَه بإشرافِ نفسٍ له لم يبارَك له فيه» رواه ابن حبان.

والبركةُ يتحرّاها العبدُ في مأكلِه في يومه وليلتِه، فالطّعام المبارَك ما أكلتَه ممّا يليك، وتجنّبتَ الأكلَ من وسط الصحفة، وذكرتَ اسمَ الله عليه، قال عليه الصلاة والسلام: «البركةُ تنزل وسطَ الطعام، فكُلوا من حافتيه، ولا تأكلوا من وسطه» رواه الترمذي وقال: حديث حسن صحيح.

وأمَر رسول الله بلَعق الأصابع والصحفة بعد الفراغ من الطعام رجاءَ البركة، وقالَ: «إنّكم لا تدرون في أيِّها البركة» رواه مسلم.

وفي الاجتماع على الطعام بركة، وفي التفرّق نزعٌ لها، يقول وحشيّ بنُ حرب: قالوا: يا رسولَ الله، إنّا نأكل ولا نشبع، قال: «فلعلّكم تفترِقون»، قالوا: نعم، قال: «فاجتمِعوا على طعامكم، واذكروا اسم الله، يبارَك لكم فيه» رواه أبو داود.

وسيّد المياه وأنفعُها وأبركُها ماءُ زمزم، قال عليه الصلاة والسلام: «إنها مباركة، إنها طعامُ طُعم» رواه مسلم.

أيها المسلمون، اصطفى الله من الدهر أزمنةً، ومن البقاع أمكنة، خصّها بالتشريف والبركة، فليلةُ القدر ليلةٌ مباركة رفيعةُ القدر عظيمةُ المكانة، ﴿ إِنَّا أَنزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُّبَارَكَةٍ ﴾ [الدخان:٣]، وأولُ النهار بعد صلاةِ الفجر زمنُ الغنيمة المبارك ووقتُ نزول الأرزاق وحلول البركات، أقسم الله به في كتابه بقوله جلّ وعلا: ﴿ وَاللَّيْلِ إِذَا عَسْعَسَ وَالصُّبْحِ إِذَا تَنَفَّسَ ﴾ [التكوير:١٧، ١٨]، والنبيّ دعا بالبركةِ في بُدُوّ الصباح، قال عليه الصلاة والسلام: «اللهمَّ بارك لأمّتي في بكورها» والنومُ بين صلاة الصبحِ وشروقِ الشمس تفويتٌ لزهرة اليوم.

وبيتُ الله الحرام مبارك، ليس في بيوتِ العالمَ أبرك منه ولا أكثرَ خيرًا ولا أدوم ولا أنفعَ للخلائق، قال جلّ وعلا: ﴿ إِنَّ أَوَّلَ بَيْتٍ وُضِعَ لِلنَّاسِ لَلَّذِي بِبَكَّةَ مُبَارَكًا وَهُدًى لِّلْعَالَمِينَ ﴾ [آل عمران:٩٦].

ومدينةُ المصطفى مدينةٌ مباركة، الصلاةُ في مسجد النبيّ تعدل ألفِ صلاةٍ فيما سواه، وصاعُها ومدُّها مبارك فيه، وتمرُ عاليتها شِفاء، يقول النبيّ: «اللهمّ بارك لنا في مدينتِنا، وبارك لنا في صاعِنا ومُدّنا» رواه مسلم، وفي لفظٍ له: «اللهمّ اجعَل مع البركة بركتين»، وقال عليه الصلاة والسلام: «اللهمَّ اجعَل بالمدينة ضِعفَي ما جعلتَ بمكّة من البركة» متفق عليه. قال النوويّ رحمه الله: «الظاهرُ أنّ البركةَ حصلت في نفسِ المكيل، بحيث يكفي المدّ فيها من لا يكفيه في غيرها، وهذا أمرٌ محسوسٌ عند من سكنها».

وبارك الله في مواطنَ من أرضه كما في قوله تعالى: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا ﴾ [الإسراء:١].

والفضيلة الدائمةُ في كلِّ زمانٍ ومكان بالإيمانِ والعمل الصالح، وأيّ مكان وعمل كان أعونَ للشّخص كان أفضلَ في حقِّه، يقول سلمان رضي الله عنه: (إنّ الأرضَ لا تقدّس أحدًا، وإنما يقدّس الرجلَ عملُه).

أيّها المسلمون، إذا أظهَر العبادُ ذنوبًا تتابعَت عليهم العقوبات، وكلّما قلّتِ المعاصي في الأرض ظهرَت فيها آثار البركة من الله، وانتشارُ المعاصي وفشوّها سببٌ لنزع الخيراتِ والبركات، قال جلّ وعلا: ﴿ وَأَلَّوِ اسْتَقَامُوا عَلَى الطَّرِيقَةِ لأَسْقَيْنَاهُم مَّاءً غَدَقًا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَمَن يُعْرِضْ عَن ذِكْرِ رَبِّهِ يَسْلُكْهُ عَذَابًا صَعَدًا ﴾ [الجن:١٦، ١٧].

وللمعصيةِ أعظمُ تأثير في محقِ بركةِ المال والعمُر والعلم والعمَل، يقول النبيّ: «وإنّ العبدَ ليُحرَم الرزقَ بالذنبِ يصيبه» رواه ابن ماجه، قال ابن القيم رحمه الله: «وفي الجملةِ فالمعصيةُ تمحق بركةَ الدين والدنيا ممّن عصى الله، فلا تجد بركةً في عمُره ودينه ودنياه».

ولا يُنال ما عند الله إلا بطاعتِه، والسعادةُ في القربِ من الله، وبالإكثار من الطاعات تحُلّ البركات، وبالرجوع إليه تتفتّح لك أبوابُ الأرزاق.

أعوذ بالله من الشيطان الرجيم: ﴿ وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ ﴾ [الأعراف:٩٦].

بارَك الله لي ولكم في القرآنِ العظيم، ونفعني وإيّاكم بما فيه من الآياتِ والذكر الحكيم، أقول قولي هذا، وأستغفر الله لي ولكم ولجميع المسلمين من كلّ ذنب، فاستغفروه وتوبوا إليه، إنّه هو التواب الرحيم.

أيّها المسلمون، محقُ البركةِ يجلِب قلّةَ التوفيقِ وفسادَ القلب، وأنفعُ الأشياءِ أبركُها، ومن بارَك الله فيه وعليه فهو المبارَك، ولا تُرتَجى البركة فيما لم يأذن به الشرع الحكيم. وبالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر تزكو النفس وتصلح الأحوال وتحلّ البركاتُ على المجتمعات. ومن التزم الصدقَ في البيان أُلقيت الحكمةُ على لسانه والسدادُ في أفعاله. ومن أخذ المال بغير حقِّه بارَ نفعُه، قال النبيّ: «ومن أخذه بغير حقِّه كان كالذي يأكل ولا يشبع» رواه البخاري.

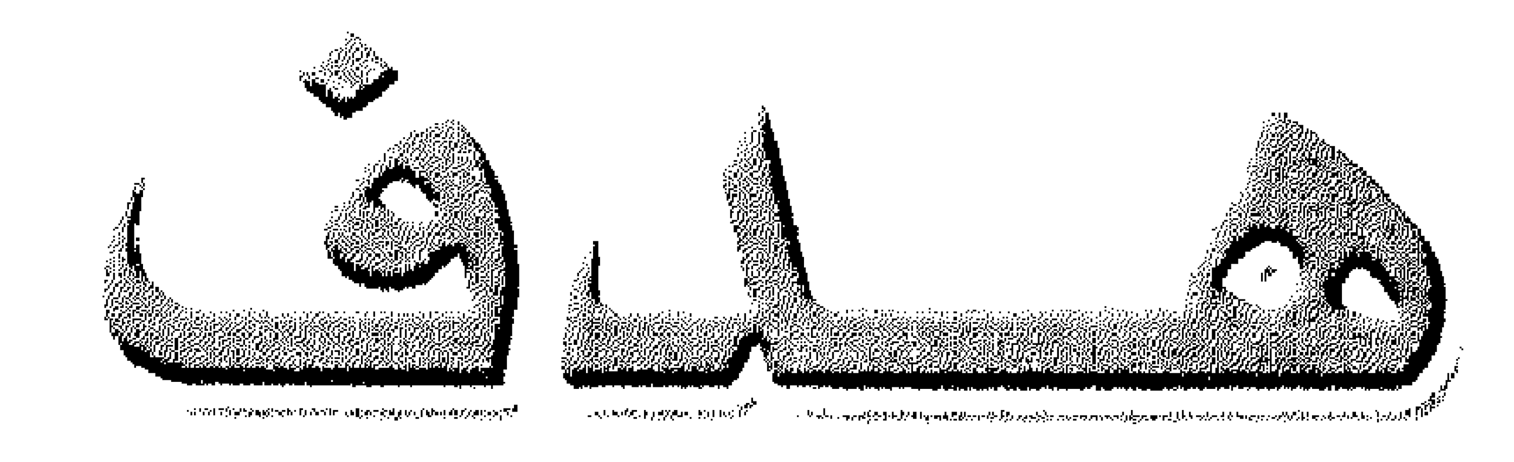
والرِّبا عديمُ النفع ماحقٌ للمالِ مُجلِب للهمّ، يجري آكِلُهُ خلفَ سَراب، قال سبحانه: ﴿ يَمْحَقُ اللّهُ الْرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ ﴾ [البقرة:٢٧٦].

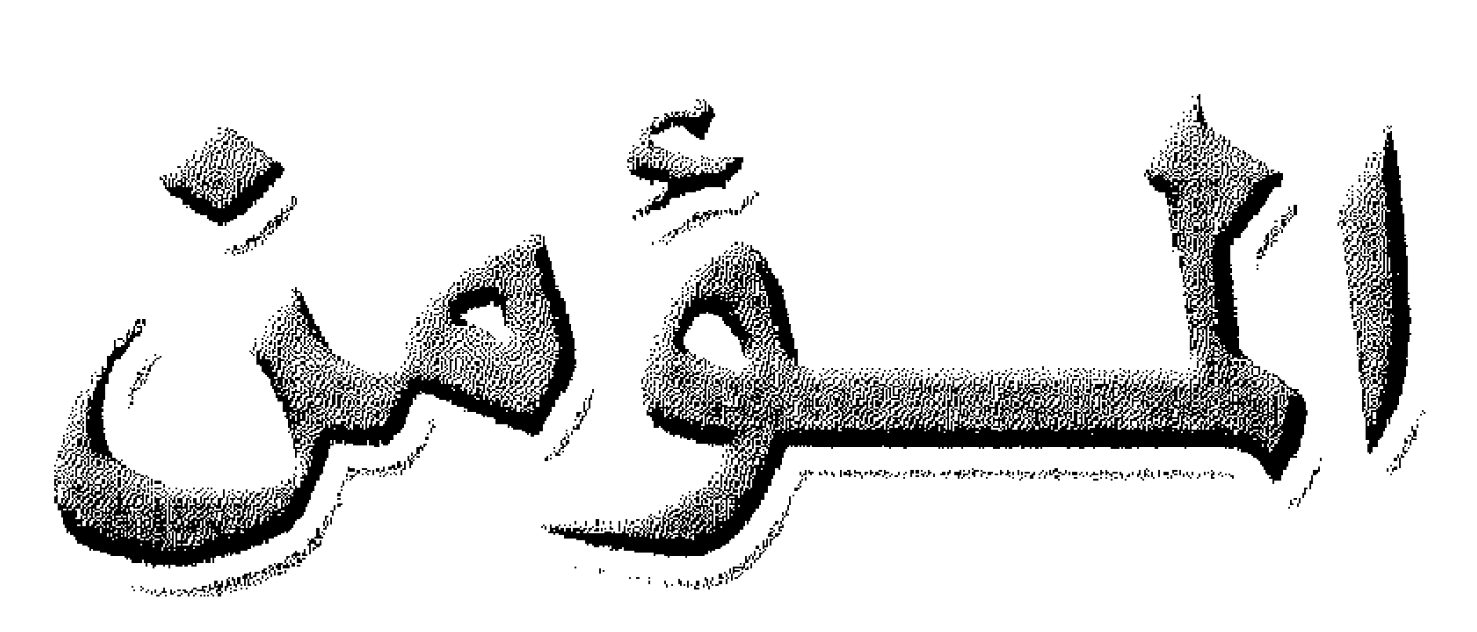
والحلِف منفقةٌ للسلعة ممحِقٌ للكَسب، ومنعُ الصدقة خشيةَ النفادِ تلفٌ للمال، قال: «اللهمَّ أعطِ ممسكًا تلفًا» رواه البخاري.

فالزَم جانبَ العبودية والاتباع، وابتعِد عن المحرّمات والشّبهات في المال وغير المال، يبارَك لك في الأخذ والعطاء.

ثمّ اعلموا أنّ الله أمركم بالصلاة والسلام على نبيّه، فقال في محكَم التنزيل: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب:٥٦].

اللهمّ صلِّ وسلِّم وبارك على نبينا محمّد، وارض اللهمّ عن خلفائه الراشدين.





هدف المؤمن

كتبه/ صلاح عبد المعبود

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه .. وبعد:

فإن المؤمن لا يعيش في هذه الدنيا تائها كالريشة في مهب الريح يحركها الهواء في كل مكان، بل له في هذه الدنيا مقصد محدد وغاية واضحة، يكرس حياته وقوته ووقته وماله في سبيل الحصول عليها والوصول إليها، وغاية خلق الإنسان هي عبادة الله وحده بلا شريك وغاية المسلم في هذه الدنيا هي الحصول على رضا الله تعالى والفوز بالجنة والنجاة من عذابه وعقابه.

والمؤمن يعرف أن خالقه هو الله رب العالمين، وأنه خلقه ليوحده ويعبده ويصرف جميع همته ووقته من أجل رضاه، وأنه راجع إليه وحيدا مجردا من الولي والشفيع، فإذا عرف ذلك وأيقن به فستستقيم حركاته في هذه الحياة وتستقيم معها نظرته للأشياء والأحداث والأشخاص، وتلك هي أوليات العقيدة التي تنطبع في وجدان المؤمنين وعلى أساسها يتحركون ويبنون تصوراتهم الصحيحة لما حولهم وما يجري من بين أيديهم ومن خلفهم.

وإن الطامة الكبرى التي تنزل بالعبد هي أن يجهل مقصد وجوده والغاية من خلقه، فذلك شر ووبال، وخيبة وحسرة وخسران. ومن كانت عينه على الغاية والهدف فإنه لا يضل أبدا ولا يسلك سبيلا لا يؤدي به إلى الغاية المقصودة والهدف المحدد.

إن المسلم يهدف إلى أن تنصاع الدنيا كلها لدين الله وأمره ونهيه، فلا يرى الحياة إلا محرابا يسبح فيه بحمد الله، وتتوق نفسه إلى اصطباغ الحياة بشعائر الإسلام وسننه، وهذه هي نية الخير الباعثة على العمل الصالح والحركة الصحيحة بمنهج الله في أرضه، فالمسلم لا يريد ملكا ولا يطمع في دنيا ولا تهفو نفسه إلى وجاهة ورياسة ولا شهوة وشهرة، ولا مال ولا أجر، بل يقول للناس جميعا إن أجري إلا على رب العالمين، لا أريد منكم جزاءا ولا شكورا.

وهكذا كان رسول الله ﷺ، فقد رفض الملك والرياسة وجاهد في سبيل دينه حتى أتاه اليقين، وربى أمته على الدعوة ومنهج الحق، لأن الهدف هو التمكن من القلوب وليس التمكن من القوالب، فالقلوب هي التي تحرك الأبدان وتهيمن على حركة الجوارح، وهي المضغة التي لو صلحت لصلح الجسد كله، ولو فسدت لفسد الجسد كله، فالقلب هو جهاز الاستقبال لجميع الأوامر والنواهي، والجوارح لا تتحرك إلا بسلطان القلب، ولا سبيل لإقامة الدين في الأرض إلا بإقامته في النفوس أولا، ومهمة الدعاة في هذا الزمان هي العودة بالأمة إلى الدرجة التي تركها عليها النبي ﷺ، من ثبات الإيمان وصحة اليقين ودوام الذكر والطاعة والتحلي بالخلق الحسن والورع عن الشبهات والزهد في حطام الدنيا الفاني، والرغبة فيما عند الله من النعيم الباقي، فالأمة الآن في حالة تحلل ظاهر من شرائع الدين، فكم من أذان يؤذن للصلاة والناس في بيوتهم ومتاجرهم وطرقاتهم لا يبالون بداعي الله تعالى الذي يدعوهم إلى الفلاح، وكم من مفطر جهارًا عيانًا في نهار رمضان لا يستحي ولا يخجل من حرمة الشهر الكريم، وفريضة الزكاة تكاد تكون معطلة عند كثير ممن يملكون النصاب - إلا من رحم ربي - وكم من مستطيع لا يؤدي فريضة الحج؟! فهذه الأمة قد طال رقادها وتراكمت عليها الغفلات وانشغلت بالشهوات وانصرفت عن التضحية والجهاد، والمقصد الآن هو إزالة الران الذي تراكم من طول السنين الغابرة، وإعادة الأمة إلى ربها وتصحيح معتقداتها ويقينها، حتى تنظر إلى الدنيا بنظرة أهل الإيمان، وتقيس حقائق الأمور بما في كتاب الله وسنة رسول الله ﷺ، وعندئذ يغير الله حال الأمة إلى أحسن حال قال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد:١١].

إن الشطط الحاصل في الأمة ينشأ من غموض الهدف أو التواء المقاصد، ومن لا يعرف هدفه ولا غايته فإنه يضيع وقته وجهده ولا يتحصل على شيء، وهذا ما يفسر - غالبًا - ضياع السنين والجهود في أودية التيه والتخبط دون الوصول إلى ثمرة ملموسة أو نتيجة واضحة.

لقد وعد الله بالتمكين في الأرض، والله لا يخلف الميعاد، ولكنه جعل لهذا التمكين مؤهلات وصفات - من اليقين والإيمان وصحة السلوك والعمل - لابد أن تتوفر في أهلها، فلا ينتظر من أهل الإيمان إلا الجهد المخلص والسعي الدؤوب في تحصيل هذه المؤهلات ليكونوا أهلا للنصرة والتأييد وعندئذ فإن نصر الله قريب. والله من وراء القصد..

درر البحار من صحيح الأحاديث القصار

ألف حديث كل ثلاث سنوات


إعداد / علي حشيش

بحمد والله وتوفيقه بدأنا منذ الشهر الماضي في نشر مشروع حفظ السنّة والذي يهدف إلى نشر ثلاثين حديثًا كل عدد من الأحاديث القصيرة الصحيحة حتى يتسنى حفظ ألف حديث كل ثلاث سنوات، وسوف يتم إجراء مسابقة في حفظ الأحاديث نهاية كل عام وإعطاء جوائز عظيمة وقيمة للفائزين.

نفعنا الله وإياكم وجعلنا من حفاظ سنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وإليكم هذه الأحاديث:

٣١- «الحَيَاءُ لاَ يَأْتِي إلاَّ بِخَيرٍ». [متفق عليه من حديث عمران بن حصين]

٣٢- «كَانَ النبيُّ ﷺ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ العَذْرَاءِ في خِدْرِهَا».

[متفق عليه من حديث عائشة]

٣٣- «أيُّمَا رَجُلٍ قالَ لأخِيهِ يا كَافِرُ فَقَدْ بَاءَ بِهَا أَحَدُهُمَا».

[متفق عليه من حديث ابن عمر]

٣٤- «إنَّ أَهْوَنَ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا يومَ القِيَامَةِ لَرَجُلٌ تُوضَعُ فِي أَخْمُصِ قَدَمَيْهِ جَمْرَةٌ يَغْلِي مِنهَا دِمَاغُهُ».

[متفق عليه من حديث النعمان بن بشير]

٣٥- «خَالِفُوا المُشْرِكِينَ، وفِّرُوا اللِّحَى، وأَحْفُوا الشَّوَارِبَ».

[متفق عليه من حديث ابن عمر]

٣٦- «التَّسْبِيحُ لِلرِّجَالِ وَالتَّصْفِيقُ لِلنِّسَاءِ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٣٧- «إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَنْ ثَمَنِ الكَلْبِ، ومَهْرِ البَغِيِّ، وحُلْوَانِ الكَاهِنِ».

[متفق عليه من حديث أبي مسعود الأنصاري]

٣٨- «الحَلِفُ مَنفَقَةٌ مَمْحَقَةٌ لِلبَرَكَةِ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٣٩- «مَنْ أَخَذَ شِبْرًا مِنَ الأَرْضِ ظُلْمًا فَإِنَّهُ يُطَوَّقُهُ يَومَ القِيَامَةِ مِنْ سَبْعِ أَرَضِينَ».

[متفق عليه من حديث سعيد بن زيد]

٤٠- «لاَ يَقْضِيَنَّ حَكَمٌ بَينَ اثْنَينِ وَهُوَ غَضْبَانُ».

[متفق عليه من حديث أبي بكرة]

٤١- «مَنْ أَحْدَثَ فِي أَمْرِنَا هَذَا مَا ليسَ مِنْهُ فَهُوَ رَدٌّ».

[متفق عليه من حديث عائشة]

٤٢- «يَسِّرُوا وَلاَ تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا ولاَ تُنَفِّرُوا».

[متفق عليه من حديث أنس]

٤٣- «لاَ تَمَنَّوا لِقَاءَ العَدُوِّ فَإِذَا لقيتُمْ العَدُوَّ فَاصْبِرُوا».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٤٤- «لَغُدْوَةٌ فِي سَبِيلِ اللهِ أَو رَوحَةٌ خَيرٌ مِنَ الدُنْيَا وَمَا فِيهَا».

[متفق عليه من حديث أنس]

٤٥- «إِنَّ أَبْغَضَ الرِجَالِ إلى الله الأَلَدُّ الخَصِمُ».

[متفق عليه من حديث عائشة]

٤٦- «لاَ يَزَالُ نَاسٌ مِنْ أُمَتِي ظَاهِرِينَ حَتى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللّهِ وهُمْ ظَاهِرُونَ».

[متفق عليه من حديث المغيرة بن شعبة]

٤٧- «إنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ نَهَى عَن أَكْلِ كُلِّ ذِي نَابٍ مِن السِّبَاعِ».

[متفق عليه من حديث أبي ثعلبة]

٤٨- «إِذَا شَرِبَ أَحَدُكُمْ فَلاَ يَتَنَفَّسْ فِي الإِنَاءِ».

[متفق عليه من حديث أنس]

٤٩- «إِنَّ المُؤْمِنَ يَأْكُلُ فِي مِعىً وَاحِدٍ والكَافِرَ يَأْكُلُ فِي سَبْعَةِ أَمْعَاءٍ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٥٠- «مَن لَبِسَ الحَرِيرَ فِي الدُّنْيَا فَلَنْ يَلْبَسَهُ فِي الآخِرَةِ».

[متفق عليه من حديث أنس]

٥١- «لاَ يَنْظُرُ اللهُ إلى مَنْ جَرَّ ثَوبَهُ خُيَلاَءَ».

[متفق عليه من حديث ابن عمر]

٥٢- «لاَ تَدْخُلُ المَلاَئِكَةُ بَيْتًا فِيهِ كَلْبٌ وَلاَ صُورَةُ تَمَاثِيلَ».

[متفق عليه من حديث أبي طلحة]

٥٣- «أَوَّلُ ما يُقْضَى بَينَ النَّاسِ بالدِّمَاءِ».

[متفق عليه من حديث ابن مسعود]

٥٤- «إِيَّاكُمْ والدُّخُولَ عَلَى النِّسَاءِ، فقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللّهِ، أَفَرَأَيْتَ الحَمْوَ؟ قَالَ: الحَمْوُ المَوْتُ».

[متفق عليه من حديث عقبة عامر]

٥٥- «لاَ يُقِيمُ الرَجُلُ الرَجُلَ مِنْ مَجْلِسِهِ ثُمَّ يَجْلِسُ مَكَانَهُ».

[متفق عليه من حديث ابن عمر]

٥٦- «العَينُ حَقٌّ». [متفق عليه من حديث أبي هريرة]

٥٧- «إِذَا كَانُوا ثَلاَثَةٌ فَلاَ يَتَنَاجَى اثْنَانِ دُونَ الثَّالِثِ».

[متفق عليه من حديث ابن عمر]

٥٨- «في الحَبَّةِ السَّوْدَاءِ شِفَاءٌ مِنْ كُلِ دَاءٍ إِلاَّ السَّامَ».

[متفق عليه من حديث أبي هريرة]

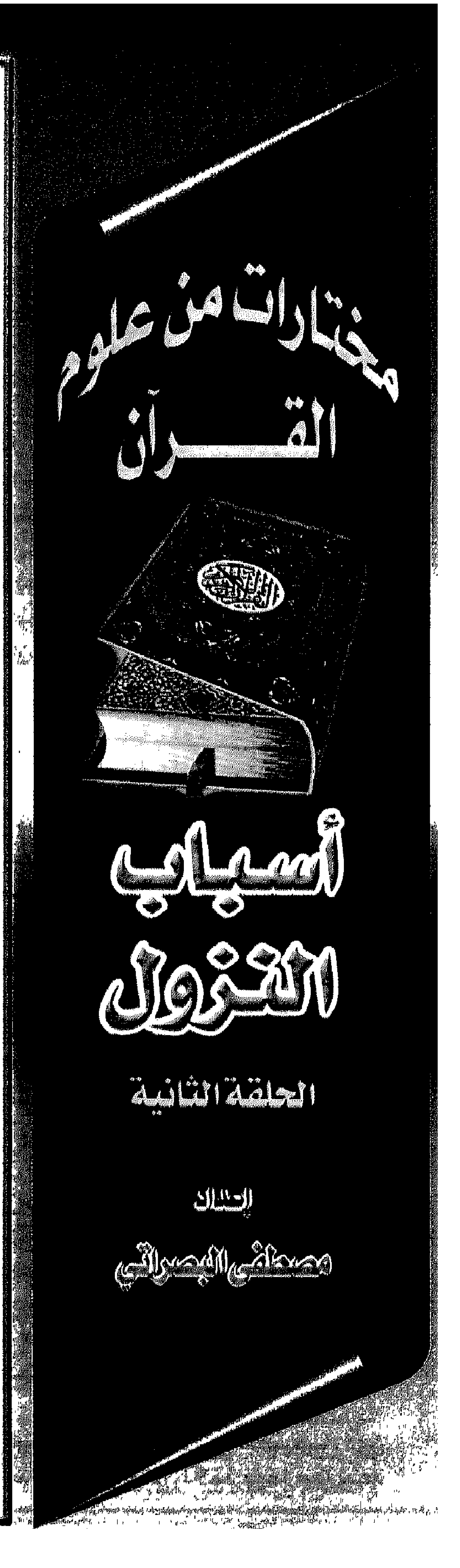
٥٩- «تُقْطَعُ يَدُ السَّارِقِ في رُبْعِ دِينَارٍ».

[متفق عليه من حديث عائشة]

٦٠- «مَنْ جَهَّزَ غَازِيًا فِي سَبِيلِ اللهِ فَقَدْ غَزَا، ومَنْ خَلَفَ غَازِيًا في سَبِيلِ اللهِ بِخَيرٍ فَقَدْ غَزَا».

[متفق عليه من حديث زيد بن خالد]

هَذَا مَا وَفَقَنِي اللهُ إليه وَالثَّلاثُونَ الثَالِثَة في الحَلَقَةِ القَادِمَةِ- إِنْ شَاءَ اللّهُ- واللهُ وَحْدَهُ مِنْ وَرَاءِ القَصْدِ.



الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن اهتدى بهداه وبعد:وقفنا في الحلقة السابقة مع علم أسباب النزول، وذكرنا أنه ينقسم إلى قسمين؛ ابتدائي وسببي، وقلنا أن الطريق الوحيد لمعرفة أسباب النزول هو النقل الصحيح، وأوضحنا أن سبب النزول قد يُعَبّر عنه بالتصريح بلفظ السبب فيقال «سبب نزول الآية كذا» أو يُفهم من المعنى بأن يُقال «نزلت هذه الآية في كذا»، وقد يؤتى بفاء داخلة على مادة نزول الآية فيقال: «فأنزل الله» أو تأتي الآيات جوابًا على سؤال.

وفي هذه الحلقة إن شاء الله تعالى نذكر من صور أسباب النزول.

أولا: تعدد الأسباب والنازل واحد

قد تتعدد الروايات في سبب نزول آية واحدة وهذه الحالة لها صور أربع :

الصورة الأولى

وهي ما صحت فيه إحدى الروايتين دون الأخرى- فحكمها الاعتماد على الصحيحة في بيان السبب، وَردُّ الأخرى غير الصحيحة. مثال ذلك ما أخرجه الشيخان وغيرُهما عن جُندب قال: اشتكى (مرض) النبي ﷺ فلم يقم ليلة أو ليلتين، فأتتهُ امرأةٌ فقالت: يا محمدُ ، ما أرى شيطانك إلا قد تركك. فأنزل الله : ﴿ وَالضُّحَى (١) وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَى (٢) مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَى ﴾ [الضحى: ١- ٣].

وأخرج الطبراني وابن أبي شيبة عن حفص بن ميسرة عن أمه عن أمها وكانت خادم رسول الله ﷺ أن جروًا (كلب صغير) دخل بيت النبي ﷺ ، فدخل تحت السرير فمات فمكث النبي ﷺ أربعة أيام لا ينزل عليه الوحي، فقال: يا خولة ، ما حدثَ في بيت رسول اللّه ﷺ ، جبريل لا يأتيني. فقلتُ في نفسي: لو هيأت البيت وكنسته، فأهويتُ بالمكنسة تحت السرير ، فأخرجت الجَرْوَ، فجاء النبي ﷺ تَرْعدُ لحيتهُ، وكان إذا نزل عليه أخذته الرِّعْدةُ. فأنزل الله: ﴿ وَالضُّحَى ﴾ إلى قوله: ﴿ فَتَرْضَى ﴾ فنحن بين هاتين الروايتين نُقدِّم الأولى في بيان السبب لصحتها، دون الثانية لأن في إسنادها من لا يعرف . قال ابن حجر: «قصة إبطاء جبريل بسبب الجرو مشهورة، لكن كونها سبب نزول الآية غريب، وفي إسناده من لا يُعرف، فالمعتمد الصحيح». اهـ.

الصورة الثانية

وهي صحة الروايتين كلتيهما ولإحداهما مرجِّح- فحكمها أن نأخذ في بيان السبب بالراجحة دون المرجوحة، والمرجِّح أن تكون إحداهما أصح من الأخرى أو أن يكون راوي إحداهما مشاهدًا للقصة دون راوي الأخرى، يوضح ذلك

الروايتان اللتان ذكرناهما في التعبير عن سبب النزول وهو ما أخرجه البخاري عن ابن مسعود قال: «كنت أمشي مع النبي ﷺ بالمدينة وهو يتوكأ على عسيب، فمرَّ بنفرٍ من اليهود، فقال بعضهم: لو سألتموه. فقال: حدّثنا عن الروح، فقام ساعة ورفع رأسه، عرفتُ أنه يوحى إليه، حتى صعد الوحي، ثم قال: ﴿قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُمْ مِنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً ﴾»، وما أخرجه الترمذي وصححه عن ابن عباس قال: «قالت قريشٌ لليهود، أعطونا شيئًا نسأل هذا الرجل، فقالوا: اسألوه عن الرُّوح، فسألوه، فأنزل الله: ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ فهذا الخبر الثاني يدلُّ على أنها نزلت بمكة وأن سبب نزولها سؤال قريش إياه. أما الأول فصريحٌ في أنها نزلت بالمدينة بسبب سؤال اليهود إياه، وهو أرجح من وجهين: أحدهما أنه رواية البخاري، وأما الثاني فإنه رواية الترمذي، ومن المقرَّر أن ما رواه البخاري أصحُّ مما رواه غيره. ثانيهما أن راوي الخبر الأول وهو ابن مسعود كان مشاهد القصة من أولها إلى آخرها كما تدلُّ على ذلك الرواية الأولى، بخلاف الخبر الثاني فإن رواية ابن عباس لا تدلُّ على أنه كان حاضر القصة، ولا ريب أن للمشاهدة قوةً في التحمل وفي الأداء، وفي الاستيثاق ليست في غير المشاهدة ومن هنا أعملنا الرواية الأولى، وأهملنا الثانية.

الصورة الثالثة

وهي ما استوى فيه الروايتان في الصحة، ولا مرجِّح لإحداهما لكن يمكن الجمع بينهما، بأن كلاً من السببين حصل ونزلت الآية عقب حصولهما معًا، لتقارب زمنيهما- فحكم هذه الصورة أن نحمل الأمر على تعدُّد السبب لأنه الظاهر ولا مانع يمنعه.

قال ابن حجر: «لا مانع من تعدُّد الأسباب». مثال ذلك ما أخرجه البخاري من طريق عكرمة عن ابن عباس أن هلال بن أمية قذف امرأته عند النبي ﷺ بشريك بن سحماء. فقال النبي ﷺ: «البينة أو حدٌ في ظهرك». فقال: يا رسول الله، إذا وجد أحدنا مع امرأته رجلاً ينطلق يلتمس البينة. وفي رواية أنه قال: والذي بعثك بالحق إني لصادق، ولينزلن الله تعالى ما يُبرئُ ظهري من الحد، فنزل جبريل عليه السلام وأنزل عليه: ﴿وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ إِلاَّ أَنْفُسُهُمْ﴾ حتى بلغ: ﴿إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ﴾ [النور: ٦ – ٩].

وأخرج الشيخان – واللفظ للبخاري- عن سهل بن سعد أن عويمرًا أتى عاصم بن عَديّ وكان سيد بني عجلان، فقال: كيف تقولون في رجل وجد مع امرأته رجلاً، أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ سلْ لي رسول الله ﷺ عن ذلك، فأتى عاصمٌ النبي ﷺ، فقال: يا رسول الله – وفي رواية مسلم فسأل عاصمٌ رسول الله ﷺ – فكره رسول اللّه ﷺ المسائل وعابَهَا، فقال عُويمرٌ: والله لا أنتهي حتى أسأل رسول اللّه ﷺ عن ذلك، فجاءه عويمر، فقال: يا رسول الله، رجلٌ وجد مع امرأته رجلا أيقتله فتقتلونه، أم كيف يصنع؟ فقال رسول اللّه ﷺ: قد أنزل الله القرآن فيك وفي صاحبك، فأمرَهما رسول اللّه ﷺ بالملاعنة بما سمَّى الله في كتابه فلاعنها.

فهاتان الروايتان صحيحتان، ولا مرجِّحَ لإحداهما على الأخرى، ومن السهل أن نأخذ بكلتيهما لقرب زمانيهما، على اعتبار أن أول من سأل هو هلال بن أمية، ثم تبعه عويمر قبل إجابته. فسأل بواسطة عاصم مرةً وبنفسه مرةً أخرى، فأنزل الله الآية إجابة للحادثين معًا. ولا ريب أن إعمال الروايتين بهذا الجمع، أولى من إعمال إحداهما وإهمال الأخرى إذ لا مانع يمنع الأخذ بهما على ذلك الوجه ثم لا يجوز أن نردهما معًا، لأنهما صحيحتان ولا تعارض بينهما، ولا يجوز أيضًا أن نأخذ بواحدة ونرد الأخرى، لأن ذلك ترجيح بلا مرجح فتعين المصير إلى أن نأخذ بهما معًا. وإليه جنح النووي وسبقه إليه الخطيب فقال: «لعلهما اتفق لهما ذلك في وقت واحد».

ويمكن أن يفهم من الرواية الثانية أن آيات الملاعنة نزلت في هلال أولاً، ثم جاء عُويمر فأفتاه الرسول ﷺ بالآيات التي نزلت في هلال. قال ابن الصباغ: قصة هلال تُبيِّن أن الآية نزلت فيه أولاً. وأما قوله ﷺ لعويمر: «إن الله أنزل فيك وفي صاحبك». فمعناه ما نزل في قصة هلال، لأن ذلك حكم عام لجميع الناس.

الصورة الرابعة

وهي استواء الروايتين في الصحة، دون مرجِّح لإحداهما دون إمكان للأخذ بهما معًا لبُعد

الزمان بين الأسباب - فحكمها أن نحمل الأمر على تكرار نزول الآية بعدد أسباب النزول التي تحدثت عنها هاتان الروايتان، أو تلك الروايات لأنه إعمال لكل رواية، ولا مانع منه.

قال الزركشي : «وقد ينزل الشيء تعظيمًا لشأنه ، وتذكيرًا عند حدوث سببه خوف نسيانه». مثال ذلك ما أخرجه البيهقي والبزار عن أبي هريرة أن النبي ﷺ وقف على حمزة حين استشهد وقد مُثل به ، فقال: لأمثلَن بسبعين منهم مكانك. فنزل جبريل والنبي ﷺ واقف - بخواتيم سورة النحل : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ إلى آخر السورة وهن ثلاث آيات .

وأخرج الترمذي والحاكم عن أبي بن كعب قال: «لما كان يومُ أحدٍ أصيب من الأنصار أربعة وستون ومن المهاجرين ستة منهم حمزةُ ، فمثلوا به ، فقالت الأنصار : لئن أصبنا منهم يومًا مثل هذا لَنُرْبِيَنَّ (لنزيدنَّ) عليهم. فلمَّا كان يوم فتح مكة أنزل الله : ﴿وَإِنْ عَاقَبْتُمْ فَعَاقِبُوا بِمِثْلِ مَا عُوقِبْتُمْ بِهِ﴾ الآية . فالرواية الأولى تفيد أن الآية نزلت في غزوة أحد ، والثانية تفيد أنها نزلت يوم فتح مكة ، على حين أن بين غزوة أحد وغزوة الفتح الأعظم خمس سنوات فبَعُدَ أن يكون نزول الآية كان مرة عقبهما معًا . وإذن لابد لنا من القول بتعدد نزولها مرة في أحد ومرة في يوم الفتح .

فيما نزل مكررًا

وقد يُنزَّل الشيء مرتين تعظيمًا لشأنه ، وتذكيرًا به عند حدوث سببه خوف نسيانه ، وهذا كما قيل في الفاتحة نزلت مرتين : مرة بمكة، وأخرى بالمدينة ، وكما ثبت في الصحيحين عن أبي عثمان النهديِّ عن ابن مسعود: أن رجلاً أصاب من امرأة قبلة، فاتى النبي ﷺ فأخبره ، فأنزل الله تعالى : ﴿وَأَقِمِ الصَّلَاةَ طَرَفَيِ النَّهَارِ وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾، فقال الرجل: إليَّ هذا ؟ فقال : بل لجميع أمتي.

فهذا كان في المدينة ، والرجل قد ذكرَ الترمذي أو غيره أنه أبو اليسر ، وسورة هود مكية بالإتفاق ، ولهذا أشكل على بعضهم هذا الحديث مع ما ذكرنا ، ولا إشكال ؛ لأنها نزلت مرة بعد مرة ، ومثله ما في الصحيحين عن ابن مسعود في قوله تعالى : ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ﴾ أنها نزلت لما سأله اليهود عن الروح وهوَ في المدينة ، ومعلومٌ أن هذه في سورة «سبحان» وهي مكية بالإتفاق، فإن المشركين لما سألوه عن ذي القرنين وعن أهل الكهف قيل ذلك بمكة وأن اليهود أمروهم أن يسألوه عن ذلك ، فأنزل الله الجواب كما قد بسط في موضعه .

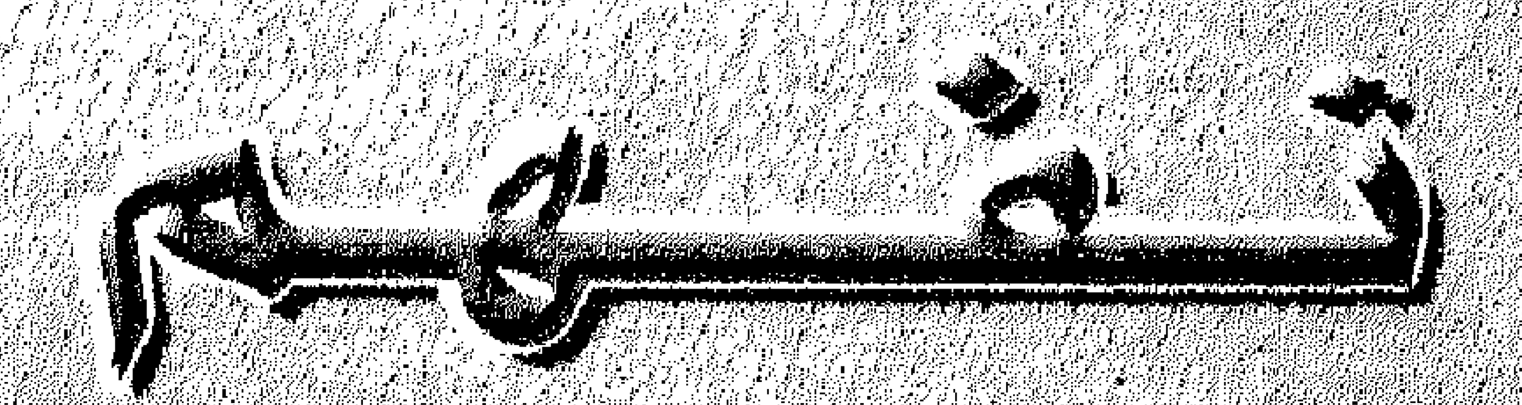
وكذلك ما ورد في ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ أنها جواب للمشركين بمكة وأنها جواب لأهل الكتاب بالمدينة . وكذلك ما ورد في الصحيحين من حديث المسيب لما حضرت أبا طالب الوفاة ، وتلكأ عن الشهادة ، فقال رسول الله ﷺ: «والله لاستغفرن لك ما لم أُنْهَ». فأنزل الله : ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِيِّ وَالَّذِينَ آمَنُوا أَنْ يَسْتَغْفِرُوا لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوا أُولِي قُرْبَى﴾ [التوبة: ١١٣] ، وأنزل الله في أبي طالب : ﴿إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ﴾ [القصص: ٥٦] ، وهذه الآية نزلت في آخر الأمر بالإتفاق وموت أبي طالب كان بمكة، فيمكن أنها نزلت مرةً بعد أخرى ، وجُعلت أخيرًا في «التوبة».

ثانيا: الحكمة من تكرار النزول

والحكمة في هذا كلِّه أنه قد يحدث سببٌ من سؤال أو حادثة تقتضي نزول آية، وقد نزل قبل ذلك ما يتضمنها ، فتؤدى تلك الآية بعينها إلى النبي ﷺ تذكيرًا لهم بها، وبأنها تتضمن هذه ، والعالم قد يحدث له حوادث فيتذكر أحاديث وآيات تتضمن الحكم في تلك الواقعة وإن لم تكن خطرت له تلك الحادثة قبلُ ، مع حفظه لذلك النص.

وهناك حكمة عالية في هذا التكرار ، وهي تنبيه الله لعباده ولفت نظرهم إلى ما في طيِّ تلك الآيات المكررة من الوصايا النافعة، والفوائد الجُمة التي هم في أشد الحاجة إليها.

فخواتيم سورة النحل (وهي الثلاث الآيات الأخيرة) نلاحظ أن الحكمة في تكرارها هي تنبيه لعباده أن يحرصوا على العمل بما احتوته من الإشارة السامية في تحرِّي العدالة، وضبط النفس عند الغضب، ومراقبة الخالق حتى في القصاص من الخلق ، والتذرُّع بالصبروالثبات والاعتماد على الله والثقة بتأييده ونصره، لكل من اتقاه وأحسن في عمله، أضف إلى هذه الحكم ما ذكره الزركشي من أن تكرار النزول تعظيم لشأن المكرر وتذكير به خوف نسيانه .





كيف نفهم العقيدة؟

إعداد: د. محمود عبد الرازق

الحلقة السادسة

الحمد لله الذي رضي لنا الإسلام دينا، ونصب لنا الأدلة على صحته برهانًا مبينًا، وأوضح السبيل إلى معرفته واعتقاده حقًا يقينًا.

وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، ولا ضد له، ولا ند له، ولا صاحبة له، ولا ولد له، ولا شبيه له، ولا كفؤ له.

وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله وصفوته من خلقه، وأمينه على وحيه، ابتعثه بخير ملة، وأحسن شرعة، وأظهر دلالة، وأوضح حجة، وأبين برهان، أما بعد:

فموضوعنا اليوم نستكمل فيه عرض المنهج السليم لفهم عقيدة أهل السنة والجماعة، كيف نفهم العقيدة؟ وكيف نعتمد على قرآن وسنة بفهم سلف الأمة.

القاعدة السادسة

التي نفهم من خلالها العقيدة الصحيحة التي كان عليها سلفنا الصالح: عدم المساس بأصل الإسلام وهو التوحيد، والمقصود به إفراد الله عما سواه، فالآيات القرآنية والأحاديث النبوية جاءت في جملتها وتفصيلها بالدعوة إلى توحيد الله، سواء كان ذلك في توحيد الربوبية وإفراده بالخلق والأمر، كما قال: ﴿أَلَا لَهُ الْخَلْقُ وَالْأَمْرُ تَبَارَكَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأعراف: ٥٤]، أو كان في توحيد العبادة، كما قال: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلَّا لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلَاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾ [البينة: ٥]، فلا ينبغي الخضوع عن محبة ورغبة لأحد إلا لله وحده، فلا شريك له في العبادة.

والدعوة إلى توحيد الله أيضًا تكون في الإيمان بما أثبته الله لنفسه من أنواع الكمالات في الأسماء والصفات، فلا بد من إفراد الله سبحانه وتعالى بذاته وصفاته وأفعاله، عن الأقيسة والقواعد والقوانين التي تحكم ذوات المخلوقين وصفاتهم وأفعالهم، والدليل على ذلك من القرآن قوله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾، فبين سبحانه انفراده عن كل شيء من أوصاف المخلوقين بجميع ما ثبت له من أوصاف الكمال والجلال، وقال تعالى في أول سورة الإخلاص: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ١]، وقال في نهايتها مبينًا معنى الأحدية: ﴿وَلَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: ٤]، أي أن الأحد هو المنفرد بأوصاف الكمال، الذي لا مثيل له فنحكم على كيفية أوصافه من خلاله، ولا يستوي مع سائر الخلق فيسري عليه قانون أو قياس أو قواعد تحكمه كما تحكمهم؛ لأنه المتصف بالتوحيد المنفرد عما يحكم العبيد.

وقال تعالى: ﴿هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا﴾ [مريم: ٦٥]، أي: هل تعلم له شبيهًا مناظرًا يدانيه أو يساويه، أو يرقى إلى سمو ذاته وصفاته وأفعاله، وعلى ذلك فلا يمكن بحال من الأحوال، أن نخضع أوصاف الله لما يحكم أوصاف

البشر من قوانين أو نجعل أوصاف البشر تشبه أوصاف الله عز وجل، تحت أي ادعاء أو فكر أو ذوق أو كشف، فالذين وحدوا ربهم اعتمدوا على القرآن والسنة بفهم سلف الأمة في إثبات توحيدهم، واعتبروا أن ما ورد في وصف الله ينفرد به ولا يشاركه فيه غيره، أما التوحيد الذي يجوز فيه صاحبه كفر فرعون وإبليس في عصيانهما الأمر الإلهي، بل يرى صاحبه أن فيهما مثالاً للفتوة الحقة، فإبليس لما عصى الله بامتناعه عن السجود لآدم، إنما عصى الأمر لأنه أبى أن يسجد إلا لله، فهو عنده من الموحدين الذين يتحملون نار جهنم ويسعدون بالبقاء فيها من أجل حبهم لربهم، فإبليس في نظر الحسين بن منصور الحلاج كان مجيبًا لله لا عاصيًا، وكان إبليس مقدسًا لأمر الله معظمًا للآمر.

يقول الحلاج: «فصاحبي وأستاذي إبليس وفرعون، فإبليس هدد بالنار وما رجع عن دعواه، وفرعون أغرق في اليم وما رجع عن دعواه، وإن قتلت أو صلبت أو قطعت يداي ورجلاي ما رجعت عن دعواي»، وثبت عنه أنه قال أيضًا:

أنا من أهوى ومن أهوى أنا
نحن روحان حللنا بدنا
فإذا أبصرتني أبصرته
وإذا أبصرته أبصرتنا

وقريب من فعل الحلاج، ما يروى عن بعض الصوفية كأبي الحسين النووي في تفضيله نباح الكلب على تكبير المؤذن، فلما سمع المؤذن دعا عليه قائلاً: اللعنة عليك، ولما سمع نباح الكلاب فقال: لبيك وسعديك، وسئل عن ذلك، فقال: أما المؤذن فأنا أغار عليه أن يذكر الله، وهو غافل يأخذ عليه الأجرة ولولا الأجرة من حطام الدنيا لما ذكر الله، فلذلك قلت له: اللعنة عليك، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمْدِهِ وَلَكِنْ لَا تَفْقَهُونَ تَسْبِيحَهُمْ﴾ [الإسراء: ٤٤]، فالكلب وكل شيء يذكرون الله بلا رياء ولا سمعة ولا طلب للعوض.

وفي هذا الكلام وأمثاله هدم لمعاني الكتاب والسنة، واستهزاء بتوحيد الله فالمخلوقات تسبح بالاستجابة الأولى لأمر الله، فقد اختارت في بداية الأمر قبول الطاعة الدائمة، كما قال تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاءِ وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ائْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ﴾ [فصلت: ١١].

أما الإنسان فهو حامل الأمانة، مستخلف في الأرض، مريد حر مكلف باتباع الشرع على سبيل الابتلاء، فلابد من السعي والمجاهدة وتنفيذ ما أمر الله به في القرآن والسنة، وتصديق ما جاء فيها من أخبار عن الله وأوصافه وأفعاله وسائر ما ورد عن عالم الغيب، أما خلط المسائل والتلبيس في أصول التوحيد فلا يجتمع أبدًا مع الاعتماد على القرآن والسنة بفهم سلف الأمة، فابن عربي الصوفي يجعل تنزيه الله جهلاً وسوء أدب، يقول: «اعلم أن التنزيه عند أهل الحقائق في الجناب الإلهي، عين التحديد والتقييد، فالمنزه إما جاهل وإما صاحب سوء أدب، وهو كمن آمن ببعض وكفر ببعض». فقال:

فإن قلت بالتنزيه كنت مقيدًا
وإن قلت بالتشبيه كنت محددًا
وإن قلت بالأمرين كنت مسددًا
وكنت إمامًا في المعارف سيدًا

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

● توحيد المعرفة هو إفراد الله تعالى بذاته وصفاته وأفعاله عن الأقيسة والقواعد التي تحكم ذوات المخلوقين وصفاتهم وأفعالهم

● عدم الرجوع إلى أدلة الكتاب والسنة الثابتة كاملة كوحدة واحدة في الموضوع الواحد قد أوقع كثيرًا من المسلمين في الضلال

أنصار السنة ودورها

الحمد لله الذي أحاط بكل شيء علمًا.. وأحصى كل شيء عددا. والصلاة والسلام على رسوله الذي هو بالمؤمنين رءوف رحيم.

وبعد..

فإن جماعة أنصار السنة المحمدية التي أسست دعوتها على تقوى من الله ورضوان في غنى عن التعريف والبيان، وقد أصبح أبناء مجتمعنا يعرفونها إلا قليلاً منهم! فضلاً عن انتشارها خارج مصر حتى طار ذكرها في المشارق والمغارب.

ونظرًا لما تميزت به دعوة أنصار السنة من الحكمة والموعظة الحسنة، والبصيرة، والتمسك بالكتاب والسنة، واتباع منهج السلف والبعد عن الخرافات والبدع.

نظرًا لهذا كله فقد أقبل المسلمون بعامة - والشباب بخاصة - على هذه الدعوة المباركة التي تحمل في ذاتها مقومات الدعوة الناجحة وعلى رأسها توفيق الله عز وجل للقائمين بها.

ولسنا نزعم لأنفسنا أننا وحدنا أصحاب السبق في الميدان! لكن توجد جماعات أخرى تقوم بالدعوة إلى الله، ومنهجنا يشتمل على ميزات راسخة. وإن كان عندنا سلبيات فالخطأ في التطبيق وليس في المنهج.

وإنما أردت بهذه المقدمة أن أتحدث إلى إخواني القراء في قضية هامة تتعلق بأمن المجتمع واستقراره فأقول مستعينًا بالله معتصمًا به:

نحن في زمان الفتن! ومجتمعنا يعاني من عدم الاستقرار! وكلنا يريد مجتمعًا آمنًا، وبلدًا آمنًا! وقد تفرقت بنا السبل، وتشعبت بنا الطرق! وما زلنا نبحث عن الحل. فما هو الحل؟!

البعض يرى الحل في بدء حوار حقيقي مع الشباب والاستماع إليه بآذان مصغية وقلوب واعية!

والبعض يرى الحل في القضاء على الإرهاب بمزيد من الإرهاب!

وشركات التأمين ترى الحل في بوليصة التأمين!! لأنها حصن أمان للملايين!

والفنانون والفنانات يرون الحل في مزيد من أفلام الدعارة والأغاني الهابطة التي تقلل نسبة العائدين إلى الله فإن كثرة التائبين تزعج الفنانين!!

وقد اكتشفت الجهات الأمنية أن كثيرًا من الفنانين متورطون في بيع وشراء وشرب الهيروين!! ولو كان هناك إنصاف لاتجهت الهمم إلى إخراج فيلم سينمائي عن الفنانين وتعاطي الهيروين قبل إخراج فيلم «الإرهاب والكباب»!!

وصحف المعارضة يرون الحل في مزيد من الديمقراطية بدلاً من المواجهة!

وأقلام العبيد تؤيد كل القرارات وتبارك جميع الاقتراحات!!

ونحن نرى الحل في مجتمع الطاعة الذي كان ينام فيه أمير المؤمنين تحت الشجرة لا يخشى أحدًا إلا الله!!

كيف نبني مجتمع الطاعة؟

إن الناظر في واقعنا ومجتمعنا يرى أن بعضنا يدعو إلى الخير ويأمر به ويدل عليه ويثمر ذلك أمنًا واستقرارًا.

وفي المجتمع من يدعو إلى الشر وييسر أسبابه ويفتح أبوابه! ويثمر ذلك عنفًا وإرهابًا!!

وبعبارة أخرى: منا من يبني ومنا من يهدم!

فأما الذين يبنون، فإنهم يعملون في صمت بعيدًا عن الأضواء.

وأما الذين يهدمون من دعاة الشر وحملة أقلامه فإنهم يدعون إلى حوار لا يقوم على حجة ولا يستند إلى دليل ولا يؤذن فيه بالكلام!!

وأنصار السنة تقوم بدور متميز في الوصول إلى مجتمع الطاعة وهو مجتمع الأمن والاستقرار برغم ما يعترض طريقها من معوقات.

إننا ندعو إلى التوبة، وكل تائب إلى الله فهو لبنة في بناء مجتمع الاستقرار.

وعندما يتوب اللصوص يأمن الناس على أموالهم وأرواحهم.

وعندما يتوب مدمنو المخدرات والمدخنون يزيد دخل الأسرة أضعافًا! ويزيد الإنتاج الذي يثمر استقرارًا اقتصاديًا وأمنيًا!

وإذا تاب المتصوفة وأرباب الموالد فإن ذلك معناه الإقلاع عن أكل أموال الناس بالباطل وتحويل الأيدي العاطلة إلى أيد عاملة!

وتوبة الشباب بصفة عامة تحول بينهم وبين الإفساد في الأرض.

وتوبة المتبرجة تمنع من تكرار حادث العتبة!!

في استقرار المجتمع

بقلم / صفوت الشوادفي .رحمه الله.

نشرت بمجلة التوحيد عدد صفر عام ١٤١٣هـ

وإننا ندعو إلى العلم النافع، وعلامة العلم النافع العمل الصالح، وثمرته الوصول إلى مجتمع الطاعة.

وعندما تقوم أنصار السنة بواجبها في مساعدة الفقراء والمحتاجين ومعالجة المرضى بالمجان وتربية الأيتام فإنها تساهم بذلك مساهمة فعالة في القيام بواجب عجزت عنه جهات الاختصاص!!

والفقراء الذين يتنكر لهم مجتمعهم قد يتحولون إلى لصوص!

والأيتام الذين لا تمتد الأيدي لمساعدتهم قد يتحولون إلى منحرفين وقطاع طريق!!

ونحن نحذر المجتمع دائمًا من المعاصي والسيئات، ونذكره بربه ونعرفه به، نحذر من الانحراف في جميع صوره وأشكاله، ونحذر من الربا والرشوة وأكل الحرام، ونحذر المتبرجة من عاقبة تبرجها، ونحذر تارك الصلاة من عاقبة تركه لها ومانع الزكاة من عاقبة منعه. ونحذر بصفة عامة من ترك الواجبات وفعل المنكرات.

ونحن ندعو دائمًا ونطالب من قبل ومن بعد بتطبيق شريعة الله في أرضه فإنها صمام الأمن والاستقرار.

ولن نصل إلى غايتنا بغير تحكيم لشريعتنا! لا استقرار بغير الشريعة ولا أمان في غيابها!

ودعوتنا إلى الفضيلة من أقوى الأسباب التي تؤدي إلى استقرار المجتمع وبناء مجتمع الطاعة المنشود.

وأخطر شيء على مجتمعنا المسلم دعاة الرذيلة وأصحاب الأقلام المأجورة.

الفنانون والفنانات عبيد للماسونية العالمية!!

وهذه شهادة أحد الفنانين المشهورين نسوقها إلى المخدوعين من بني جلدتنا حتى يثوبوا ويتوبوا وما ذلك على الله بعزيز.

في جريدة «المسلمون» الصادرة يوم الجمعة ١٤١٣/١/٢٤هـ جاء ما يلي:

الفنان حسن يوسف أحد الفنانين الملتزمين داخل الوسط الفني. عاصرت نشأته الفنية موجة من الانحلال في السينما العربية، والآن تزامن التزامه مع قطار الفنانات التائبات اللاتي اعتزلن الفن وارتدين الحجاب.

في حواره مع «المسلمون» نظر حسن يوسف إلى الوراء بقليل من الرضا وكثير من السخط وأدان في عبارات واضحة كثيرًا مما يحدث داخل الوسط الفني.

ماذا ترى في الفن الذي يقدم الآن في العالم العربي؟

الفن الذي يقدم الآن لا يفيد المجتمع بل يعمل على تحطيمه، ولقد استطاع المخطط الإسرائيلي أن يصل عن طريق جماعات الماسونية إلى البعض وهم يعرفون أنفسهم كما نعرفهم جيدًا. فهناك مجموعة سينمائية تتكون من منتج وسيناريست ومخرج وممثل يعملون أفلامًا نقلاً عن المجتمع الأمريكي وتعمل هذه الأفلام على نشر الفساد في مصر والعمل على نشر الجريمة والإخلال بالمجتمع.

هذه المجموعة التي تحصل على ملايين الدولارات من جماعات الماسونية تجد في جميع أفلامها البطل يمسك ببندقية أو رشاش ويمارس العنف بكل السبل، بالإضافة إلى نشر المخدرات حيث تظهر هذه الأفلام تجار المخدرات بالقوة والسطوة.

ولذلك وجدت بعض الجرائم التي لم تكن نسمع عنها من قبل بهدف زعزعة الأمن في المجتمع العربي.

باعتبارك فنانًا ملتزمًا.. ما تفسيرك لقطار الفنانات التائبات اللاتي يعتزلن الفن ويرتدين الحجاب؟

الاعتزال سلوك شخصي لا ينبغي أن يتدخل فيه أحد. هل الفنانة المعتزلة اعترضت على من هاجمها، رغم أنه فرط في عرضه ودينه؟ والعجيب أن الذين اعترضوا على اعتزال الفنانات من الرجال وليسوا من النساء وهذا نوع من «البجاحة» والتدخل فيما لا يعنيه! وأقول للجميع اتقوا الله.

إن الأخوات المعتزلات اكتشفن أن آمالهن في هذا المجال تعرضهن للمحظورات فقررن الاعتزال.

خرجت بعض الأصوات تصف الفنانات المعتزلات بأنهن ضعيفات الشخصية، ما تعليقك؟

قال: هذا كلام فارغ وسوقي لا يقال في ندوات أو على صفحات الجرائد. اهـ.

ألم أقل لك إن منا من يبني ومنا من يهدم!! لقد آن الأوان لتوبة صادقة، والله عز وجل ينادينا «أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ».

والله من وراء القصد.

القول السديد في الرد على

بدأنا بحمد الله تعالى في الحلقة السابقة في ذكر بعض أقوال السلف في تقرير تقسيم التوحيد إلى أقسامه الثلاثة وكان آخر ما ذكرنا قول الإمام الطحاوي: «نقول في توحيد الله معتقدين بتوفيق الله: إن الله واحد لا شريك له، ولا شيء مثله، ولا شيء يعجزه، ولا إله غيره».

وظهرت أقسام التوحيد الثلاثة صريحة واضحة في نصٍّ هذا الإمام رحمه الله، وقد ذكر في مقدمة متنه المذكور أنه مشتمل على: «بيان عقيدة أهل السنة والجماعة على مذهب فقهاء الملة: أبي حنيفة النعمان بن ثابت الكوفي، وأبي يوسف يعقوب بن إبراهيم الأنصاري، وأبي عبد الله محمد بن الحسن الشيباني، رضوان الله عليهم أجمعين، وما يعتقدون من أصل الدين، ويدينون به رب العالمين».

٥- قال أبو حاتم محمد بن حبان البستي المتوفى سنة ٣٥٤هـ في مقدمة كتابه «روضة العقلاء ونزهة الفضلاء»: «الحمد لله المتفرد بوحدانية الألوهية، المتعزز بعظمة الربوبية، القائم على نفوس العالم بآجالها، والعالم بتقلبها وأحوالها، المانِّ عليهم بتواتر آلائه، المتفضل عليهم بسوابغ نعمائه، الذي أنشأ الخلق حين أراد بلا معين ولا مشير، وخلق البشر كما أراد بلا شبيه ولا نظير، فمضت فيهم بقدرته مشيئته، ونفذت فيهم بعزته إرادته».

فذكر الأقسام الثلاثة: الألوهية والربوبية والأسماء والصفات.

٦- قال ابن أبي زيد القيرواني المالكي المتوفى سنة ٣٨٦هـ في مقدمة عقيدته: «من ذلك: الإيمان بالقلب والنطق باللسان بأنَّ الله إله واحد لا إله غيره، ولا شبيه له، ولا نظير، ولا ولد له ولا والد، ولا صاحبة له ولا شريك له، ليس لأوليته ابتداء ولا لآخريته انقضاء، لا يبلغ كنه صفته الواصفون، ولا يحيط بأمره المتفكرون... إلى أن قال: تعالى أن يكون في ملكه ما لا يريد أو يكون لأحد عنه غنىً، خالق لكل شيء، ألا هو رب العباد ورب أعمالهم والمقدر لحركاتهم وآجالهم».

٧- قال الإمام أبو عبد الله عبيد الله بن محمد بن بطة العكبري، المتوفى سنة ٣٨٧هـ في كتابه «الإبانة عن شريعة الفرقة الناجية ومجانبة الفرق المذمومة»: «وذلك أن أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء:

أحدها: أن يعتقد العبد ربانيته؛ ليكون

لا إيمان ولا توحيد لمن لم يأت

خاطب الله عباده بدعائهم إلى المستفاد

من أنكر تقسيم التوحيد

بذلك مباينًا لمذهب أهل التعطيل الذين لا يثبتون صانعًا.

والثاني: أن يعتقد وحدانيته؛ ليكون مباينًا بذلك لمذهب أهل الشرك الذين أقروا بالصانع وأشركوا معه في العبادة غيره.

والثالث: أن يعتقده موصوفًا بالصفات التي لا يجوز إلا أن يكون موصوفًا بها من العلم والقدرة والحكمة وسائر ما وصف به نفسه في كتابه.

إذ قد علمنا أنَّ كثيرًا ممن يقرُّ به ويوحده بالقول المطلق قد يلحد في صفاته فيكون إلحاده في صفاته قادحًا في توحيده.

ولأنّا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها.

فأما دعاؤه إياهم إلى الإقرار بربانيته ووحدانيته فلسنا نذكر هذا هاهنا لطوله وسعة الكلام فيه، ولأن الجهمي يدَّعي لنفسه الإقرار بهما وإن كان جحده للصفات قد أبطل دعواه لهما.

ثم أخذ يورد ما يدل على بطلان قول الجهمية في نفي الصفات.

بأقسام التوحيد الثلاثة

كل قسم من أقسام التوحيد الثلاثة والإيمان بها

إعداد
عبد الرازق بن عبد المحسن البدر

وهذا نص في غاية الوضوح في ذكر أقسام التوحيد الثلاثة.

وتامل- يا رعاك الله- قول ابن بطة: «ولأنا نجد الله تعالى قد خاطب عباده بدعائهم إلى اعتقاد كل واحدة من هذه الثلاث والإيمان بها». ففيه أبلغ ردٍّ على من يزعم أنَّ هذا التقسيم لم يرد في كتاب الله ولا في سنة رسوله ﷺ.

وتأمل قوله في بداية كلامه: «وذلك أنَّ أصل الإيمان بالله الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان به ثلاثة أشياء». فقد نصَّ رحمه الله على أنَّ أقسام التوحيد الثلاثة هي أصل الإيمان الذي يجب على الخلق اعتقاده في إثبات الإيمان بالله، ومعنى ذلك أنه لا إيمان لمن لم يأت بهذه الأمور الثلاثة ولا توحيد؛ إذ الإيمان والتوحيد هو إفراد الله وحده بهذه الأمور الثلاثة، فمن لم يأت بتوحيد الربوبية فهو معطل للخالق مشرك في ربوبية الله، ومن لم يأت بتوحيد الألوهية فهو مشرك في ألوهية الله وعبادته كالمشركين عبدة الأصنام، ومن لم يأت بتوحيد الأسماء والصفات فهو كافر ملحد في أسماء الله وصفاته. وللحديث بقية إن شاء الله تعالى.

الأمن يوم الفزع الأكبر

الحلقة الأولى

بقلم / صلاح عبد الخالق

الحمد لله على نعمة الإسلام والصلاة والسلام على سيد الأنام. وبعد:

فإن يوم القيامة شديد الآلام فيه غاية الفزع الذي تشيب له الولدان، من أجل ذلك تعالوا نبحث عن وسائل الأمن والأمان والتي عن طريقها نأخذ شهادة الرحمن: ﴿لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾.

أولاً: يوم الفزع الأكبر:

تحدث في يوم القيامة أهوالٌ مفزعة متراكمة لا تخطر على بال، من هذه الأهوال:

١- طول يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿تَعْرُجُ الْمَلَائِكَةُ وَالرُّوحُ إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ﴾. في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «.. حتى يحكم الله بين عباده في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة».

قال الحسن: ما ظنك بيوم قاموا على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون أكلة ولا يشربون فيها شربة حتى انقطعت أعناقهم عطشًا واحترقت أجوافهم جوعًا.

٢- حمل الذنوب على الظهر:

قال تعالى: ﴿لِيَحْمِلُوا أَوْزَارَهُمْ كَامِلَةً يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَمِنْ أَوْزَارِ الَّذِينَ يُضِلُّونَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [النحل: ٢٥]. ﴿وَهُمْ يَحْمِلُونَ أَوْزَارَهُمْ عَلَى ظُهُورِهِمْ أَلَا سَاءَ مَا يَزِرُونَ﴾ [الأنعام: ٣١]. وهذه مصيبة عظيمة، ألا يكفي أن يحملوا ذنوبهم التي تثقل الظهر وتقصمه بل يحملون ذنوب الذين يقلدونهم ويدعونهم إلى الضلال ألا ساء ما يزرون.

٣- مجيء جهنم:

قال تعالى: ﴿وَجِيءَ يَوْمَئِذٍ بِجَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ يَتَذَكَّرُ الْإِنْسَانُ وَأَنَّى لَهُ الذِّكْرَى (٢٣) يَقُولُ يَا لَيْتَنِي قَدَّمْتُ لِحَيَاتِي﴾ [الفجر: ٢٣، ٢٤].

وورد في صحيح مسلم عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «يؤتى بجهنم لها سبعون ألف زمام مع كل زمام سبعون ألف ملك يجرونها». فتأمل هذا الأمر فهذه الملايين من الملائكة لكي تمسك بالنار حتى لا تلتهم المخلوقات الواقفة في أرض المحشر.

٤- هول الموقف:

في يوم القيامة الحرارة لا تطاق، فالشمس فوق الرؤوس ملتهبة، والموقف طويل، والنار تحيط بأرض المحشر فيزداد الموقف اشتعالاً وهمًا وغمًا وكربًا، ويزداد العرق.

عن أبي هريرة رضي الله عنه قال رسول الله ﷺ: «أنا سيد الناس يوم القيامة، هل تدرون لِمَ ذاك؟ يجمع الله الأولين والآخرين في صعيد واحد فيسمعهم الداعي وينفذهم البصر وتدنو الشمس منهم فيبلغ الناس من الغم والكرب ما لا يطيقون ولا يحتملون». [صحيح سنن الترمذي للألباني ٢٤٣٤].

ثانيًا: الأمن يوم الفزع الأكبر:

قال تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾، (كبد) نصب وشدة يكابد مصائب الدنيا وشدائد الآخرة. [تفسير الجلالين ٥٩٤].

قال العلامة السعدي في تفسيره (٩٢٥/١): قوله تعالى: ﴿لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ فِي كَبَدٍ﴾: يحتمل أن المراد بذلك ما يكابده ويقاسيه من الشدائد في الدنيا وفي البرزخ ويوم يقوم الأشهاد وأنه ينبغي له أن يسعى في عمل يريحه من هذه الشدائد ويوجب له الفرح والسرور الدائم.

والاستقامة على التوحيد من أهم أسباب الأمن والسلام يوم القيامة.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٣، ١٤].

قال العلامة السعدي في تفسيره (٧٨٠/١٥): ﴿قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ﴾ أي: إن الذين أقروا بربهم وشهدوا له بالوحدانية والتزموا طاعته وداوموا على ذلك واستقاموا مدة حياتهم.

والاستقامة جامعة لأوصاف الإسلام: ففي صحيح مسلم عن سفيان بن عبد الله الثقفي قال: قلت: يا رسول الله، قل لي في الإسلام قولاً لا أسأل عنه أحدًا بعدك، قال: «قل: آمنت بالله ثم استقم». قال الإمام النووي: هذا من جوامع كلمه ﷺ وهو مطابق لقوله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي: وحدوا الله وآمنوا به ثم استقاموا فلم يحيدوا عن التوحيد والتزموا طاعته سبحانه

• ماظنك بيوم قام الناس فيه على أقدامهم مقدار خمسين ألف سنة لا يأكلون ولا يشربون والشمس دانية من الرؤوس وقد أتي بجهنم في الموقف فيشتد الكرب والهول..
• الاستقامة على التوحيد الكامل أمان في الدنيا والآخرة..

وتعالى إلى أن توفوا على ذلك. [شرح مسلم ٢١٣/١].

ومن حقق التوحيد قولاً وعملاً فله الأمن التام:

١- الأمن في الدنيا:

قال تعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُم مِّن بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥]، الوعد من الله تعالى بتحقيق الأمن في الدنيا مشروط بتحقيق التوحيد.

٢- الأمن عند الموت:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

الخوف: هو الذعر ولا يكون إلا في المستقبل، والمستقبل هنا أهوال يوم القيامة وما بعدها؛ والحزن لا يكون إلا على ماض والمقصود هنا لا يحزن على ما خلفه في الدنيا.

عن البراء بن عازب رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن الملائكة تقول لروح المؤمن: اخرجي أيتها الروح الطيبة في الجسد الطيب كنت تعمرينه أخرجي إلى روح وريحان ورب غير غضبان». حسنه الألباني في أحكام الجنائز.

عند خروج روح من استقام على التوحيد مدة حياته تنزل عليه الملائكة تطمئنه وتبشره وتشعره بالسعادة.

٣- الأمن في القبر:

أجرى الله الكريم سننه أن من عاش على شيء مات عليه، ومن مات على شيء بُعث عليه، فمن ثبت على التوحيد قولاً وعملاً ثبته الله عليه وأمنه به من الأهوال المفزعة والتي منها القبر وما أدراك ما القبر؟

وفي صحيح سنن الترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا أقبر الميت أتاه ملكان أسودان أزرقان يقال لأحدهما المنكر والآخر النكير فيقولان: ما كنت تقول في هذا الرجل؟ فيقول: هو عبد الله ورسوله، أشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدًا عبد الله ورسوله، فيقولان: قد كنا نعلم أنك تقول هذا ثم يفسح له في قبره سبعون ذراعًا في سبعين ثم ينور له فيه ثم يقال له: نم، فيقول: أرجع إلى أهلي فأخبرهم فيقولان: نم كنومة العروس الذي لا يوقظه إلا أحب أهله إليه حتى يبعثه الله من مضجعه ذلك».

٤- الأمن يوم الفزع الأكبر:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أَوْلِيَاؤُكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ﴾، قال ثابت: بلغنا أن العبد المؤمن حين يبعثه الله تعالى من قبره يتلقاه الملكان اللذان كانا معه في الدنيا فيقولان له: لا تخف ولا تحزن: ﴿وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ قال: فيؤمن الله تعالى خوفه ويقر عينه، فما من عظيمة يخشى الناس منها يوم القيامة إلا هي للمؤمن قرة عين- أمن وأمان وطمأنينة- لما هداه الله تبارك وتعالى ولما كان يعمل له في الدنيا.

قال الإمام القرطبي: تقول الملائكة إذا كان يوم القيامة لا نتخلى عنكم ولا نفارقكم حتى ندخلكم الجنة. [تفسير القرطبي ٥٩٧٩/٦].

٥- الخلود في الجنة:

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ (١٣) أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ خَالِدِينَ فِيهَا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [الأحقاف: ١٤، ١٥].

كيف نستقيم على التوحيد؟

قال الحافظ ابن رجب: قوله تعالى: ﴿ثُمَّ اسْتَقَامُوا﴾ أي: استقاموا على التوحيد الكامل وهو تحقيق لا إله إلا الله، فإن لا إله إلا الله معناها أن الله هو المعبود الذي يُطاع فلا يعصى خشية وإجلالاً ومهابة ومحبة ورجاء وتوكلاً ودعاءً. والمعاصي كلها قادحة في هذا التوحيد، لأنها إجابة الداعي لهوى الشيطان. [جامع العلوم والحكم].

فمن استقام على التوحيد قولاً وعملاً عاش في الدنيا مطمئنًا وفي الآخرة لا يمر بأي كربة من كُرب الآخرة إلا بشرته الملائكة بما أعد له ويسرت له الحفظ من كل الكرب وبشرته بالجنة التي كان يوعد بها.

والله من وراء القصد

ماذا يحب الله

يحب الله بر الوالدين

قد أمر الله تعالى ببر الوالدين والإحسان إليهما وخفض الجناح لهما ونهى عن عقوقهما، فقال تعالى: ﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوا إِلَّا إِيَّاهُ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا (٢٣) وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا ﴾ [الإسراء: ٢٣، ٢٤].

وبر الوالدين يعني طاعتهما في المعروف، وعلى هذا إذا أمرا ولدهما بأمر وجبت طاعتهما فيه، إذا لم يكن ذلك الأمر معصية، وكان ذلك المأمور به من قبيل المباح في أصله، وكذلك إذا كان من قبيل المندوب، وقد ذهب بعض الناس إلى أن أمرهما بالمباح يصيّره في حق الوالد مندوبًا إليه، وأمرهما بالمندوب يزيده تأكيدًا في نَدْبيته، ولا يختص بر الوالدين بأن يكونا مسلمين، بل إن كانا كافرين يبرهما ويحسن إليهما إذا كان لهما عهد، وقوله تعالى: ﴿ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ الْكِبَرَ أَحَدُهُمَا أَوْ كِلَاهُمَا ﴾ خص حالة الكبر لأنها الحالة التي يحتاجان فيها إلى بره لتغير الحال عليهما بالضعف والكبر؛ فألزمه في هذه الحالة مراعاة أحوالهما أكثر مما ألزمه من قبل، لأنهما في هذه الحالة قد صارا كلاً عليه، فيحتاجان أن يلي منهما في الكبر ما كان يحتاج في صغره أن يلياه منه، فلذلك خص هذه الحالة بالذكر. وقد أمر أن يقابلهما بالقول الموصوف بالكرامة، وهو السالم عن كل عيب فقال: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَا أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ﴾. وقد قال النبي ﷺ : «رغم أنفه ثم رغم أنفه ثم رغم أنفه». قيل: مَن يا رسول الله؟ قال :«مَن أدرك والديه عند الكبر أحدهما أو كليهما ثم لم يدخل الجنة». [أخرجه مسلم- كتاب البر- باب تقديم الوالدين على التطوع بالصلاة وغيرها].

فالسعيد الذي يبادر اغتنام فرصة برهما لئلا تفوته بموتهما فيندم على ذلك. والشقي مَن عقّهما، لا سيما من بلغه الأمر ببرهما.

قال تعالى: ﴿ وَاخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ الذُّلِّ مِنَ الرَّحْمَةِ﴾ هذه استعارة في الشفقة والرحمة بهما والتذلل لهما تذلل الرعية للأمير والعبيد للسادة، والذل: هو اللين. والذلول من الدواب المنقاد السهل دون الصعب، فينبغي بحكم هذه الآية أن يجعل الإنسان نفسه مع أبويه في خير ذلة، في أقواله وسكناته ونظره، ولا يُحِدّ إليهما بصره فإن تلك هي نظرة الغاضب: ﴿وَقُل رَّبِّ ارْحَمْهُمَا ﴾ أمر تعالى عباده بالترحم على آبائهم والدعاء لهم، وأن ترحمهما كما رحماك وترْفُق بهما كما رفقا بك؛ إذ وَلياك صغيرًا جاهلاً محتاجًا فآثراك على أنفسهما، وأسهرا ليلهما، وجاعا وأشبعاك، وتعريا وكَسَواك، فلا تجزيهما إلا أن يبلغها من الكبر الحدّ الذي كنت فيه من الصغر، فتلي منهما ما وَليا منك، ويكون لهما حينئذ فضل التقدم، ﴿كَمَا رَبَّيَانِي صَغِيرًا﴾ خص التربية بالذكر ليتذكر العبد شفقة الأبوين وتعبهما في التربية، فيزيده ذلك إشفاقًا لهما وحنانًا عليهما.

ولماذا يكره الله

يكره الله العقوق

قال رسول الله ﷺ: «إن الله لا يحب العقوق». [صحيح الجامع ١٨٤٩].

العقوق: العق هو الشق والقطع، وهو ضد البر، والمراد به صدور ما يتأذى به الوالد من ولده من قول أو فعل، فالوالدان يحملان أذى ولدهما وهو صغير راجين حياته.

وعقوق الوالدين محرم وهو من أكبر الكبائر، قال رسول الله ﷺ: «ألا أنبئكم بأكبر الكبائر... الإشراك بالله، وعقوق الوالدين...». [البخاري- كتاب الأدب، باب عقوق الوالدين من الكبائر].

وعقوق الوالدين مخالفتهما في أغراضهما الجائزة لهما.

قال تعالى: ﴿ فَلاَ تَقُلْ لَهُمَا أُفٍّ ﴾ أي: لا تقل لهما ما يكون فيه أدنى تبرم. وعن أبي رجاء العُطاردي قال: الـ «أف» الكلام القذع الرديء الخفي.

وقال مجاهد: معناه إذا رأيت منهما في حال الشيخوخة الغائط والبول الذي رأياه منك في الصغر فلا تقذرهما وتقول: أف. والآية أعم من هذا. ولو علم الله من العقوق شيئا أردأ من «أف» لذكره. قيل: وإنما صارت قولة «أف» للأبوين أردأ شيء لأنه رفضهما رفض كفر النعمة، وجحد التربية وردّ الوصية التي أوصاه في التنزيل.

وقال تعالى: ﴿ وَلاَ تَنْهَرْهُمَا ﴾ النهر: الزجر والغلظة: ﴿ وَقُلْ لَهُمَا قَوْلاً كَرِيمًا ﴾ أي: لينًا لطيفًا، مثل: يا أبتاه، ويا أماه، ومن غير أن يسميهما ويكنيهما.

بقلم/ عدنان الطرشة

من نور كتاب الله

قال تعالى: ﴿قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ قُلِ اللَّهُ قُلْ أَفَاتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ لاَ يَمْلِكُونَ لأَنْفُسِهِمْ نَفْعاً وَلاَ ضَرّاً قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الأَعْمَى وَالْبَصِيرُ أَمْ هَلْ تَسْتَوِي الظُّلُمَاتُ وَالنُّورُ أَمْ جَعَلُوا لِلَّهِ شُرَكَاءَ خَلَقُوا كَخَلْقِهِ فَتَشَابَهَ الْخَلْقُ عَلَيْهِمْ قُلِ اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾ [الرعد: ١٦].

من هدي رسول الله ﷺ

عن ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ كان يقول عند الكرب: لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السموات ورب الأرض ورب العرش الكريم. [أخرجه مسلم ٢٧٣٠].

من أقوال السلف

قال أبو عثمان الحيري: «من أمّر السنة على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالحكمة، ومن أمّر الهوى على نفسه قولاً وفعلاً نطق بالبدعة، قال تعالى: ﴿وَإِنْ تُطِيعُوهُ تَهْتَدُوا﴾». [الاعتصام ٩٦/١].

قال الزهري: كان من مضى من علمائنا يقولون: الاعتصام بالسنة نجاة، والعلم يقبض قبضًا سريعًا، فعيشُ العلم ثبات الدين والدنيا، وفي ذهاب العلم ذهاب ذلك كله. [الدارمي ٥٨/١].

حكم ومواعظ

عن إبراهيم التيمي قال: «المؤمن إذا أراد أن يتكلم نظر، فإن كان كلامه له تكلم، وإن كان عليه أمسك عنه، والفاجر إنما لسانه رسلاً رسلاً». [كتاب الصمت ٢٤٧].

وقال بعض الحكماء: من أدّب ولده صغيرا سرّ به كبيرًا.

ولما حضرت الوفاة حسان بن سنان قيل له: كيف تجدك؟ قال: بخير إن نجوت من النار.

من علامات أهل السنة

قال سهل بن عبد الله التستري لرجل سأله متى يعلمُ الرجل أنه من أهل السنة والجماعة، فقال: إذا عرف من نفسه عشر خصال: لا يترك الجماعة، ولا يسب أصحاب النبي ﷺ، ولا يخرج على هذه الأمة بالسيف، ولا يكذب بالقدر، ولا يشك في الإيمان، ولا يماري في الدين، ولا يترك الصلاة على من يموت من أهل القبلة بالذنب، ولا يترك المسح على الخفين، ولا يترك الجماعة (أو الجمعة) خلف كل والٍ جار أو عدل. [شرح أصول الاعتقاد ١٨٣/٢].

من درر العلماء في آيات الصفات

قال الإمام أبو بكر الآجري: والذي يذهب إليه أهل العلم: أن الله عز وجل على عرشه فوق سماواته، وعلمه محيط بكل شيء، قد أحاط علمه بجميع ما خلق في السموات العلا، وبجميع ما في سبع أرضين وما بينهما وما تحت الثرى، يعلم السر وأخفى ويعلم خائنة الأعين وما تخفي الصدور، ويعلم الخطرة والهمة ويعلم ما توسوس به النفوس يسمع ويرى، فهو على عرشه سبحانه العلي الأعلى ترفع إليه أعمال العباد، وهو أعلم بها من الملائكة الذين يرفعونها بالليل والنهار. [الشريعة للآجري ٦٦/٢].

من وصايا السلف

قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: آخ الإخوان على قدر التقوى ولا تجعل حديثك بذلة إلا عند من يشتهيه، ولا تضع حاجتك إلا عند من يحب قضاءها، ولا تغبط الأحياء إلا بما تغبط الأموات، وشاور في أمرك الذين يخشون الله عز وجل. [الإخوان- ابن أبي الدنيا ص١٢٦].

من آثار المعاصي.. بغض المؤمنين

قال أبو الدرداء: إن العبد ليخلو بمعاصي الله فيلقي الله بغضه في قلوب المؤمنين من حيث لا يشعر. [الداء والدواء

ص٥٩].

من أمثال العرب

النفسُ عَزُوفٌ أَلُوفٌ.

يُقال: عَزَفَتْ نفسي عن الشيء تَعْزِفُ عُزُوفًا، أي: زهدت فيه وانصرفت.

ومعنى المثل: أن النفس تعتاد ما عُودت إن زهّدتها في شيء زَهِدَت، وإن رغبتها رَغِبت.

عرفه العباد بذلك اشربت قلوبهم حبه، واستشعرت كمال الذل له والخوف منه، فأسلموا وجوههم إليه، وعبدوه عبادة من يعلم أنه يسمعه ويراه ويراقبه في كل شئونه وأحواله رجاء رحمته وخشية عذابه. [الحكمة من إرسال الرسل ص٣٤].

من معاني الآثار

في حديث النفقة قال ﷺ: «وابدأ بمن تعول» أي: بمن تمُونُ وتلزَمُك نفقتُه من عيالك. يُقال: عال الرجلُ عيالَه يَعُولُهم: إذا قام بما يحتاجون إليه من قوت وكسوة وغيرهما، ومنه الحديث: «من كانت له جارية فعالها وعلمها» أي: أنفق عليها. [النهاية في غريب الحديث ٣/٣٢١].

اعرف عدوك

إن الشيطان أحرص ما يكون على الإنسان عندما يهم بالخير، أو يدخل فيه، فهو يشتد عليه حينئذ ليقطعه عنه، وفي الصحيح عن النبي ﷺ: «إن شيطانًا تفلت عليَّ البارحة فأراد أن يقطع عليَّ صلاتي...» الحديث، وكلما كان الفعل أنفع للعبد وأحب إلى الله تعالى كان اعتراض الشيطان له أكثر. [إغاثة اللهفان ص٧٥].

من آثار التوحيد... تفريج الكرب

قال ابن القيم رحمه الله: فما دُفِعت شدائد الدنيا بمثل التوحيد، ولذلك كان دعاء الكرب بالتوحيد ودعوة ذي النون التي ما دعا بها مكروب إلا فرج الله كربه بالتوحيد فلا يلقي في الكُرب العظام إلا الشرك ولا ينجي منها إلا التوحيد، فهو مفزع الخليقة وملجؤها وحصنها وغياثها، وبالله التوفيق. [الفوائد].

من شعر الحكماء

قال الشافعي في العفو عن الجاهل:

فالعفو عن جاهلٍ أو أحمقٍ أدبُ
نعم وفيه لصونِ العرضِ إصلاحُ
إن الأُسود لتخشى وهي صامتةٌ
والكلبُ يُحثى ويُرمى وهو نبَّاحُ

من تراث الجماعة

قال العلامة عبد الرزاق عفيفي: للشريعة أصول إليها ترجع، ودعائم عليها تقوم، فشريعة الصلاة والصيام والزكاة ونحوها من العبادات لا يستقيم أداؤها ولا التنسك بها إلا إذا عرف العابد أن من يتقرب إليه غني كريم، قوي متين، غافر الذنب وقابل التوب شديد العقاب، يفعل ما يشاء، ويحكم ما يريد، إلى غير ذلك من صفات الجلال والإنعام وقوة البأس وشدة الانتقام، فإنه إذا

لغويات
«سَبَهْلَلا»

قال ابن الأعرابي: جاء سَبَهْلَلا؛ أي غير محمود المجيء، ويقال: هو الضلال ابن السبهلل يعني الباطل، ويقال: جاء فلان سبهللا أي ضالاً لا يدري أين يتوجه، وفي الحديث: لا يجيئن أحدكم يوم القيامة سبهللا، وفُسِّر فارغًا ليس معه من عمل الآخرة شيء. وروي عن عمر أنه قال: إني لأكره أن أرى أحدكم سبهللا لا في عمل دنيا ولا في عمل آخرة. [لسان العرب بتصرف ج٦ ص١٦٥].



•• الحلقة الثانية ••

■■ الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه وسلم ومن والاه، فقد وقفنا على طريق طالب العلم الوقفة الأولى، وقلنا أن العلم قربة من أعظم القربات فإن كان العلم فرضًا فهو قريب من فرض الصلاة وفروض الأديان الأخرى، وإن كان فضلا فهو من أعظم نواقق العبادات.

ثم ذكرنا الوقفة الثانية: وأوضحنا أن العلم إذا أطلق في سياق المدح أو الحث عليه فالمقصود به العلم الشرعي، لأن العلم الشرعي هو الجدير بهذا المصطلح عند الإطلاق، وذكرنا أن المسجد هو بيت العلوم.

وفي هذه الحلقة نقف مع ما يتيسر من بقية الوقفات: ■■

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن والاه، فقد وقفنا على طريق طالب العلم الوقفة الأولى، وقلنا إن العلم قربة من أعظم القربات فإن كان العلم فرضًا فهو قريب من فرض الصلاة وفروض الأعيان الأخرى، وإن كان نفلا فهو من أعظم نوافل العبادات.

ثم ذكرنا الوقفة الثانية: وأوضحنا أن العلم إذا أطلق في سياق المدح أو الحث عليه فالمقصود به العلم الشرعي، لأن العلم الشرعي هو الجدير بهذا المصطلح عند الإطلاق، وذكرنا أن المسجد هو بيت العلوم.

وفي هذه الحلقة نقف مع ما يتيسر من بقية الوقفات:

الوقفة الثالثة: بين طالب العلم والمثقف

هناك من الناس من هو على ثقافة واسعة تجده يعرف بعض العلوم الشرعية ولكن لا تستطيع أن تطلق على هذا طالب علم ، وقد تجد آخر ربما لا يكون على سعة اطلاع الأول ومع ذلك تستطيع أن تطلق عليه طالب علم .....

قال ابن عبد البر في جامع بيان العلم ١/١٣٠: يقال إذا أردت أن تكون عالماً فاقصد لفنٍّ من العلم ، وإذا أردت أن تكون أديباً فخذ من كل شيء أحسنه اهـ.

إن المثقف طريقته أن يقرأ ما يروق له وما ترتاح له نفسه ويأخذ من هذا نتفة ومن هذا نتفة ، لا يلتزم بمنهج معين أو طريقة معينة أو يضبط فيها فناً معيناً ،أما طالب العلم فذاك الذي ينتهج نهجاً محدداً ويسلك هذا المنهج حتى ولو كسل في سيره لا ينقطع عنه بل يجتهد ليتقن الفنّ الذي ابتغاه .

كما أنَّ طالب الثقافة في الغالب يكون طلبه طلب لذة وشهوة نفسانية لما يتعلمه، بخلاف طالب العلم فهو يستشعر العبودية لله في طلبه .

فمنهج طالب العلم يعطيه القوة والثقة والرسوخ فيتأهل للتعليم والإفتاء بل والقضاء، بخلاف منهج الآخر فإنه لم يُبْن على التحمل بقوة ومنهج المثقف لا يعطيه قوة ولا يعطيه ثقةً في نفسه ولذا لا يثمر الأداء بقوة ، ولا يدرك علماً مؤصلاً راسخ الجذور بل قد تجره ثقافته إلى الجرأة على الأحكام .. بخلاف طالب العلم، ترى البركة فيه كما في السابق، بل في الماضي القريب تجد الواحد منهم يضبط متناً ويحفظه حتى لا يعرف غيره ومع ذلك يجعل الله سبحانه وتعالى البركة فيه بسبب إتقانه إياه وإقباله عليه مع النية الصالحة ، حتى قال بعض أهل العلم : من أتقن متن زاد المستقنع يتأهل إلى أن يقضي بين الناس ، ولذا ينبغي لطالب العلم أن يتنبه إلى أمر جدير بالعناية وهو المداومة والاستمرار والالتزام وعدم التنقل والانكباب على الكتاب حتى يَضبطه ويُلم بالفن بأسرع وقت فإذا داوم طالب العلم واستمر وحاول أن يتقن ما معه

فإنه بهذا حقيق أن يفتح الله عليه وييسر أمره فيبلغ فهم ما ابتغى دراسته.

والمؤمن مأمور أن يلج أبواب الخير بقوة، ومن أعظمها باب العلم فيأخذه بقوة كما قال تعالى: ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم:١٢]، وقال لموسى عليه السلام: ﴿فَخُذْهَا بِقُوَّةٍ..﴾ [الأعراف:١٤٥]، وقال: ﴿خُذُوا مَا آتَيْنَاكُمْ بِقُوَّةٍ﴾ [الأعراف:١٧١].

الوقفة الرابعة: ما الفائدة من حضور درس علمي؟

يظن البعض أن المقصود بالدروس العلمية الاستكثار من المعلومات فحسب ....!

وهذا وإن كان حسناً مطلوباً بيد أن الأهم هو ضبط القواعد والإلمام العام بالعلم المدروس واتخاذ الدرس معيناً والمداومة لنيل ذلك، وعليه فلا ينبغي أن يكون المقياس كثرة المعلومات، فقد ينتهي بك إلى أن تفضل الجلوس في مكتبك على حضور ذلك الدرس، لأنك قد تجد في الكتب وربما في الكتاب الواحد ما لا يستطيعه ذلك الشيخ من الذين يدّرسون أن يأتي به في درسه، انظر مثلاً كتاب الاستذكار لابن عبد البر في مسألة واحدة ربما تجد من الأحاديث وأقوال أهل العلم ما لا يستطيع أن يأتي به شيخ أو طالب علم في درسه، وقل مثل ذلك في كتاب الأوسط لابن المنذر أو المغني أو المجموع أو غيرها، هذا في كتاب فما بالك لو بحثت في أكثر من كتاب لكان ذلك أكثر ...؟!

لعلك تقول إذاً:

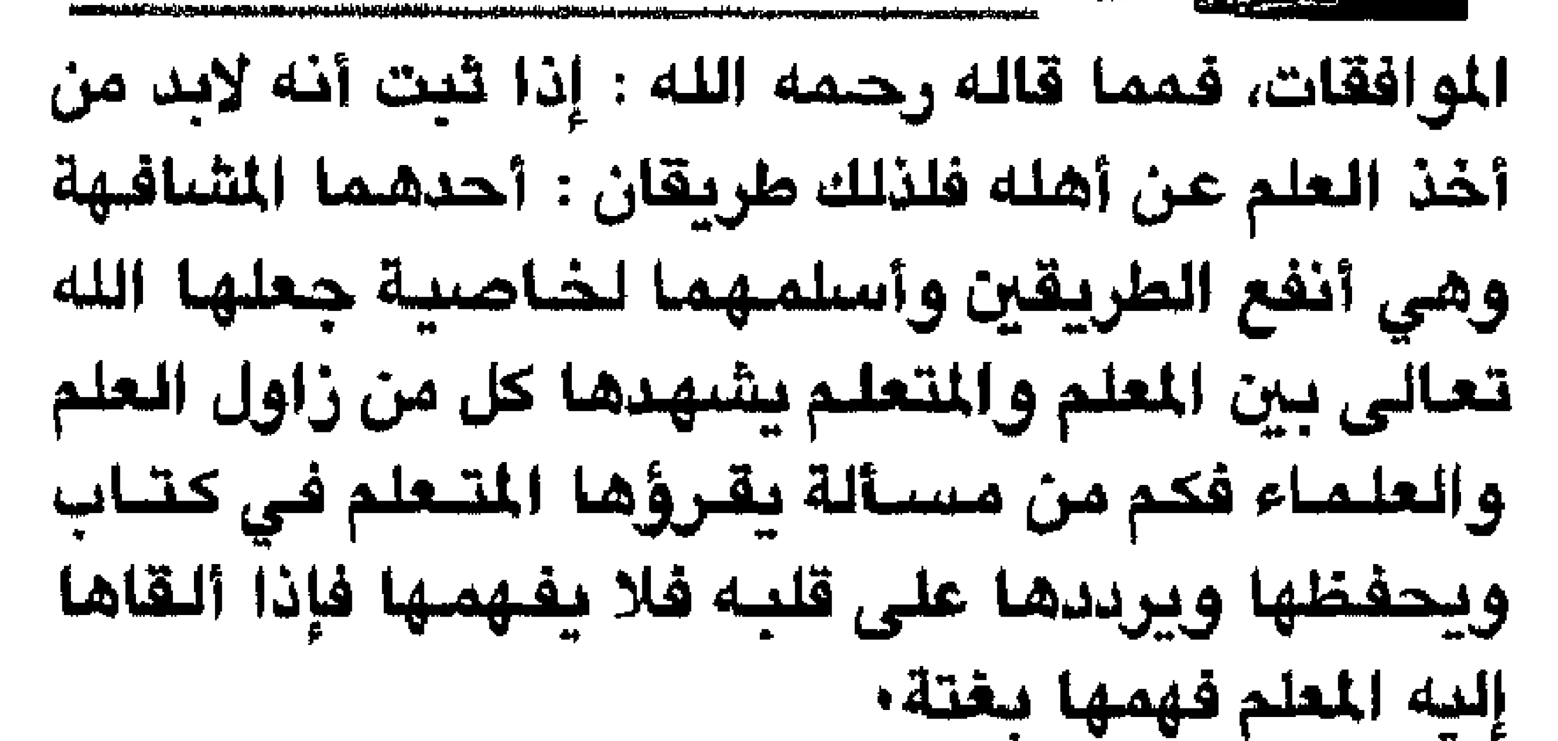
فما المقصود بالدروس مادام أن ما في الكتب أعظم؟ وهذا خاطر قد يراود البعض، وقد يصرح به آخرون. والجواب أن يقال: هو في فهم كيفية وصول هذا العلم إلينا.. فإنما وصل إلينا بالتلقي، فالصحابة رضي الله عنهم تلقوه عن النبي ﷺ ثم التابعون تلقوه عن الصحابة وهكذا انتقل إلينا بالتلقي ولم يُكتفَ حتى في القرآن بكونه في لوح أو في ألواح ينقل من جيل إلى جيل بل ينقلونه بالمشافهة ومثله الحديث فإنهم ينقلونه بالرواية والسماع والمشافهة وهذه بركة العلم الشرعي أنه ينتقل بالرواية ينقله العلماء عن بعضهم البعض وينقله كما يقول الإمام أحمد رحمه الله من كل خلف عدوله.

فمن عرف أن هذا العلم يُتلقى من أهله أدرك أن التلقي من أهم مقاصد دروس العلم.

فإن كان الأمر كذلك فما هو السّر في كون التلقي هو الطريق لأخذ العلم؟ وكيف يكون التلقي الصحيح؟

توضحه الوقفة الآتية:

وأحب أن أنقل هنا كلاماً للشاطبي رحمه الله في



بقلم/ فهد اليحيى

الموافقات، فمما قاله رحمه الله: إذا ثبت أنه لابد من أخذ العلم عن أهله فلذلك طريقان: أحدهما المشافهة وهي أنفع الطريقين وأسلمهما لخاصية جعلها الله تعالى بين المعلم والمتعلم يشهدها كل من زاول العلم والعلماء فكم من مسألة يقرؤها المتعلم في كتاب ويحفظها ويرددها على قلبه فلا يفهمها فإذا ألقاها إليه المعلم فهمها بغتة.

الطريق الثاني: مطالعة كتب المصنفين وهو أيضاً نافع في بابه بشرطين: الأول أن يحصل له من فهم مقاصد ذلك العلم المطلوب، ومعرفة اصطلاحات أهله ما يتم له به النظر في الكتب، وذلك يحصل بالطريق الأول من مشافهة العلماء أو مما هو راجع إليه، وهو معنى قول من قال: "كان العلم في صدور الرجال ثم انتقل إلى الكتب ومفاتحه بأيدي الرجال" والكتب وحدها لا تفيد الطالب شيئاً دون فتح العلماء وهو مشاهد معتاد.

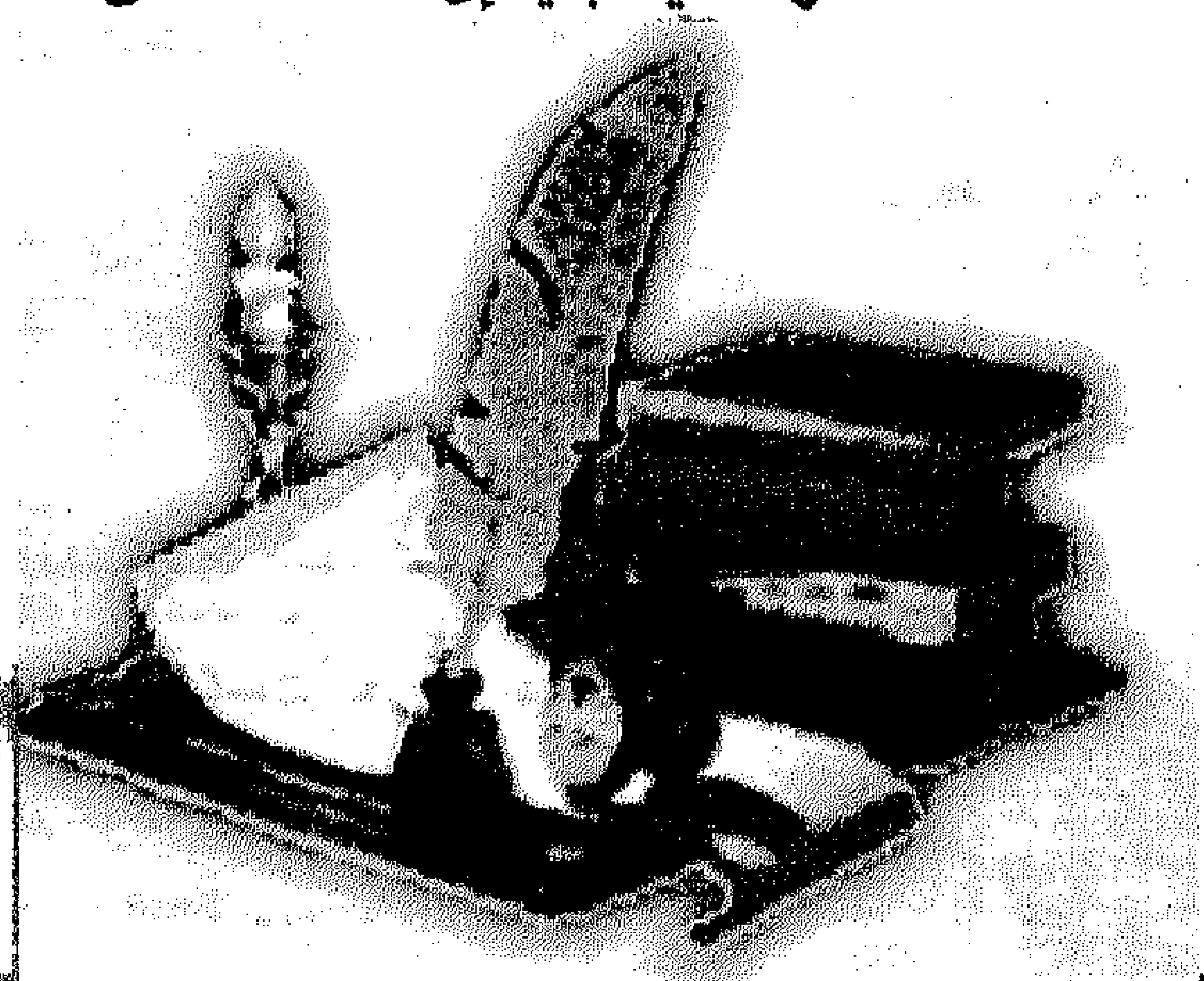
الشرط الثاني أن يتحرى كتب الأقدمين من أهل العلم المراد فإنهم أقعد به من غيرهم من المتأخرين ا.هـ

مختصراً من الموافقات ١/٦٠-٦١.

وقال النووي رحمه الله في المجموع ٦٩/١: ولا يحفظ ابتداءً من الكتب استقلالا ،بل يصحح على الشيخ كما ذكرنا ،فالاستقلال بذلك من أضر المفاسد وإلى هذا أشار الشافعي - رحمه الله - بقوله: " من تفقه من الكتب ضيع الأحكام " ا.هـ

ومن مقاصد الدروس أيضاً إثارة همة طالب العلم بمشاركة زملاء له يعينونه على لزوم طريق الطلب، ومن مقاصدها أيضاً التربي على يد الشيخ في عبادته وأخلاقه والكتب قد تعلم ولكن قطعاً لا تربي.

وللحديث بقية إن شاء الله تعالى



ما أشبه الليلة بالبارحة

بقلم د. محمد بن سعد الشويعر

منذ فجر التاريخ وأعداء دين الله، يجدّون ويجتهدون، للصدّ عن الحق، والتنفير من داعي الهدى، ويضعون الشبهات، المراد بها البلبلة والتنفير عن السماع وفي الاستجابة، يتعاون في هذا أعداء الله من شياطين الإنس والجنّ، يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا.

يقول الإمام الشافعي رحمه الله:

كل العداوة قد ترجى مودتها
إلا عداوة من عاداك في الدين

وفي كتاب الله خير شاهد، فكل نبيٍّ من أنبياء الله، كان له مع قومه مواقف وافتراءات لصدّ الناس عن الاستجابة لدعوته، وفي قصصهم عبرة.

ولما كانت النبوة قد انتهت بمحمد ﷺ، فإنه أخبر بأن الله يبعث لأمته من يجدد لها دينها، على رأس كل قرن، وقد ذكر المؤرخون نماذج منهم، وما حصل لهم، ونحتسب على الله أن يكون الشيخ محمد بن عبد الوهاب (١١١٥- ١٢٠٦هـ) منهم، وفي باب التنفير من دعوته الاصلاحية التجديدية،..... أذهان الأعداء على نبذها بالوهابية.

فقد وجدوا ثوبًا جاهزًا، هو الوهابية الرشمية الخارجية الموجودة في الشمال الأفريقي في القرن الثامن الهجري، مع التباين بين الدعوتين؛ لأن عبد الوهاب بن رستم خارجي أباضي عطّل كثيرًا من تعاليم الإسلام، فوقف ضد دعوته علماء الأندلس والمغرب ردودًا ومحاربة، كما أبنت ذلك في كتابي «تصحيح خطأ تاريخ الوهابية».

وهذا هو الشأن في كل دعوة يريد صاحبها محاربة البدع، والعودة بالناس إلى صفاء الإسلام، ونقاوته، على درب محمد ﷺ وأصحابه الكرام، يقف أعداء الله وأعداء دينه الحق من شياطين الإنس والجنّ الذين يوحي بعضهم إلى بعض زخرف القول غرورًا، يصدون عن شرع الله الذي شرع لعباده عداوة وحسدًا.

وأجد من المناسب في هذا أن بين ما عاناه الشيخ عبد الحميد بن باديس، أحد المجدّدين للدعوة في العصر الحاضر بالجزائر، وما لقي كغيره من الدعاة، ويعبّر عن ذلك ما كتبه في العدد ٣ السنة الأولى من صحيفة السنة، تحت عنوان: عبداويون ثم وهّابيون، ثم ماذا... لا ندري والله، حيث قال في ص١ تاريخ ١٣٥١هـ:

لما قفلنا من الحجاز وحللنا بقسطينة عام ١٣٣٢هـ، وعزمنا على القيام بالتدريس، أدخلنا في برنامج دروسنا تعليم اللغة العربية، وآدابها والتفسير والحديث والأصول، ومبادئ التاريخ والجغرافيا، ومبادئ الحساب وغير هذا، رأينا لزوم تقسيم

المعلمين إلى طبقات، واخترنا للطبقة الصغرى منهم بعض الكتب الابتدائية، التي وضعتها وزارة المعارف المصرية أو أحدثنا تغييرًا في أساليب التعليم، وأخذنا نحثّ على جميع العلوم باللسان العربي، ونجيب الناس في فهم القرآن، وندعو الطلبة إلى الفكر والنظر في الفروع الفقهية، والعمل على ربطها بأدلتها الشرعية، ونرغبهم في مطالعة كتب الاقدمين، لما قمنا بهذا وأعلناه، قامت علينا قيامة أهل الجمود والركود، وصاروا يدعون للتنفير منا والحط من قدرنا، «عبداويون» دون أن أكون والله، يوم جئت قسنطينة، قرأت من كتب الشيخ محمد عبده، إلا القليل، فلم نلتفت إلى قولهم، ولم نكترث لإنكارهم، على كثرة سوادهم، وشدة مكرهم وعظم كيدهم.

ومضينا على ما رسمنا، وصمدنا إلى ما قصدنا من غاية، وقفيناها عشر سنوات في الدرس، لتكوين نشأ علمي لم نخلط به غيره، فلما كملت العشر وظهرت- بحمد الله- نتيجتها، رأينا واجبًا علينا أن نقوم بالدعوة العامة إلى الإسلام الخالص، والعلم الصحيح إلى الكتاب والسنة، وهدي صالح سلف الأمة، طرح البدع والضلالات، ومفاسد العادات، فكان لزامًا أن نؤسس لدعوتنا صحافة، تبلّغها للناس، فكان «المنتقد»، وكان «الشهاب».

ونهض كتّاب القطر، ومفكروه في تلك الصحف بالدعوة خير قيام، وفتحوا بكتاب الله، وسنّة رسوله ﷺ، أعينًا عميًا، وقلوبًا غلفًا، وكانت هذه المرة غضبة الباطل أشدّ، ونطاق فتنته أوسع، وسواد اتباعه أكثر، وأصبحت الجماعة الداعية إلى الله يُدعون «الوهابيين» الداعين إلى أنفسهم، ولا والله ما كنت قرأت يومئذ كتابًا واحدًا لابن عبد الوهاب، ولا أعرف من ترجمة حياته إلا القليل.

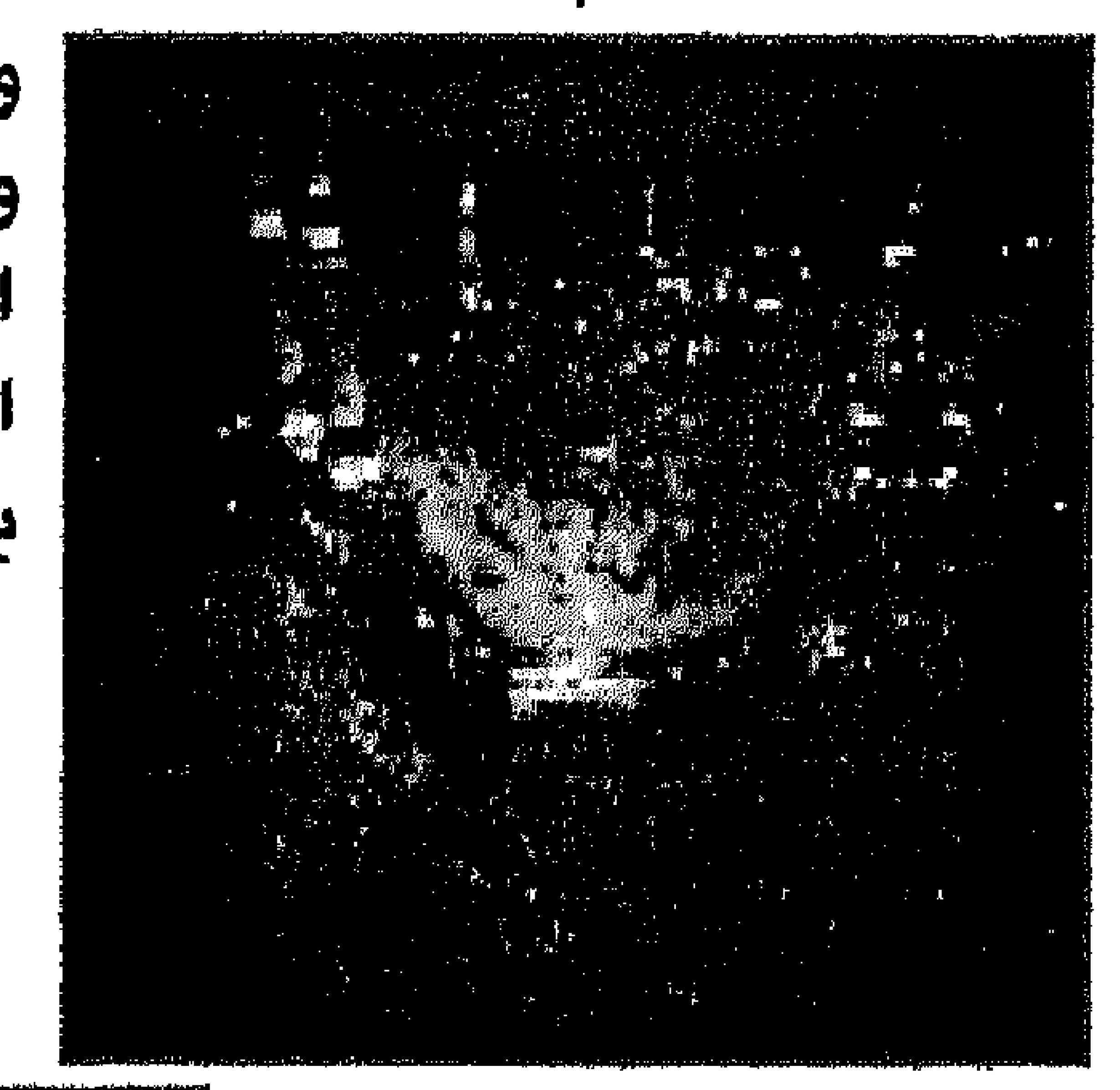
وإنما هي إفك قوم يحرّفون الكلم، ويهرفون بما لا يعرفون، ويحاولون إطفاء نور الله، ما لا يستطيعون، وسنعرض عنهم اليوم، وهم يدعوننا «وهابيين» كما أعرضنا عنهم بالأمس وهم يدعوننا «عبداويين»، ولسنا ندري ماذا يسموننا بعد ذلك، لكننا سائرون من أجل ديننا الحقّ في طريق الإصلاح ومحاربة البدع.

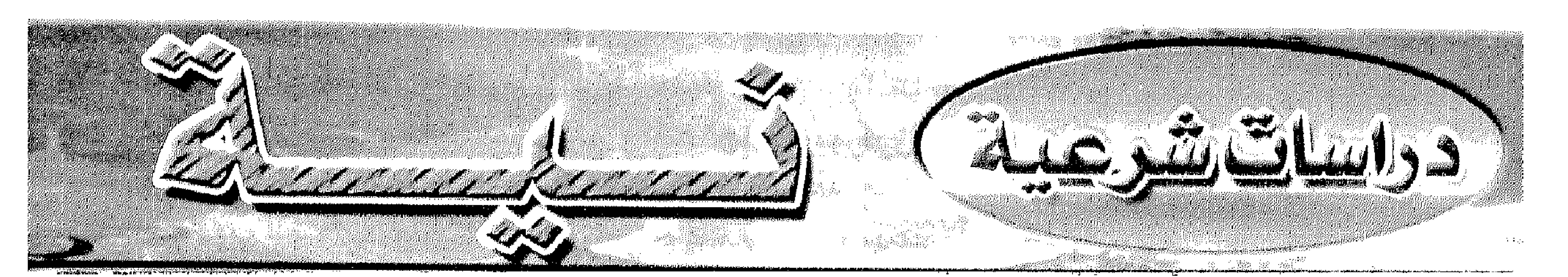
ولنا أسوة بمواقف أمثالنا مع أمثالهم في الماضين، ولما كان من سنة الله التنبيه على مشابهة اللاحقين من الناس، للسابقين في منازعهم وأهوائهم، وكثير من أحوالهم، حتى كان التاريخ يعيد نفسه بإعادة ذلك فيهم، فقد جاء ذلك في مثل قوله تعالى: ﴿كَذَٰلِكَ مَا أَتَى الَّذِينَ مِن قَبْلِهِم مِّن رَّسُولٍ إِلَّا قَالُوا سَاحِرٌ أَوْ مَجْنُونٌ (٥٢) أَتَوَاصَوْا بِهِ﴾ [الذاريات: ٥٢، ٥٣]، وقوله: ﴿تَشَابَهَتْ قُلُوبُهُمْ﴾ [البقرة: ١١٨]، وغيرها من الآيات الكريمات.

لما كان هذا سنة الله في خلقه، فتحنا هذا الباب تحت عنوان: التاريخ يعيد نفسه، لننشر فيه ما أمكننا من قصص عن حياة رجال السنّة المصلحين، مع دعاة البدعة المبطلين، نزيد العالم المصلح ثباتًا على الحقّ، والقارئ الصادق تبصرة في الأمر: ﴿لَقَدْ كَانَ فِي قَصَصِهِمْ عِبْرَةٌ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ﴾ [يوسف: ١١١].

هذه الكلمة تبيّن أن شبهات أهل الباطل واحدة، تتكرر في كل زمان ومكان، ويجب ألا تزحزح أهل الحق عن حقهم لأنه دين الله الذي لا يقبل من البشر غيره، والحق بثبات أهله عليه واعتصامهم بالله فيه، يدفع الباطل ويزهقه، فعليهم الصبر والعمل، والله لا يضيع أجر من أحسن عملاً.

والله من وراء القصد





الحمد لله والصلاة والسلام على من لا نبي بعده، وبعد: فإن المسلم الصادق متبع وليس مبتدعًا ومع ذلك فإن العالم الإسلامي يموج الآن بتيارات بدعية شركية خرجت بالأعمال عن حدود العقيدة، وبالتصرفات عن نطاق الإيمان.

ومعالجة تلك القضية تحتاج إلى مدخل ضروري للبحث والدراسة هو: الوقوف على حقيقة النية ودورها في حياة المسلم.

تعريف النية

ولنا بعدما تقدم أن نُعَرِّفُ النية في عبارة بسيطة بأنها صورة خاصة من صور الإرادة وهي في حالة كمون في أعماق الإنسان، ومحل النية القلب، ولا حاجة لإظهارها في عبادات الإنسان إلا ما نُصَّ عليه، ولكن النية فيما عدا ذلك يجب أن تدل عليها أمارات خارجية تؤكد استجابة إرادة الإنسان لها، بحيث تقترن بالقصد في الفعل المقدور وبالعزم على الفعل المستقبل، سواء حركها باعث معين أو تحركت تلقائيًا، وسواء نشدت من وراء ذلك غاية معينة أو لم تنشدها، وهي في كل الأحوال ضرورية لتمييز العادات عن العبادات والارتفاع بالعادات إلى مرتبة القربات المثاب عليها، وتحديد درجة العبادة، سواء ألزم الشرع إظهارها أم اكتفى ببقائها في محلها وهو القلب دونما حاجة للتعبير عنها، ولو وقف مُدَّعوا الولاية والتصوف عند هذه الحقائق لما كانت هناك طرق ولا فرق.

ما يترتب على التعريف

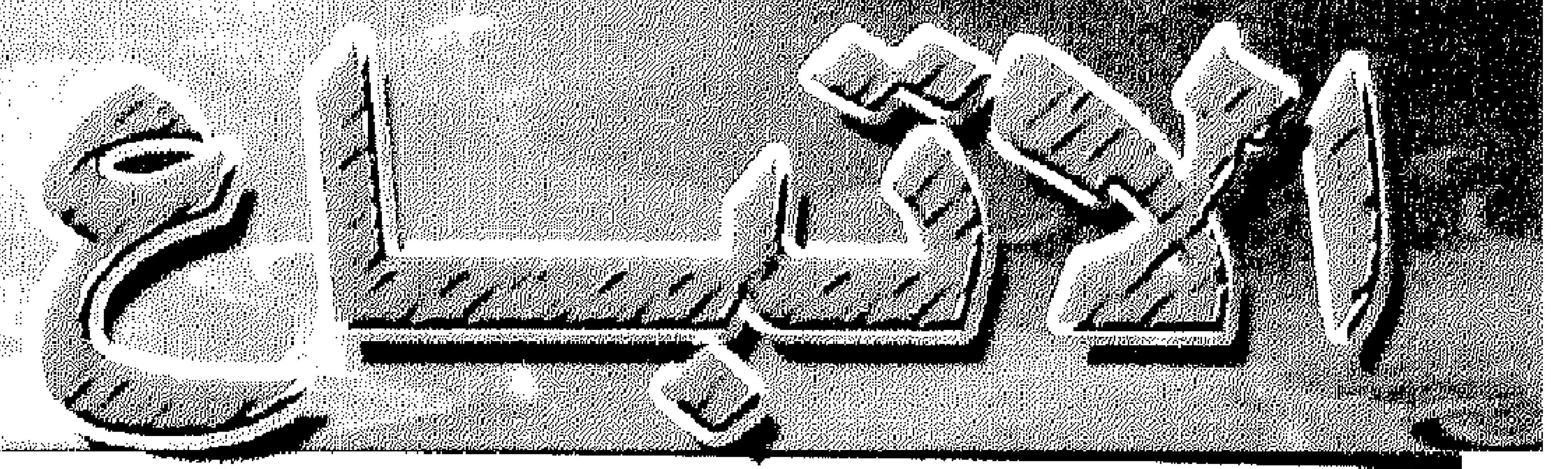
(أ) النية لا تؤثر في الإخلاص، وإنما تتأثر النية بالإخلاص:

بحيث إنه إذا وجِدَ الإخلاص، حسنت النية وأُثيبَ المنتوي إذا تابع بها عقيدة الإسلام ونبي الإسلام، ولكن الدرجة تتفاوت، فهناك المخلص في بعض الأعمال؛ وهذا لا يكفي، وهناك المخلص في كل الأعمال، لأنه جمع بين جوانحه قلبًا صالحًا، وقد قال ﷺ في حديث النعمان بن بشير الذي رواه البخاري ومسلم: «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسدت فسد الجسد كله»، فإخلاص القلب وصلاحه يقيم دعائم نية سليمة لا تهدف إلا إلى الخير، ولا تتمثل غير التقوى، ولا تتغيَّى سوى الأمن التام في الآخرة: ﴿يَوْمَ لاَ يَنْفَعُ مَالٌ وَلاَ بَنُونَ * إِلاَّ مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء:٨٨-٨٩].

والنية التي تتأثر بالإخلاص لا تتجه إلا إلى الله، لذا فإنها إذا لم تتجه في عملها من منطلق الإخلاص تخلفت النية ديانة، ولذا يقول ابن حزم: (فإن نوت النفس بالعمل الذي تصرف فيه الجسد وجهًا ما، فليس لها غيره، وصح أن الله سبحانه وتعالى لا يقبل إلا ما أمر به، وقد أمر بالإخلاص له، فكل عمل لم يقصد به الوجه الذي أمر الله تعالى به فليس ينوب «أي ذلك العمل» عما أمر الله تعالى به «من عمل»)(١).

فمن توضأ تبردًا، أو تيمم بغير نية، أو مشى بالمناسك دون نية، فإن ذلك لا يجزيه عن الوضوء، أو التيمم، أو الحج المأمور به أو المتطوع به لله تعالى؛ لأنه لم يخلص في كل ذلك لله عز وجل، ولا فعله ابتغاء مرضاته تعالى، ولا نوى به ما أمر به(٢) ولانعدام التقوى التي محلها القلب، وانتفاء النية التي هي عمل القلب(٣)، وتخلف الإخلاص، حيث إن المخلص: (هو الذي لا يبالي لو خرج كل قدر له في قلوب الناس؛ من أجل صلاح قلبه مع الله عز وجل، ولا يحب أن يطلع الناس على مثاقيل الذر من عمله)(٤).

(فالعمل بغير نية عناء، والنية بغير إخلاص رياء، والإخلاص من غير صدق وتحقيق هباء)(٥).



إعداد
د/ محمد محمد شتا أبو سعد

وإذًا فكلما كان الإنسان مخلصًا كلما كانت النية سليمة؛ لأن النية بغير إخلاص رياء، وفي سبيل التخلص من الرياء لا ينبغي للإنسان أن يترك العمل المشروع؛ لأن ذلك وقوع في مصايد الشيطان ومكايده، ولعل أعظم الأعمال الآن هو الجهاد في سبيل الله، ومعلوم أن: «من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله»، كما قال المصطفى ﷺ في حديث أبي موسى، الذي رواه البخاري في كتاب الجهاد والسير، أما من قاتل ليقال: إنه شجاع فنيته سيئة وهو في النار شأنه شأن المشرك بالله، والمرائي والمنافق، فهم أشد النيات سوءًا، سواء كان الشرك في الربوبية كالشرك النافي للربوبية والمعطل لها، وصورته: قول من يقول بإفك فرعون: ﴿وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾، وإضافة آلهة أخرى مع الله... أو كان شركًا في توحيد أسماء الله وصفاته كتشبيه الخالق بالمخلوق في السمع والبصر والاستواء، أو الإلحاد في أسماء الله، وكالشرك في توحيد الإلهية والعبادة، كأن يجعل الناس لله أندادًا يدعونهم ويسألونهم الشفاعة، وهو ما نراه كثيرًا في أيامنا هذه من المسلمين الغافلين عن أنه لا معبود بحق سوى الله، وأنه لا ند لله، ومثل الشرك الأصغر الذي من صوره: الرياء اليسير، وطلب المنزلة والجاه عند الخلق.

أقسام الرياء

أما الرياء فإنه ينقسم إلى أنواع منها؛ أن يعمل الإنسان عملًا صالحًا، لا بنية طلب ثواب، وإنما بنية مراءاة الناس فهذا عمل حابط، وقد يقوم بالعمل الصالح طلبًا للثواب في الدنيا، ومن يفعل ذلك فلا حظ له في ثواب الآخرة بحسب نيته، وأما النفاق فهو إن كان اعتقاديًا فإنه يخرج صاحبه من ملة الإسلام، ويكون ممن قال الله تعالى فيهم من المكذبين بأصول الدين والكافرين: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ﴾ [النساء:١٤٥].

إظهار النية في أعمال المكلفين

(ب) إذا كان إظهار النية باللسان غير مطلوب في العبادات إلا ما نص عليه، فإن أفعال الشرك التي تكون امتناعًا عما نهى الله ورسوله عنه، لا تحتاج في الصحيح إلى نية وتحصل الإثابة على النية العامة، فقد أمرنا الشرع الحنيف باجتناب ما نهى الله ورسوله عنه جملة واحدة، ولا يلزم لذلك استحضار المنهي عنه واستذكاره، ثم إتباع ذلك بنية اجتنابه، ففي هذا من الحرج والمشقة ما لا يخفى، والدين يسر، وقد مثل لذلك شيخ الإسلام ابن تيمية بقوله: (وأما طهارة الخبث فإنها من باب التروك، فمقصودها اجتناب الخبث؛ ولهذا لا يشترط فيها فعل العبد ولا قصده، بل لو زالت بالمطر النازل من السماء حصل المقصود، كما ذهب إليه أئمة المذاهب الأربعة وغيرهم)(٦).

وقال القرافي في ذلك المعنى إن النواهي: (كلها يخرج الإنسان عن عهدتها بتركها وإن لم يشعر بها فضلا عن القصد إليها)(٧)، كما قال جلال الدين السيوطي: (وأما الترك كترك الزنا وغيره فلم يحتج إلى نية لحصول المقصود منها وهو اجتناب المنهي عنه بكونه لم يوجد وإن لم يكن نية)(٨).

وبالجملة فكل ما لا يخطر بالبال من النواهي بحيث لا يفكر فيها المكلف وهو يجتنبها لا تحتاج إلى نية، ولكن المنهيات إذا قصد المكلف الكفَّ عنها تقربا إلى الله فإنها تصير عبادة يُثاب صاحبها ما دام قصد ذلك.

وبالجملة فإن أقسام أعمال المكلفين من هذه الناحية قسمان: قسم يترتب المقصود منه بمجرد وقوعه، فلا يحتاج إلى نية؛ كأداء الديون والنفقات الواجبة وإقامة الحدود وإزالة النجاسات وغير ذلك من الأفعال التي يتحقق مقصودها ومرادها بنفس وقوع فعلها، وقسم آخر لا يحصل مراده بمجرده، بل يحتاج إلى النية (كالتلفظ بكلمة الإسلام، والتلبية في الإحرام، وكصورة التيمم، والطواف حول البيت والسعي بين الصفا والمروة والصلاة والاعتكاف والصيام)(٩) وعليه فإن المتعين من العبادات والحقوق لا يحتاج إلى نية التعيين وإنما يحتاج إلي نية القصد والإرادة(١٠).



حقيقة النية

«إنما الأعمال بالنيات» قوامه الإخلاص الذي هو مقصد قرآني بين، وهدف إسلامي كبير، فلا قوام للنية الحسنة بغير الإخلاص، لذا كانت نية العبادة مقرونة به، قال تعالى: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ﴾ [البينة:٥]. وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ * وَأُمِرْتُ لأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الزمر:١١-١٢]. وقال عز من قائل: ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ﴾ [الزمر:٢].

ولا مراء في أن الإخلاص يمكن أن يحول عادات الإنسان من أكل وشرب وخلاف ذلك، إلى طاعة يُثاب عليها الإنسان والإخلاص يستلزم النية فلا تتحول العادات إلى عبادات إلا بالنية(١١).

وإذا كان ذلك هو شأن الإخلاص في العادات، فإن الإخلاص أكثر ضرورة في العقيدة، فلا إيمان بمجرد ترديد ذلك باللسان ما لم يملأ الاعتقاد القلب(١٢) ويطرد كل الشكوك، وإذا كان الإنسان ليس أهلا للنية فإنه لا تصح عبادته، فالمجنون لا صلاة له ولا عبادة أخرى، ولا تجب عليه الحدود، ولا تصح تصرفاته كبيعه ونكاحه(١٣).

مستلزمات الإخلاص

كما أن الإخلاص يستلزم معرفة الإنسان حكم العمل قبل أن يقدم عليه، فالنية تستلزم العلم بالمنوي، والقصد يستلزم العلم بالمقصود(١٤)، كما أن الإخلاص كافٍ لتحقق الثواب وإن لم يأت الإنسان العمل الذي انتواه، ومن يعمل عملا دون إخلاص فإنه لا يثاب عليه، وقد ثبت في الصحيحين من أكثر من وجه قول النبي ﷺ: «من هم بحسنة فلم يعملها كُتبت له حسنة»(١٥)، ومن نوى عمل الخير ولم يستطع إكماله كان له أجره كاملا، ففي الصحيح - مما له شواهد كثيرة - عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال: «إذا مرض العبد أو سافر كتب له من العمل ما كان يعمله وهو صحيح مقيم»(١٦)، وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما عن رسول الله ﷺ فيما يروي عن ربه قال: قال رسول الله ﷺ: «إن ربك تبارك وتعالى رحيم، من همّ بحسنة فلم يعملها كتبت حسنة، فإذا عملها كُتِبَت له عشرًا إلى سبعمائة ضعف إلى أضعاف كثيرة، ومن همّ بسيئة فلم يعملها كتبت له حسنة فإن عملها كتبت له واحدة أو يمحوها الله ولا يهلك على الله تعالى إلا هالك»(١٧).

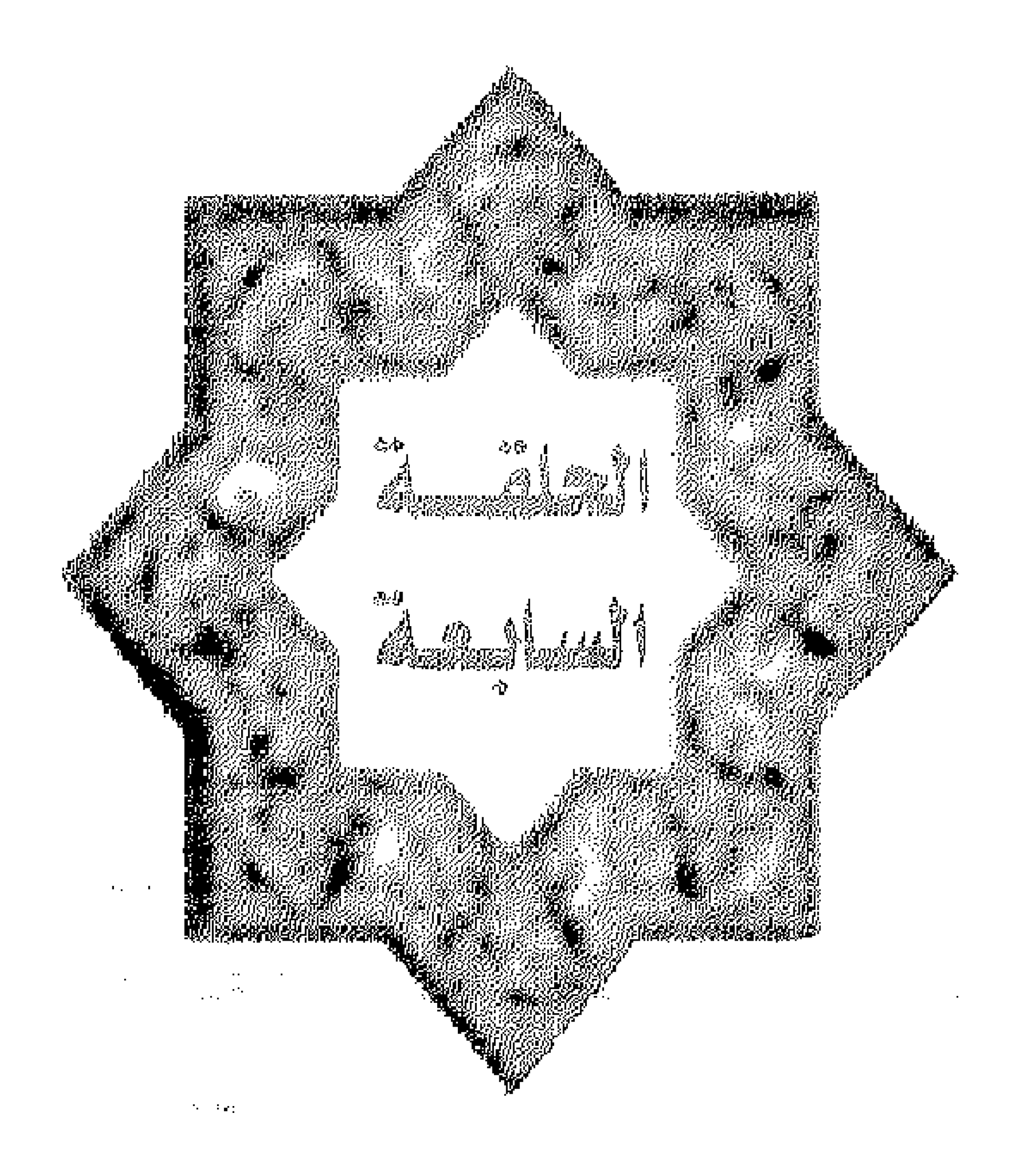
وفي إطار الإخلاص تتحدد ماهية النية، فالنية هي أساس الأعمال كلها والإخلاص جوهرها، والمتابعة شرطها، والعمل الصالح ميزانها، والطاعة هي الحكمة الكامنة وراءها، وحبوط العمل ثمرة فسادها، وهذا ما يجب أن يراعيه كل من يدعي الولاية أو يزعم التصوف، ليكون شأنه شأن كل مسلم مخلص صادق العقيدة.

هوامش:

(١) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، ج٥ - ٨ ص٧٠٦.
(٢) الإحكام في أصول الأحكام لابن حزم، ج٥ - ٨ ص٧٠٦.
(٣) بدائع الفوائد لابن القيم ج٣ ص٢٢٩ (مطبعة القاهرة).
(٤) شرح حديث إنما الأعمال بالنيات لشيخ الإسلام ابن تيمية ص٢٠.
(٥) إحياء علوم الدين للغزالي ج٤ ص٣٥٠، والإخلاص لابن رجب الحنبلي ص٨.
(٦) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ابن تيمية ج٢١ ص٤٧٧.
(٧) القرافي، مخطوطة الأمنية في إدراك النية، لوحة ٦.
(٨) الأشباه والنظائر ص٢١ ويلاحظ أن المباحات تصير بالنية عبادة فيُثاب فاعلها.
(٩) مجموع فتاوى ابن تيمية (٢١/٤٧٧).
(١٠) القرافي، مخطوطة الأمنية في إدراك النية لوحة ٦.
(١١) شرح الأربعين النووية لابن دقيق العيد ص٦٦ (القاهرة تحقيق طه الزيني).
(١٢) الملل والنحل للشهرستاني، ج١ ص١٤٥-١٥٤.
(١٣) الإحكام في أصول الأحكام للآمدي، ج١، ص١٥١ (م. مؤسسة النور بالرياض).
(١٤) د. صالح بن غانم السدلان، النية وأثرها في الأحكام الشرعية ص٦٧.
(١٥) صحيح البخاري ج٧ ص١٧٨ كتاب الرقاق، وصحيح مسلم ج١ ص١١٨ كتاب الإيمان.
(١٦) أخرجه الإمام البخاري عن أبي موسى الأشعري ج٤ ص١٦.
(١٧) أخرجه البخاري ومسلم وأحمد.

اتبعوا ولا تبتدعوا

أسباب الابتداع



بقلم / معاوية محمد هيكل

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

لقد كان الإعراض عن القرآن والسنة بفهم سلف الأمة ولا يزال السبب الرئيس في ظهور البدع وانتشارها بين صفوف الأمة مما كان له الأثر السيئ في إفساد العقيدة والعبادة لدى كثير من المسلمين، وفي هذا المقال نعرض للأسباب التي أدت إلى الابتداع في دين الله عز وجل. فنقول مستعينين بالله:

أولاً: اتباع الهوى

ومتابعة الهوى أصل الزيغ عن صراط الله المستقيم، قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، وقال تعالى: ﴿فَإِنْ لَمْ يَسْتَجِيبُوا لَكَ فَاعْلَمْ أَنَّمَا يَتَّبِعُونَ أَهْوَاءَهُمْ وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنِ اتَّبَعَ هَوَاهُ بِغَيْرِ هُدًى مِنَ اللَّهِ﴾ [القصص: ٥٠]، والابتداع بالهوى أشد أنواع الابتداع إثمًا عند الله تعالى، وأعظم جرمًا على الخلق، فكم حرف الهوى من شرائع، وبدل من ديانات، وأوقع الناس في ضلال مبين.

ومن هذا الباب سُمي أهل البدع أهل الأهواء؛ لأنهم قدموا أهواءهم ورجحوا آراءهم، وجعلوها مساوية للنصوص الشرعية، أو أعلى منها درجة ودلالة، بل ربما جعلوا عقولهم وأذواقهم هي الأساس والأدلة الشرعية للتعضيد والاستئناس.

قال ابن القيم: (وكان السلف يسمون أهل الآراء المخالفة للسنة وما جاء به الرسول ﷺ في مسائل العلم الخبرية، وأهل مسائل الأحكام العملية يسمونهم أهل الشبهات والأهواء؛ لأن الرأي المخالف للسنة جهل لا علم، وهوى لا دين، فصاحبه ممن اتبع هواه بغير هدى من الله، وغايته الضلال في الدنيا والشقاء في الآخرة). [إغاثة اللهفان ١٣٨/٢].

قال شيخ الإسلام في مجموع الفتاوى (٣٨٤/٣): وأصل الضلال اتباع الظن والهوى، كما قال تعالى في حق من ذمهم: ﴿إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ﴾، وقال في حق نبيه ﷺ: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى (١) مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ [النجم: ١، ٢]، فنزهه عن الضلال والغواية اللذين هما الجهل والظلم، فالضال هو الذي لا يعلم الحق، والغاوي الذي يتبع هواه.

وأخبر أنه ما ينطق عن هوى النفس، بل هو وحي أوحاه الله إليه،

فوصفه بالعلم ونزهه عن الهوى.

اتباع الهوى جناية على الشريعة

ويشير ابن تيمية إلى وجوب تقديم الشرع على الهوى والرأي، وجعل ذلك أصلاً عظيمًا يفترق فيه أهل السنة المتبعون لرسولهم ﷺ عن مخالفيهم من جميع الطوائف والفرق، حيث قال: «معلوم وجوب تقديم النص على الرأي، والشرع على الهوى، فالأصل الذي افترق عليه المؤمنون بالرسل والمخالفون: تقديم نصوصهم على الآراء، وشرعهم على الأهواء، ممن نَوَّرَ الله قلبه، فرأى في النص والشرع من الصلاح والخير. وأصل الشر في تقديم الرأي على النص، والهوى على الشرع.

وإلا فعليه الانقياد لنص رسول الله ﷺ وشرعه، وليس له معارضته برأيه وهواه.

ويذكر ابن تيمية أن المبتدعة إنما يتصرفون بأهوائهم، فقال: «وأيضًا فصاحب البدعة يبقى صاحب هوى يعمل بهواه لا ديانة، ويصدُّ عن الحق الذي يخالف هواه».

ويقول في موضع آخر أيضًا: «وهذا حال أهل البدع المخالفة للكتاب والسنة، فإنهم لا يتبعون إلا الظن وما تهوى الأنفس، ففيهم جهل وظلم، لا سيما الرافضة، فإنهم أعظم ذوي الأهواء جهلاً وظلمًا».

وقال الشاطبي: «سمي أهل البدع أهل الأهواء لأنهم اتبعوا أهواءهم فلم يأخذوا الأدلة الشرعية، فأخذوا الافتقار إليها، والتعويل عليها، حتى يصدروا عنها، بل قدموا أهواءهم واعتمدوا على آرائهم، ثم جعلوا الأدلة الشرعية منظورًا فيها من وراء ذلك».

وقال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: «وإياكم وأصحاب الرأي فإنهم أعداء السنن، أعيتهم الأحاديث أن يحفظوها فقالوا بالرأي فضلوا وأضلوا». [اللالكائي ١٢٣/١].

وهذا هو دأب أهل البدع، يضعون أهواءهم أولاً، ثم يطلبون الأدلة عليها من الشرع وكلام العرب، بعكس أهل الحق فإنهم يضعون الدليل أولاً، ثم ينقادون له فيعتقدون ويحكمون بعد ما يستدلون.

وأهل الأهواء إذا وجدوا الأدلة على خلاف ما يعتقدون، أولوها وحرفوها وصرفوها عن حقيقة معناها. [انظر الاعتصام ٢٤٩/١].

كما فعل المعتزلة في الأدلة المخالفة لأصولهم الخمسة، وكما فعلت الجهمية في آيات الصفات. [مجموع الفتاوى ٤٤٠/١٦].

رد النصوص الثابتة من علامات أهل البدع

ومما يدل على أن اتباع الهوى هو أحد أسباب البدع، أنك تجد من أهل البدع من يرد النصوص الصريحة الصحيحة؛ بجرأة عجيبة لأنها خالفت أهواءهم.

من ذلك ما رواه عبيد الله بن معاذ عن أبيه؛ أنه سمع عمرو بن عبيد (إمام المعتزلة) يقول - وذكر حديث الصادق المصدوق: إن أحدكم يجمع في بطن أمه أربعين يوما نطفة، ثم يكون علقة مثل ذلك...الحديث:"لو سمعت الأعمش يقول هذا لكذبته؛ ولو سمعته من زيد بن وهب لما صدقته؛ ولو سمعت ابن مسعود يقول هذا لما قبلته؛ ولو سمعت رسول الله ﷺ يقول هذا لرددته؛ولو سمعت الله يقول هذا لقلت: ليس على هذا أخذت ميثاقنا؟!

وقال عمرو بن عبيد أيضا:"لو كانت (تبت يدا أبى لهب وتب) المسد:١ في اللوح المحفوظ لم يكن لله على العباد حجة"

فانظر إلي هذا العدوان السافر والجرأة المتناهية في رد النصوص الثابتة المحكمة والاعتراض عليها وهي علامة من علامات الزندقة والفجور، تزداد بازدياد الفساد والضلال.

قال ابن تيمية في معرض حديثه عن الصوفية القائلين بوحدة الوجود:"وحدثني الثقة الذي رجع عنهم لما انكشف له أسرارهم: أنه (يعني: التلمساني) قرأ عليه (فصوص الحكم) لابن عربي، قال: فقلت له: هذا الكلام يخالف القرآن! فقال: القرآن كله شرك، وإنما التوحيد في كلامنا (!!) .قال: فقلت له: فإذا كان الكل واحدًا فلماذا تُحرَّم عليَّ ابنتي وتحل لي زوجتي؟ فقال: لا فرق عندنا بين الزوجة والبنت، الجميع حلال! لكن المحجوبون قالوا: حرام، فقلنا حرام عليكم.

ولهذا يصف ابن تيمية غلاة الصوفية بقوله: «ولهذا يوجد في هؤلاء وأتباعهم من ينفرون عن القرآن والشرع كما تنفر الحمر المستنفرة التي تفر من الرماة ومن الأسد، ولهذا يوصفون بأنهم إذا قيل لهم: قال المصطفى ﷺ، نفروا».

وقال أيضا: «وأهل العبادات البدعية يزين لهم الشيطان تلك العبادات، ويبغض إليهم السبل

الشرعية، حتى يبغضهم في العلم والقرآن والحديث، فلا يحبون سماع القرآن والحديث ولا ذكره، وقد يبغض إليهم حتى الكتاب فلا يحبون كتابا، ولا من معه كتاب، ولو كان ما معه مصحفا أو حديثا. كما حكى النصرباذي أنهم كانوا يقولون: يدع علم الخرق ويأخذ علم الورق! قال: وكنت أستر ألواحي منهم، فلما كبرت احتاجوا إلى علمي».

وقال أيضا: «فعدل كثير من المنتسبين إلى الإسلام إلى نبذ القرآن وراء ظهره، واتبع ما تتلو الشياطين، فلا يعظم أمر القرآن ونهيه، ولا يوالى من أمر القرآن بموالاته، ولا يعادى من أمر القرآن بمعاداته "

ونظير هؤلاء زنادقة العصر الحديث من اليساريين والعلمانيين وأشباههم، الذين بلغت جرأتهم في رد النصوص والاعتراض عليها حدا عظيما - والعياذ بالله، ومن أمثلهم حالا من زعم منهم أن الدين تراث مقدس، لكنه ليس صالحا لهذا الزمان! ولهذا طالبوا بفصله عن جميع شؤون الحياة، الاجتماعية والسياسية، والاقتصادية، والإعلامية.. ونحوها. [انظر منهج التلقي والاستدلال /للصويان]

ثانيا: الاستدلال ببعض النصوص دون النظر في غيرها

منهج أهل السنة جمع النصوص الواردة في الباب الواحد، ووضع كل نص في موضعه اللائق به شرعا، فلا يجوز أن يؤخذ نص ويترك نص آخر ورد في الباب نفسه؛ فإن كثيرا من البدع والضلالات في القديم والحديث إنما ظهرت بسبب إهمال هذه القاعدة الجليلة. فبعض المبتدعة وجهلة المتفقهة والمقلدة يأخذون نصا ويتركون نصوصا أخرى قد تكون مخصصة أو مقيدة أو مبينة أو ناسخة. أو نحو ذلك. فينظر إليها من زاوية ويترك زوايا أخرى، مما يؤدى إلى كثير من الخلط والاضطراب. وإليك هذين المثالين:

المثال الأول: منهج الخوارج

أخذ الخوارج بنصوص الوعيد، وتركوا نصوص الوعد، ففهموها على غير مرادها. وراحوا يكفرون المسلمين ويستبيحون دماءهم وأموالهم بغير حجة ولا برهان. فهم أخذوا قول الله - تعالى: (ومن يعص الله ورسوله ويتعد حدوده يدخله نارا خالدا فيها وله عذاب مهين) النساء: ١٤، ونحوها من الآيات.. وتركوا قوله - تعالى: (إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء) النساء: ٤٨، وماشاكلها من النصوص.

المثال الثاني: منهج المرجئة

أخذ المرجئة نصوص الوعد، وتركوا نصوص الوعيد، ففهموها على غير مرادها، وقالوا: لا يضر مع الإيمان معصية، كما لا ينفع مع الكفر طاعة. فهم أخذوا بقول الرسول ﷺ: «من مات وهو يعلم أن لا إله إلا الله دخل الجنة» وما في معناه.. وتركوا قول الرسول ﷺ: «لا يدخل الجنة قاطع» وأشباهه من النصوص.

وإزاء هذا الإفراط والتفريط توسط أهل السنة، وأخذوا بجميع النصوص الواردة، وألفوا بينها تأليفا علميا مستقيما يزيل الإشكال،ويدفع الخلط والاضطراب.

ومن لطائف مناظرات أهل السنة في هذا الباب: ما رواه قريش بن أنس قال: " سمعت عمرو بن عبيد يقول: يؤتى بي يوم القيامة فأقام بين يدي الله فيقول لي: لم قلت: إن القاتل في النار؟ فأقول: أنت قلته، ثم تلا هذه الآية ﴿ وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا ﴾ [النساء:٩٣]. قلت له - وما في البيت أصغر مني: أرأيت إن قال لك:قد قلت: ﴿إِنَّ اللَّهَ لاَ يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ﴾ [النساء:٤٨] من أين علمت أنى لا أشاء أن أغفر؟! قال: فما استطاع أن يرد علي شيئا.

ولهذا قال ابن تيمية مبينا سبب ظهور البدع: «ومن هنا تتبين الضلالات المبتدعة في هذه الأمة؛ حيث هي من الإيمان ببعض ما جاء به الرسول دون بعض، وإما ببعض صفات التكليم والرسالة والنبوة دون بعض، وكلاهما إما في التنزيل وإما في التأويل».

وقال ابن تيمية أيضا: «لكن التحقيق الجمع بين نصوص الوعد والوعيد، وتفسير بعضها ببعض من غير تبديل شيء منها كما يجمع بين نصوص الأمر والنهي من غير تبديل شيء منها.

وقال الشاطبي: «كثيرا ماترى الجهال يحتجون لأنفسهم بأدلة فاسدة وبأدلة صحيحة اقتصارا بالنظر على دليل ما، واطراحا للنظر في غيره من الأدلة الأصولية والفرعية العاضدة لنظره أو المعارضة له».

وللحديث بقية إن شاء الله.

اقرأ من مكتبة المركز العام

«الاقتصاد في الاعتقاد» للحافظ المقدسي

المؤلف: الإمام الحافظ عبد الغني بن عبد الواحد بن علي بن جعفر المقدسي.

مولده: عام ٥٤١هـ بنابلس.

نشأته: نشأ الحافظ عبد الغني رحمه الله في أكناف أسرة شغوفة بالعلم فخاله هو العلامة الشيخ أحمد بن محمد بن قدامة المقدسي وابن خالته الإمام موفق الدين ابن قدامة صاحب كتاب المغني، كان الإمام المقدسي شغوفًا بالحديث وعلومه، فقد قضى جل طلبه في هذا الميدان حتى برز فيه وفاق مشايخه وأقرانه وأصبح من جهابذته وأعلامه، وإنتاجه في هذا الفن يتميز بالجودة والدقة والإتقان، وعرف عنه تمسكه بعقيدة السلف والذب عنها وتأليف الكتب في إيضاحها وترسيخها.

من أبرز مشايخه: أبو المكارم عبد الواحد بن محمد، وأبو عبد الله محمد بن حمزة، ومن أبرز تلاميذه ابناه أبو موسى عبد الله بن عبد الغني المقدسي، وأبو الفتح محمد بن عبد الغني المقدسي ومن أشهر كتبه «الكمال في معرفة الرجال»، على الكتب الستة وهو الذي هذبه الحافظ المزي في كتابه تهذيب الكمال ، وكتاب «عمدة الأحكام من كلام خير الأنام» وهو ما اتفق عليه البخاري ومسلم من أحاديث الأحكام.

وفاته: توفي عام ٦٠٠هـ بمصر.

موضوع الكتاب: إيضاح عقيدة السلف وتقريرها والرد على المبتدعة بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال أئمة السلف.

منهج المؤلف في الكتاب: يعرض عقيدة السلف بطريقة مختصرة وبأسلوب سهل وميسر مستدلا عليها بالأدلة من الكتاب والسنة وأقوال السلف.

أهم ما جاء في الكتاب: بدأ كتابه فقال:

اعلم وفقنا الله وإياك لما يرضيه من القول والنية والعمل، وأعاذنا وإياك من الزيغ والزلل، أن صالح السلف، وخيار الخلف، وسادة الأئمة، وعلماء الأمة، اتفقت أقوالهم، وتطابقت آراؤهم على الإيمان بالله عز وجل، وأنه أحد فرد صمد، حي قيوم، سميع بصير، لا شريك له ولا وزير، ولا شبيه له ولا نظير ولا عدل ولا مثل.

وأنه عز وجل موصوف بصفاته القديمة التي نطق بها كتابه العزيز الذي ﴿لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ﴾ [فصلت:٤٢]، وصح بها النقل عن نبيه وخيرته من خلقه محمد سيد البشر، الذي بلغ رسالة ربه، ونصح لأمته، وجاهد في الله حق جهاده، وأقام الملة، وأوضح المحجة، وأكمل الدين، وقمع الكافرين، ولم يدع لملحد مجالا، ولا لقائل مقالا.

فآمنوا بما قال الله سبحانه في كتابه، وصح عن نبيه، وأمَرّوه كما ورد من غير تعرض لكيفية، أو اعتقاد شبهية أو مثلية، أو تأويل يؤدي إلى التعطيل. ووسعتهم السنة المحمدية، والطريقة المرضية، ولم يتعدوها إلى البدعة المردية الرديّة، فحازوا بذلك الرتبة السنية، والمنزلة العلية.

فمن صفات الله تعالى التي وصف بها نفسه، ونطق بها كتابه، وأخبر بها نبيه: أنه مستو على عرشه كما أخبر عن نفسه فقال عز من قائل في سورة الأعراف: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [الأعراف:٥٤]. وقال في سورة يونس عليه السلام: ﴿إِنَّ رَبَّكُمُ اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ﴾ [يونس:٣].

وروى أبو هريرة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الله عز وجل كتب كتابًا قبل أن يخلق الخلق: إن رحمتي سبقت غضبي، فهو عنده فوق العرش».

وفي نقده على من أنكر قول القائل: أين الله قال: ومَنْ أجهَلُ جهلا، وأسخف عقْلا، وأضل سبيلا ممن يقول إنه لا يجوز أن يقال: أين الله، بعد تصريح صاحب الشريعة بقوله أين الله؟!

وفي إثبات صفة الوجه لله قال: ومن الصفات التي نطق بها القرآن، وصحت بها الأخبار: الوجه.

قال الله عز وجل: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلاَّ وَجْهَهُ﴾ [القصص:٨٨].

وقال عز وجل: ﴿وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلاَلِ وَالإِكْرَامِ﴾ [الرحمن:٢٧].

فهذه صفة ثابتة بنص الكتاب وخبر الصادق الأمين، فيجب الإقرار بها، والتسليم كسائر الصفات الثابتة بواضح الدلالات.

وفي نزول الله عز وجل إلى السماء الدنيا قال: وتواترت الأخبار، وصحت الآثار بأن الله عز وجل ينزل كل ليلة إلى سماء الدنيا فيجب الإيمان به، والتسليم له، وترك الاعتراض عليه، وإمراره من غير تكييف ولا تمثيل، ولا تأويل، ولا تنزيه ينفي حقيقةَ النزول.

وقد قال بعض العلماء: سئل أبو حنيفة عنه - يعني عن النزول - فقال: ينزل بلا كيف.

وفي إثبات صفة اليدين لله قال: ومن صفاته سبحانه الواردة في كتابه العزيز، الثابتة عن رسوله المصطفى الأمين: اليدان.

قال الله عز وجل: ﴿بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ﴾ [المائدة:٦٤]. وقال عز وجل: ﴿مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ﴾ [ص:٧٥].

فلا نقول: يَدٌ كَيَدٍ، ولا نكيف، ولا نشبه، ولا نتأول اليدين على القدرتين كما يقول أهل التعطيل والتأويل، بل نؤمن بذلك ونثبت له الصفة من غير تحديد ولا تشبيه، ولا يصح حمل اليدين على القدرتين، فإن قدرة الله عز وجل واحدة، ولا على النعمتين، فإن نعم الله عز وجل لا تحصى، كما قال عز وجل: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَةَ اللَّهِ لاَ تُحْصُوهَا﴾ [إبراهيم:٣٤] وكل ما قال الله عز وجل في كتابه، وصح عن رسوله بنقل العدل عن العدل مثل المحبة، والمشيئة والإرادة، والضحك، والفرح، والعجب، والبغض، والسخط، والكره، والرضا، وسائر ما صح عن الله ورسوله، وإن نَبَتْ عنها أسماعُ بعض الجاهلين واستوحشت منها نفوس المعطلين.

وفي إثبات صفة الكلام لله عز وجل قال: ونعتقد أن الحروف المكتوبة والأصوات المسموعة عين كلام الله عز وجل، لا حكاية ولا عبارة، قال الله عز وجل: ﴿الم * ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ﴾ [البقرة:١-٢]. وقال: ﴿المص * كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ﴾ [الأعراف:١-٢].

وقول القائل: بأن الحرف والصوت لا يكون إلا من مخارج باطل ومحال.

وفي إثبات الشفاعة قال: ويعتقد أهل السنة ويؤمنون أن النبي ﷺ يشفع يوم القيامة لأهل الجمع كلهم شفاعة عامة، ويشفع في المذنبين من أمته فيخرجهم من النار بعدما احترقوا.

كما روى أبو هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «لكل نبي دعوة يدعو بها، فأريد إن شاء الله أن أختبئ دعوتي شفاعة لأمتي يوم القيامة».

وفي إثبات الإيمان بعذاب القبر قال: والإيمان بعذاب القبر حق واجب، وفرض لازم. رواه عن النبي ﷺ علي بن أبي طالب، وأبو أيوب، وزيد بن ثابت، وأنس بن مالك، وأبو هريرة، وأبو بكرة، وأبو رافع، وعثمان بن أبي العاص، وعبد الله بن عباس، وجابر بن عبد الله، وعائشة زوج النبي ﷺ، وأختها أسماء، وغيرهم.

وكذلك الإيمان بمساءلة منكر ونكير.

وفي الإيمان بخروج الدجال في آخر الزمان قال: ونؤمن بأن الدجال خارج في هذه الأمة لا محالة، كما أخبر رسول الله ﷺ وصح عنه.

وأن عيسى بن مريم عليه السلام ينزل على المنارة البيضاء شرقي دمشق، فيأتيه وقد حصر المسلمون على عقبة أُفَيق، فيهرب منه، فيقتله عند باب لد الشرقي. ولُدّ من أرض فلسطين بالقرب من الرملة على نحو ميلين منها.

ثم ختم كتابه فقال: فهذه جملة مختصرة من القرآن والسنة، وآثار من سلف، فالزمها، وما كان مثلها مما صح عن الله ورسوله، وصالح سلف الأمة ممن حصل الإتفاق عليه من خيار الأمة، ودع أقوال من كان عندهم محقورًا مهجورًا، مبعدًا مدحورًا ومذمومًا ملومًا، وإن اغتر كثير من المتأخرين بأقوالهم وجنحوا إلى اتباعهم، فلا تغتر بكثرة أهل الباطل.

والحمد لله رب العالمين.

أطفال المسلمين كيف

الحلقة السادسة والعشرون

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله، وبعد:

في هذا العدد نبين إن شاء الله تعالى كيف كان يُعد رسول الله ﷺ شباب الإسلام ليكون قوة ضاربة في نحور أعدائهم، كما أنه كان يعلمهم حقوق الوالدين عليهم.

(١١٣) ويجهزهم ﷺ للغزو في سبيل الله

عن أنس بن مالك رضي الله عنه أن فتى من أسلم (أنصاري) قال: يا رسول الله، إني أريد الغزو وليس معي ما أتجهز، قال: «ائت فلانًا فإنه قد كان تجهز فمرض»، فأتاه فقال:: إن رسول الله ﷺ يقرئك السلام، ويقول: أعطني الذي تجهزتَ به، فقال: يا فلانة، أعطيه الذي تجهزتُ به ولا تحبسي عنه شيئًا، فوالله لا تحبسي منه شيئًا فيبارَك لنا فيه(١).

أرأيت أخي المربي هذا التفاعل العجيب والترابط المهيب بين أعضاء الأمة المسلمة ! إنهم تربَّوْا على توجيهات نبيهم: «مَن كان عنده فضل ظهر فليعد به على من لا ظهر له»، و«من جهز غازيًا فقد غزا» متفق عليه.

(١١٤) ولا يحرمهم ﷺ نيل الشهادة في سبيل الله

عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: رأيت أخي عمير بن أبي وقاص قبل أن يعرضنا رسول الله ﷺ يوم بدر يتوارى، فقلت: ما لَك يا أخي ؟ قال: إني أخاف أن يراني رسول الله ﷺ فيردَّني، وأنا أحب الخروج لعل الله يرزقني الشهادة، قال: فعُرِض على رسول الله ﷺ فردَّه لصغره فبكى، فأجازه (قَبِله) عليه الصلاة والسلام. فكان سعد رضي الله عنه يقول: فكنت أعقد حمائل سيفه من صغره، فقاتل وهو ابن ست عشرة سنة رضي الله عنه(٢).

ولما خرج المسلمون إلى أحد للقاء المشركين استعرض النبي ﷺ الجيش فرأى فيه صغارًا حشروا أنفسهم مع الرجال ليكونوا مع المجاهدين لإعلاء كلمة الله، فأشفق عليهم ﷺ وردَّ من استصغر منهم، وكان فيمن ردهم عليه الصلاة والسلام رافع بن خديج، وسمرة بن جندب، ثم أجاز رافعًا لما قيل له: إنه رامٍ يحسن الرماية، فبكى سمرة وقال لزوج أمه: أجاز رسول الله رافعًا وردَّني، مع أني أصرعه، فبلغ رسول الله ﷺ الخبر فأمرهما بالمصارعة، فكان الغالب سمرة فأجازه عليه الصلاة والسلام(٣).

إنه الجيل المبارك، عمير بن أبي وقاص يتوارى ويختبئ من النبي ﷺ ليجاهد الأعداء، فكيف لو سمع بأن بعض الناس يختبئ ليهرب من ميادين الجهاد؟!

النساء يفرحن باستشهاد أبنائهن

فها هي أم سعد بن معاذ وقد فقدت ابنها عمرًا في غزوة أُحُد مع قتلى آخرين، فقال لها النبي ﷺ: «يا أم سعد أبشري وبشِّري أهلهم أن قتلاهم ترافقوا في الجنة جميعًا، وقد شفعوا في أهلهم جميعًا» قالت: رضينا يا رسول الله، ومن يبكي عليهم بعد هذا ؟!(٤).

وكذلك أم حارثة بن الربيع، رضي اللهُ عنهما؛ يقول أنس رضي الله عنه إنها أتت النبي ﷺ وكان حارثة ابنها قُتل يوم بدر، أصابه سهم غرب (خطأ) ، فقالت يا رسول الله، ألا تحدِّثُني عن حارثة ؟ فإن كان في الجنة صبرتُ، وإن كان غير ذلك اجتهدتُ عليه في البكاء. فقال ﷺ: «يا أم حارثة، إنها جِنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى». قال قتادة: والفردوس ربوة الجنة وأوسطها وأفضلها(٥).

وأيضًا الخنساء بنت عمرو السلمية رضي اللهُ عنها، حضرت حرب القادسية ضد الفرس، ومعها بنوها الأربعة، تعظهم وتحرضهم على القتال وعدم الفرار، وتقول لهم: «إنكم أسلمتم طائعين، وهاجرتم مختارين، وإنكم لابن (أي أبناء) أب واحد وأم واحدة، ما خَبَتْ آباؤكم (ما عجزت)، ولا فُضِحَت أخوالكم»، فلما أصبحوا باشروا القتال واحدًا بعد واحد، حتى قُتِلوا جميعًا فبلغها الخبر، فقالت قولتها المشهورة: «الحمد لله الذي شرَّفني بقتلهم وأرجو من ربي أن يجمعني بهم في مستقر

ربَّاهم النبي الأمين صلى الله عليه وسلم

بقلم / جمال عبد الرحمن

رحمته»(٦).

(١١٥) ويعلمهم ﷺ لغة عدوهم

عن زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: أمرني رسول الله ﷺ أن أتعلم له كلمات من كتاب يهود قال: «إني والله ما آمن يهود على كتابي» قال: فما مر بي نصف شهر حتى تعلمته له، قال فلما تعلمته؛ كان إذا كتب إلى يهود كتبتُ إليهم، وإذا كتبوا إليه قرأتُ له كتابهم(٧). وفي لفظ: قال زيد: قال رسول الله ﷺ: «تُحسن السريانية ؟ إنها تأتيني كُتُب»، قال قلتُ: لا، قال: «فتعلمْها» فتعلمتها في سبعة عشر يومًا(٨).

إن طالب الجامعة الآن، كم يقضي من السنين حتى يتخرَّج متخصصًا في أي لغة من اللغات الأجنبية ؟ ليحصل على ما يسمى بالليسانس أو البكالوريوس ؟ ١٦ سنة.

وفي جامعة الإسلام الأولى، جامعة سيد البشر محمد ﷺ في كم من الزمن حصل زيد بن ثابت على التخصص في السريانية ؟ ١٦ يومًا بتقدير امتياز، في مقابل ١٦ سنة لطالب يبدأ من الابتدائية وينتهي بالجامعة !! أرأينا كم ينفق من الوقت في عمر الأمم ؟ إنها بركة هذا الدين والتوجه بالعمل إلى مالك يوم الدين.

(١١٦) ويهتم ﷺ بتعليمهم كتابة اللغة العربية

لقد اهتم النبي ﷺ بتعليم أبناء الصحابة الكتابة واللغة، لغة القرآن والحديث، فكلما تمكن الشاب من اللغة سُهل عليه الولوج في كافة العلوم الشرعية، فلذلك كان اهتمام النبي ﷺ بها أن يفدي الأسير من أسرى بدر مقابل تعليمه عشرة صبيان من أبناء الصحابة اللغة والكتابة.

قال ابن سعد: (أسر رسول الله ﷺ يوم بدر سبعين أسيرًا: وكان يفادي بهم على قدر أموالهم، وكان أهل مكة يكتبون، وأهل المدينة لا يكتبون، فمن لم يكن عنده فداء- ما يفدي به نفسه من الأسر- دُفع إليه عشرة غلمان من غلمان المدينة يعلِّمهم، فإذا حذقوا- أتقنوا الكتابة- فهو فداؤه)(٩).

وقال: وبلغ فداء أهل بدر يومئذ ٤٠٠٠ فما دون ذلك حتى إن كان الرجل يُحسن الخط ففودي على أن يعلِّم الخط(١٠). (وكانت العرب تعظِّم قدر الخط، وتعدُّه من أجَلِّ نافع... لِما هو مستقر في نفوسهم من عظم خطره وجلالة قدره، وظهور نَفعه وأثره. وقد قال الله تعالى لنبيه ﷺ: ﴿ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ × الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ﴾ [سورة العلق: ٣، ٤] .فوصف نفسه بأنه علَّم بالقلم، كما وصف نفسه بالكرم، حتى أقسم به في كتابه، فقال سبحانه وتعالى: ﴿وَالْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ﴾ [القلم: ١] فاقسم بالقلم، كما أقسمَ بما يُخَطُّ بالقلم) (١١).

(١١٧) ويعلمهم ﷺ بر الوالدين وآدابه:

قال ابن الأثير رحمه الله في النهاية (باب سبب): (وفي حديث أبي هريرة رضي الله عنه: «لا تمشين أمام أبيك، ولا تجلس قبله، ولا تدْعُهُ باسمه، ولا تستسب له» أي لا تعَرِّضه للسب وتجره إليه، بأن تسب أبا غيرك فيسب أباكَ مجازاةً لك، وقد جاء مُفَسَّرًا في الحديث الآخَر: «إن من أكبر الكبائر أن يسب الرجل والديه». قيل وكيف يسب والديه ؟ قال: «يسب أبا الرجل فيسب أباه وأمه»(١٢). ا هـ.

وأورد الإمام النووي هذا الحديث في كتابه الأذكار وفسَّر قول النبي ﷺ: «ولا تستسب له» قال: لا تفعل فعلاً تتعرض فيه لأن يسبك أبوك زجرًا لك وتأديبًا على فعلك القبيح، والولد البار يسر أهله، ويُدخل البهجة في نفوسهم، فتبتسم لهم الحياة، ويستحق الولد أن يكون قرة عين أهله، فهو بهم بار، وله أجر البر وعظيم ثوابه.

عن ابن عباس- رضي اللهُ عنهما- قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا نظر الوالد إلى ولده فسرَّه،كان للولد عتق نسمة» قيل: يا رسول الله، وإن نظر ثلاثمائة وستين نظرة ؟ قال «الله أكبر»(١٣).

(١١٨) ويبين لهم ﷺ أنهم ومالهم لآبائهم:

عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده رضي اللهُ عنهم أن رجلاً أتى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، إن لي مالاً وولدًا، وإن والدي يحتاج أو يجتاح مالي، قال: «أنت ومالك لأبيك، إن أولادكم من أطيب كسبكم فكلوا من كسب أولادكم»(١٤). بل إن الأب لو

أعطى ابنه شيئًا ثم أراد أن يرجع في عطيته فله ذلك ولا جناح عليه، بعكس ما لو أعطاها لأحد من غير أبنائه فلا يجوز له الرجوع فيما أعطى، لما رواه ابن عمر وابن عباس يرفعانه: «لا يحل للرجل أن يعطي عطية، ثم يرجع فيها إلا الوالد فيما يعطي ولده، ومثل الذي يعطي العطية ثم يرجع فيها كمثل الكلب أكل حتى إذا شبع قاء ثم عاد في قيئه»(١٥).

قال الترمذي: قال الشافعي: لا يحل لمن وهب هبة أن يرجع فيها، إلا الوالد فله أن يرجع فيما أعطى ولده واحتج بهذا الحديث.

(١١٩) ويودِّع الحُجاج منهم بالدعاء ماشيًا معهم بعض الطريق:

ومن اهتمامات النبي ﷺ بأداء الصبيان فريضة الحج ومشاركتهم فيها ما رواه ابن عمر رضي اللَّهُ عنهما قال: جاء غلام إلى النبي ﷺ فقال: إني أريد أن أحج، فمشى معه رسول الله ﷺ فقال: «يا غلام، زوَّدك اللَّه التقوى، ووجَّهك في الخير، وكفاك الهم»، فلما رجع الغلام على النبي ﷺ فقال: «يا غلام، قبِل اللَّه حجك، وغفر ذنبك، وأخلف نفقتك»(١٦).

وفي رواية: «زودك اللَّه التقوى وغفر ذنبك ويسَّر لك الخير حيثما كنت»(١٧).

قال المناوي في «شرح فيض القدير»: قاله لرجل جاءه فقال: إني أريد سفرًا فزودني؛ فقال: «زودك اللَّه التقوى». فقال: زدني، قال: «ويسر لك الخير حيثما كنت». اهـ.

قُلْتُ: ولم يذكر أن هذا السفر كان للحج.

لقد كان ﷺ يشجع الشباب الصغير على الحج، لما فيه من تعويدهم على الطاعة وترغيبهم فيها، وللأجر الذي يعود على آبائهم. قال ابن عباس رضي اللَّهُ عنهما: صَدَرَ رسول اللَّه ﷺ فلما كان بالروحاء (قرب المدينة) لقي قومًا فقال: «من أنتم» ؟ قالوا: المسلمون، قالوا: من أنت ؟ قال: «رسول اللَّه»، فأخرجت امرأة صبيًا من المحَفَّة (الهودج) فقالت: ألهذا حج ؟ قال: «نعم ولك أجر» (١٨).

---

(١) مسلم، كتاب الإمارة , ٣٥١٠ وأبو داود وأحمد.

(٢) أخرجه ابن سعد في الطبقات ج٣ ص, ١٤٩ والحاكم ج٣ ح٤٨٦٤ وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه.

(٣) سبق تخريجه بالفقرة (١١٢).

(٤) السيرة الحلبية، ٢/, ٤٧ ينقل عنها صاحب الرحيق المختوم ص , ٢٨٣

(٥) البخاري،كتاب الجهاد والسير , ٢٥٩٨ والترمذي،كتاب تفسير القرآن (٣٠٥٨).

(٦) الإصابة في تمييز الصحابة، لابن حجر العسقلاني ٢٨٨/٢، والتعبير بأن يجمعها اللَّه بأولادها في مستقر رحمة اللَّه خطأ وغير ممكن لأن مستقر الرحمة هو اللَّه سبحانه وتعالى؛ فقد أخرج البخاري في الأدب المفرد ج١ ح٧٦٨ أن أبا الحارث الكرماني قال: سمعت رجلاً قال لأبي رجاء: أقرأ عليك السلام وأسأل اللَّه أن يجمع بيني وبينك في مستقر رحمته قال: وهل يستطيع أحد ذلك ؟ فما مستقر رحمته ؟ قال الجنة، قال: لم تُصِب، قال: فما مستقر رحمته ؟ قال: رب العالمين. قال الألباني: صحيح الإسناد. وقال: هذا الأثر عنه يدل على فضله وعلمه، ودقة ملاحظته، فإن الجنة لا يمكن أن تكون مستقر رحمته تعالى؛ لأنها - الرحمة - صفة من صفاته، بخلاف الجنة فإنها خلق من خلق الله، وإن كان استقرار المؤمنين فيها إنما هو برحمة الله تعالى كما في قوله عز وجل: ﴿وأما الذين ابيضت وجوههم ففي رحمة الله هم فيها خالدون﴾ [آل عمران: ١٠٧] يعني الجنة.

(٧) صحيح الترمذي (ح٢٧١٥).

(٨) أحمد ح ٢١٤٧٩، وقال محققه: إسناده صحيح.

(٩) أخرجه ابن سعد في الطبقات ج٢ ص, ٢٢

(١٠) أخرجه ابن سعد في الطبقات ج٢ ص, ٢٦

(١١) أدب الدنيا والدين للماوردي ص, ٦٨

(١٢) صحيح أبي داود للألباني ح , ٤٢٨٧

(١٣) البيهقي في شعب الإيمان ج٦ ص, ١٨٦ ورواه الطبراني في الكبير والأوسط وقال فيه: لا يُروَى عن النبي ﷺ إلا بهذا الإسناد، وإسناده حسن، فيه إبراهيم بن أعين وثقة ابن حبان وضعفه غيره. قاله الهيثمي في مجمع الزوائد ج٨ ص٢٥٦، وانظر ضعيف الجامع ح, ٧١١

(١٤) صحيح سنن أبي داود للألباني ح ٣٠١٥، وصحيح ابن ماجه له أيضًا ح ٢٢٩٢، وقال: حسن صحيح.

(١٥) صحيح سنن الترمذي (ح ٢١٣٢).

(١٦) مجمع الزوائد ج٣ ص٢٢١ وقال: رواه الطبراني في الأوسط وفي الصحيح طرف من أوَّلِه وفيه مسلمة بن سالم الجهني ضعفه الدارقطني.

(١٧) صحيح الجامع ح ٣٥٧٩ (حسن).

(١٨) مسلم، كتاب الحج (٢٣٧٧).

أسئلة القراء عن الأحاديث

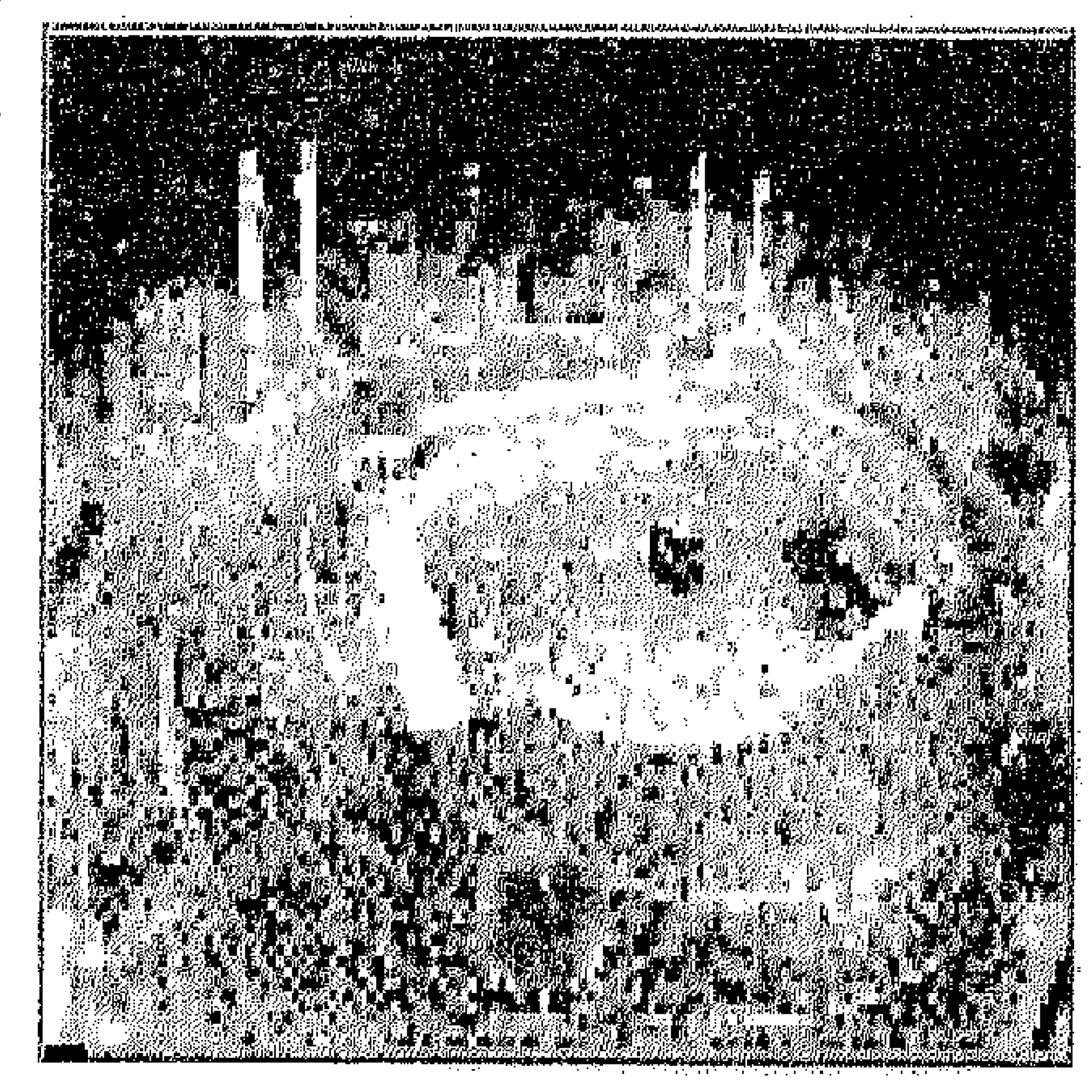
يجيب عليها/ أبو إسحاق الحويني

■ ■ ويسأل القارئ: إبراهيم أسامة عبد الرحيم- أخميم- سوهاج- فيقول: سمعتُ بعض الخطباء يوم الجمعة يقول: إن الذئب أتى راعيًا فأخبره ببعثة رسول الله ﷺ، فهل ذلك صحيحٌ.

والجواب: أن هذا الحديث صحيحٌ.

أخرجه أحمد (٣/٨٣- ٨٤) قال: حدثنا يزيد بن هارون، وعبد بن حميد في «المنتخب» (٨٧٧)، والبزار (٢٤٣١)، والطحاوي في «المشكل» (١٥/٤٨٠، ٤٨١)، والعقيلي في الضعفاء (٣/٤٧٧- ٤٧٨) عن مسلم بن إبراهيم، والحاكم (٤/٤٦٧- ٤٦٨) عن وكيع بن الجراح. والبيهقي في «دلائل النبوة» (٦/٤١ ـ ٤٢) عن عبيد الله بن موسى. وأبو نعيم في «الدلائل» (٢٧٠) عن أبي الوليد الطيالسي، وهدبة بن خالد، وأبي عمر الحوضي وهريم بن عثمان قالوا: ثنا القاسم بن الفضل، عن أبي نضرة، عن أبي سعيد الخدري، قال: عدا الذئب على شاةٍ فأخذها، فطلبه الراعي فانتزعها منه، فأقعى الذئب على ذنبه، وقال: ألا تتقي الله، تنزع مني رزقًا ساقه الله إليَّ، فقال: يا عجبًا! ذئبٌ مُقْعٍ على ذنبه يكلمني بكلام الإنس؟ فقال الذئبُ: ألا أخبرك بأعجب من ذلك: محمدٌ ﷺ بيثرب يخبر الناس بأنباء ما قد سبق. قال: فأقبل الراعي يسوقُ غنمهُ حتى دخل المدينة، فزواها إلى زاوية من زواياها، ثم أتى رسول الله ﷺ فأخبره. فأمر رسول الله ﷺ فنودي: الصلاة جامعة، ثم خرج، فقال للراعي: «أخبرهم» فأخبرهم. فقال رسول الله ﷺ: «صدق، والذي نفسي بيده! لا تقوم الساعة حتى تكلِّم السباعُ الإنسَ ويكلم الرجلَ عذبةُ سوطه، وشراكُ نعله، ويخبره فخذُهُ بما أحدث أهلُه بعده».

وأخرجه الترمذي (٢١٨١) قال: حدثنا سفيان بن وكيع. وابن أبي شيبة (١٥/١٦٧)، والحاكم (٤/٤٦٧) عن أحمد بن حنبل. وأبو نعيم في «الحلية» (٨/٣٧٧- ٣٧٨) عن أبي شعيب الواسطي محمد بن يزيد قالوا: ثنا وكيع، ثنا القاسم بن الفضل بهذا الإسناد بآخره. ثم رأيتُهُ عند ابن حبان (٦٤٦٠) فرواه عن أبي يعلى، قال: حدثنا هدبة بن خالد، نا القاسم بن الفضل ثنا الجريري، قال: حدثنا أبو نضرة، عن أبي سعيد مرفوعًا. فجعل «الجريري» واسطة بين القاسم وأبي نضرة، وهذه رواية شاذةٌ. وقد رواه سائر أصحاب القاسم فلم يذكروا «الجريري» في إسناده، وتقدم أن هدبة بن خالد يرويه مثل رواية



الجماعة ورواها عنه هشام بن علي السيرافي، وقد ترجمه ابن حبان (٩/٢٣٤) وقال: «مستقيم الحديث». فإمَّا أن يكون وهم فيها أبو يعلى أو هدبة بن خالد، وهدبة مع ثقته فقد ضعَّفه النسائي. والله أعلم. وقال الترمذي بعد تخريجه للحديث: «وهذا حديث حسن صحيح غريب، لا نعرفه إلا من حديث القاسم بن الفضل، والقاسم بن الفضل ثقة مأمون عند أهل الحديث، وثقه يحيى بن سعيد القطان وعبد الرحمن بن مهدي». انتهى. وقال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم». وقال البيهقي في «الدلائل»: «هذا إسناد صحيح». وهذا هو الصواب، وليس الحديث على شرط مسلم كما قال الحاكم، أو على شرط الصحيح كما قال ابنُ كثير في «البداية والنهاية» (٦/١٤٣) لأن مسلمًا رحمه الله لم يرو في «صحيحه» للقاسم بن الفضل إلا عن شيخه: شيبان بن فروخ عن القاسم، فالصواب أن الإسناد صحيح بإطلاق وليس مقيدًا بشرط مسلم، والله أعلم، ولا أدري ما الذي حمل العقيليّ على إيراده هذا الحديث في «الضعفاء»، فإن الحكاية التي أوردها تثبت الحديث ولا تُعلُّهُ. فقد روى من طريق مسلم بن إبراهيم، قال: كنتُ عند القاسم بن الفضل الحداني فأتاه شعبةُ فسأله عن حديث أبي نضرة، عن أبي سعيد، عن النبي ﷺ: «بينا راعٍ يسوقُ غنمه عدا الذئب عليه...» فقال له شعبة: لعلك سمعته من شهر بن حوشب؟ قال: بلى، حدثنا أبو نضرة، عن أبي سعيد، فما سكت حتى سكت شعبة. انتهى. فكأن شعبة جادله في هذا، ولم يسلم له القاسم حتى انقطعت حُجَّةُ شعبة أو مسألته، فحينئذ سكت القاسم، فهذا يدل على أن شعبة كان مستفهمًا لا مُعِلاً، وقد أجابه القاسم بأنه سمعه من أبي نضرة، فلا وجه لإيراد الحديث ولا روايته في «كتاب الضعفاء»، أما رواية شهر بن حوشب، فقد أخرجها أحمد (٣/٨٨- ٨٩) قال: حدثنا أبو اليمان أخبرنا شعبة بن أبي حمزة، حدثني عبد الله بن أبي حسين، حدثني شهر، أن أبا سعيد حدثه مرفوعًا فذكر مثله. ورواه عبد الحميد بن بهرام، قال: حدثني شهر بن حوشب عن أبي سعيد مرفوعًا. أخرجه أحمد (٣/٨٩) قال: حدَّثنا أبو النضر هاشم بن القاسم والبيهقي في الدلائل (٦/٤٣) عن يونس بن بكير كلاهما عن عبد الحميد بهذا.

ورواه البيهقي أيضًا (٦/٤٢- ٤٣) من طريق معقل بن عبد الله، عن شهر بهذا. وشهر بن حوشب متكلم فيه بكلام كثير، وخلاصة الرأي عندي فيه أنه حسنُ الحديث إلا إذا خالفه من هو أمكنُ منه، وهو هنا متابعٌ من قبل أبي نضرة، فهذا يدلُّ على أنه حفظ. والعلمُ عند الله تعالى.

■ ■ ويسأل القارئ: عبد الله عبد الرحيم- كلية الزراعة- جامعة الإسكندرية عن درجة هذا الحديث: «إذا مُدح المؤمن في وجهه، ربا الإيمان في قلبه».

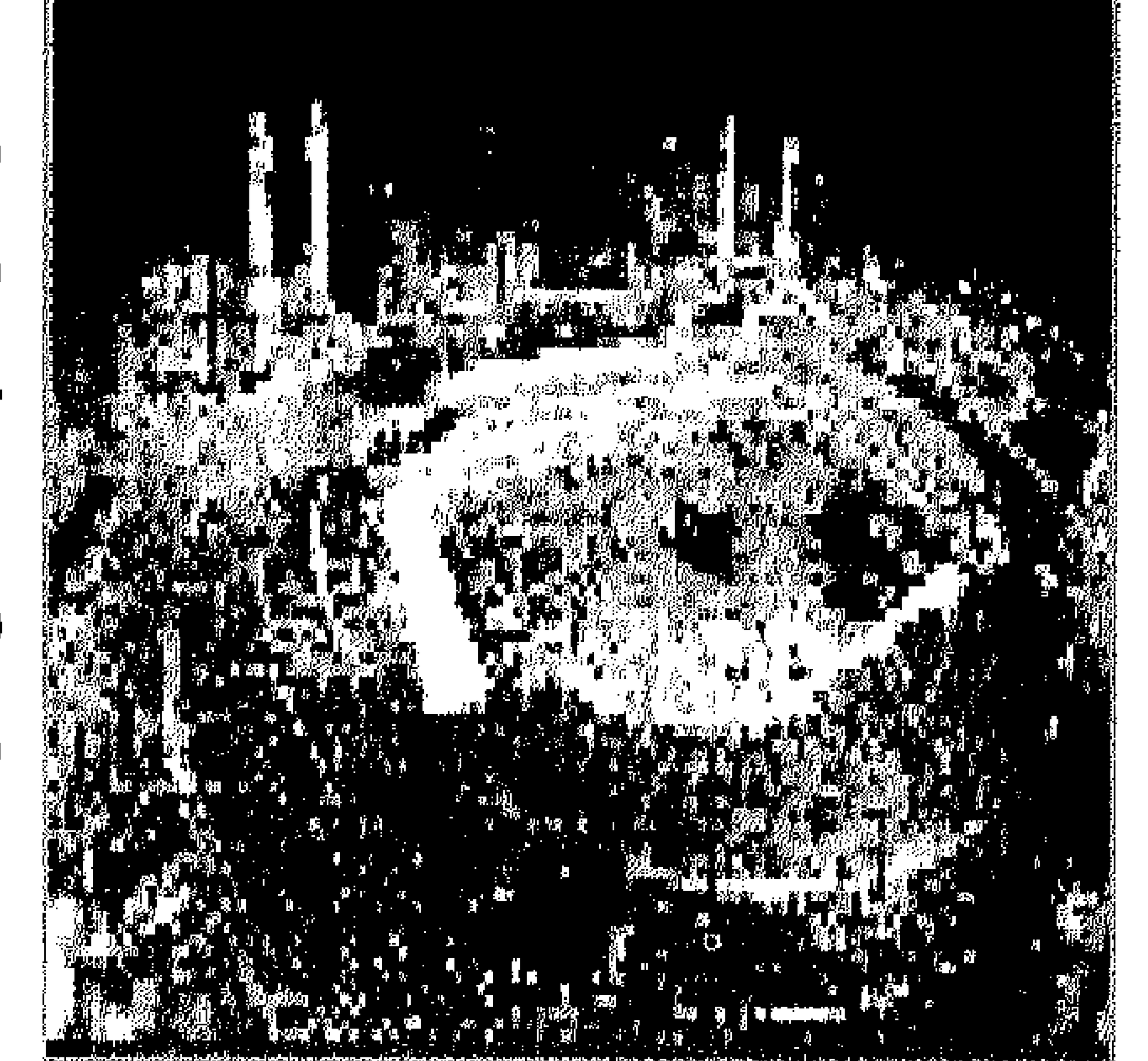
والجواب: فهذا حديث منكر.

أخرجه الحاكم (٣/٥٩٧) قال: أخبرنا أبو جعفر محمد بن عبد الله البغدادي، والطبراني في «الكبير» (ج١/ رقم ٤٢٤)

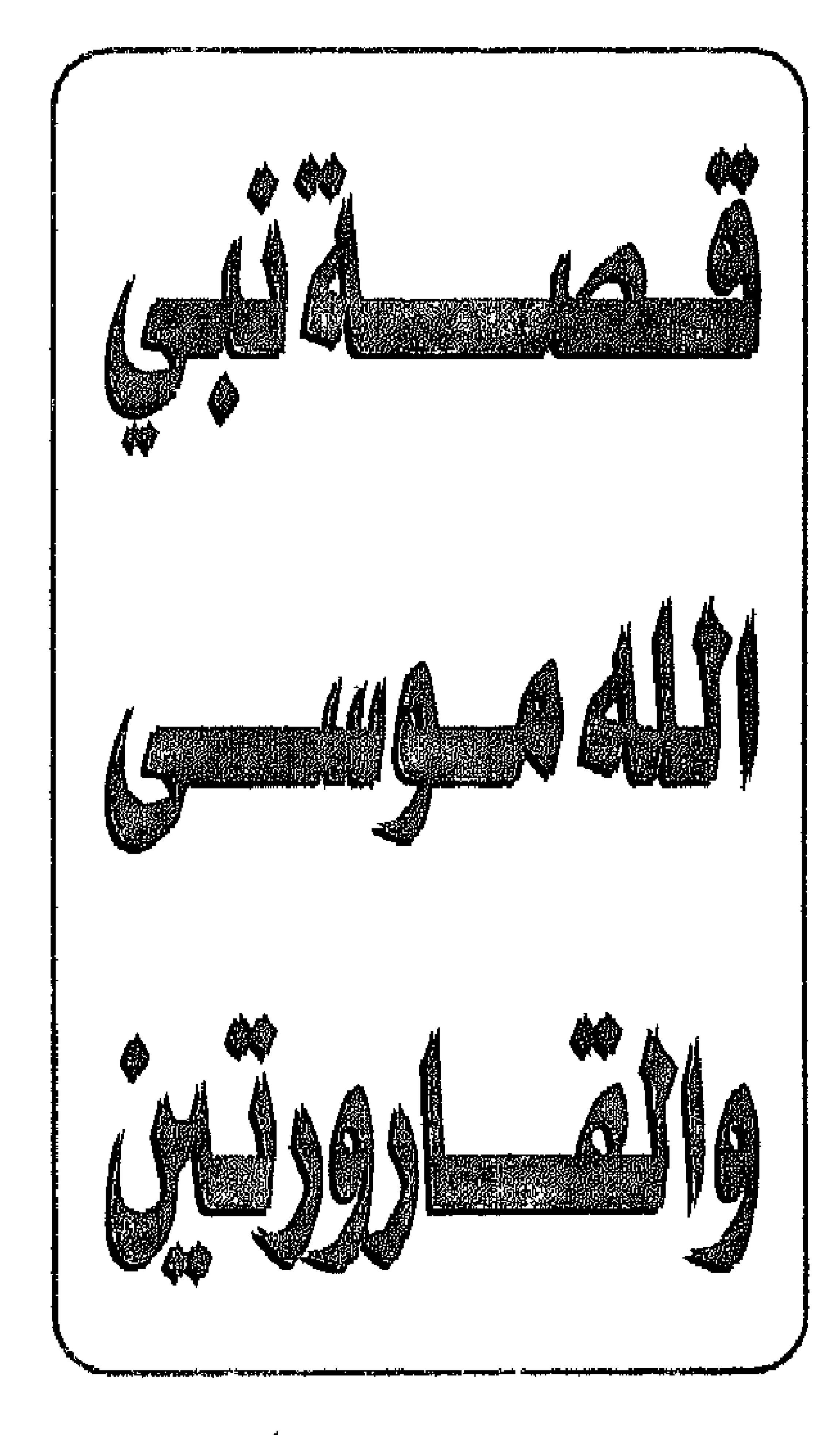
قالا: ثنا محمد بن عمرو بن خالد الحراني، حدثني أبي، ثنا ابن لهيعة عن صالح بن أبي عريب، عن خلاد بن السائب، قال: دخلتُ على أسامة بن زيد، فمدحني في وجهي، فقال: إنه حملني أن أمدحك في وجهك أني سمعت رسول اللّه ﷺ يقول: «إذا مُدح المؤمن... الحديث».

وهذا إسناد ضعيف كما قال العراقي في «تخريج الإحياء»، وتبعه العجلوني في «كشف الخفاء» (٩٩/١). وقال الهيثمي في المجمع (١١٩/٨): «فيه ابن لهيعة، وبقية رجاله وثقوا». وهو يشير بقوله: «وثقوا» إلى ضعف التوثيق الوارد في صالح بن أبي عريب، فلم يوثقه إلا ابن حبان، ولذلك قال ابن القطان: «لا يعرفُ له حال». أما ابن لهيعة فالكلام فيه كثير، خلاصته أن من سمع قبل احتراق كتبه، فروايته مثل من رواية من سمع بعد احتراق كتبه، وعمرو بن خالد الحراني ليس من قدماء أصحابه، ثم هذا المتن يخالف بعض الأحاديث الصحيحة، والتي نهى فيها رسول اللّه ﷺ عن مدح الرجل أخاه في وجهه. فمن ذلك ما أخرجه البخاري في «صحيحه» (٢٠٢/٥، ٤٧٦/١٠)، وفي «الأدب المفرد» (٣٣٣)، ومسلم (٣٠٠/٣٥- ٣٦)، وابو عوانة في «المستخرج»- كما في «إتحاف المهرة» (٥٦٨/١٣)- وأبو داود (٤٨٠٥)، والنسائي في «اليوم والليلة» (٢٣٩)، وابن ماجه (٣٧٤٤)، وأحمد (٤١/٥، ٤٦، ٤٧) وغيرهم من طريق عبد الرحمن بن أبي بكرة، عن أبيه أنهم ذكروا رجلاً عند النبي ﷺ، فقال رجل: يا رسول الله ما من رجلٍ بعد رسول الله ﷺ أفضل منه في كذا. فقال النبي ﷺ: «ويحك، قطعت عنق أخيك». مرارًا يقول ذلك. قال رسول اللّه ﷺ: «إن كان أحدكم مادحًا أخاه لا محالة فليقل أحسبُ فلانًا- إن كان يُرى أنه كذلك- ولا أزكي على الله أحدًا، وحسيبُه الله، أحسبه كذا وكذا».

وأخرجه البخاري (٢٦٦٣، ٦٠٦٠)، وفي «الأدب المفرد» (334)، ومسلم (٣٠٠١)، وأبو عوانة- كما في «الإتحاف» (٨٦/١٠)، وأحمد (٤١٢/٤) من حديث أبي موسى الأشعري قال: سمع النبي ﷺ رجلاً يثني على رجلٍ ويطريه في المدحة، فقال: «لقد أهلكتم- أو قطعتم- ظهر الرجل». وأخرج مسلم (٦٩/٣٠٠٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٣٣٩)، وأبو داود (٤٨٠٤)، والترمذي (٢٣٩٣)، وابن ماجه (٣٧٤٢)، وأحمد (٥/٦)، والطيالسي (١١٥٨، ١١٥٩)، وابن أبي الدنيا في «الصمت» (٥٩٤)، وغيرهم من حديث المقداد بن الأسود قال: أمرنا رسول اللّه ﷺ إذا رأينا المداحين أن نحثو في وجوههم التراب. وقد روى هذا المعنى جماعة من الصحابة منهم ابن عمر وأبو هريرة وأنس وعبد الرحمن بن أزهر ومحجن الأدرع رضي الله عنهم. ولو صحّ هذا الحديث لكان محمولاً على من يوثق به وأن المدح لا يضيره ولا يغرُّه، بل يُرجى خيره ببيان فضله وتقدُّمه كما حدث ذلك من مدح النبي صلى الله عليه وسلم لأبي بكر وعمر وعثمان وعلي رضي الله عنهم. والله الموفق لا ربّ سواه.



الحلقة
«الثالثة والأربعون»





بقلم
علي حشيش

***نواصل** في هذا التحذير تقديم البحوث العلمية الحديثية للقارئ الكريم حتى يقف على حقيقة هذه القصة التي اشتهرت على ألسنة الخطباء والوعاظ والقصاص، وهي من الإسرائيليات الموضوعة التي تطعن في عصمة الأنبياء.*

أولا: متن القصة:

وقع في نفس موسى: هل ينام الله تعالى ذكره؟ فأرسل الله إليه ملكًا فأرقه ثلاثًا، ثم أعطاه قارورتين في كل يد قارورة، وأمره أن يحتفظ بهما قال: فجعل ينام، وتكاد يداه تلتقيان، ثم يستيقظ فيحبس إحداهما عن الأخرى، ثم نام نومة فاصطفقت يداه، وانكسرت القارورتان قال: ضرب الله له مثلاً أن الله لو كان ينام لم تستمسك السموات والأرض. اهـ.

ثانيا: التخريج:

القصة أخرجها ابن جرير في «تفسيره» (١٢/٣- ط دار الغد) (ح٥٧٨٢) قال: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل، قال: حدثنا هشام بن يوسف، عن أمية بن شبل، عن الحكم بن أبان، عن عكرمة عن أبي هريرة قال: سمعت رسول الله ﷺ يحكي عن موسى عليه السلام على المنبر قال :فذكره.

وأخرجها ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (٤٠/١) (ح٢٢) قال: أخبرنا محمد بن عمر الأرموي، قال: حدثنا عبد الصمد بن المأمون، قال: أخبرنا الدارقطني، قال: حدثنا عبد الوهاب بن عيسى بن أبي دحية، قال: حدثنا إسحاق بن أبي إسرائيل به.

وأخرجها ابن الجوزي في الواهيات (ح٢٣) قال: أخبرنا أبو منصور عبد الرحمن بن محمد، قال: حدثنا أبو بكر أحمد بن علي الخطيب، قال: أخبرنا إبراهيم بن مخلد، قال حدثنا أبو عبد الله محمد بن أحمد بن إبراهيم الحكيمي، قال: حدثنا محمد بن إسحاق الصاغاني، قال: أخبرني يحيى بن معين، قال: حدثنا هشام بن يوسف له.

قلت: لذلك أخرجها الخطيب في «تاريخ بغداد» (٢٦٨/١) في ترجمة محمد بن أحمد الحكيمي ترجمة رقم (١٠٢) وبعد أن ذكر الحديث الذي جاءت به هذه القصة بسنده قال: «هكذا رواه أمية بن شبل عن الحكم بن أبان موصولاً مرفوعًا، وخالفه معمر بن راشد فرواه عن الحكم عن عكرمة من قوله ولم يذكر فيه النبي ﷺ ولا أبا هريرة.

قلت: وأخرجها من هذا الطريق الخطيب في «التاريخ» (٢٦٨/١)

فقال: أخبرنا الحسن بن علي الجوهري، قال: أنبأنا محمد بن العباس الخزاز قال: أنبأنا عبد الله بن محمد بن إسحاق المروزي، قال: حدثنا الحسن بن أبي الربيع، قال: أنبأنا عبد الرزاق قال: قال معمر: أخبرني الحكم بن أبان عن عكرمة مولى ابن عباس في قوله تعالى: ﴿لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ أن موسى سأل الملائكة هل ينام الله تعالى؟ فأوحى الله إلى الملائكة وأمرهم أن يؤرقوه ثلاثًا. الحديث مثله.

قلت: فالخبر الذي جاءت به هذه القصة يصبح من نوع (المقطوع) كما هو معروف عند أهل هذا الفن، حيث إن هذا الخبر من هذا الطريق ليس من قول النبي ﷺ ولا من قول الصحابي أبي هريرة ولكنه من قول عكرمة مولى ابن عباس، وقال الحافظ في «التقريب» (٣٠/٢): «عكرمة بن عبد الله مولى ابن عباس أصله بربري من الثالثة».

قلت: والثالثة من الطبقات قال فيها الحافظ ابن حجر في «التقريب» (٥/١): «الثالثة: الطبقة الوسطى من التابعين».

وقال البيقوني:

«وما أضيف للنبي المرفوع
وما لتابع هو المقطوع»

قلت: وبتطبيق هذا المصطلح على طبقة عكرمة نجد أن الخبر: مقطوع.

وهذا الخبر المقطوع أخرجه أيضًا ابن جرير في «تفسيره» (١٢/٣) (ح٥٧٨١) قال: حدثنا الحسن بن يحيى قال: أخبرنا عبد الرزاق به.

ثالثًا: التحقيق:

يظن من لا دراية له بهذا الفن أننا قد أسهبنا في جمع الطرق، ولكن الخبر معلل ولا بد للمعلل من جمع الطرق خاصة وأن الحكم بن أبان العدني اختلف عليه، والحكم أورده الذهبي في «الميزان» (٥٧٠/١/ ٢١٦٩)، ونقل عن ابن المبارك أنه قال: «الحكم بن أبان، وحسام بن مصك، وأيوب بن سويد، ارم بهؤلاء». اهـ.

قلت: ثم بين الذهبي عبادته فنقل عن أحمد العجلي أنه قال: كان- أي الحكم بن أبان- يقف في البحر إلى ركبتيه قال يذكر الله مع حيتان البحر ودوابه حتى يصبح. اهـ.

قلت: لذلك قال الحافظ ابن حجر في «التقريب» (١٩٠/١): «الحكم بن أبان العدني أبو عيسى صدوق عابد له أوهام». اهـ.

ثم قال الحافظ في «النخبة» النوع (٢٩): «ثم الوهم، إن اطلع عليه بالقرائن وجمع الطرق فالمعلل».

قلت: فمن أجل أوهام الحكم بن أبان جمعنا الطرق وجمع الطرق هو الطريق إلى معرفة المعلل.

قال الحافظ في «شرح النخبة» (١٢٣): «المعلل: هو من أغمض أنواع علوم الحديث وأدقها لا يقوم به إلا من رزقه الله تعالى فهمًا ثاقبًا، وحفظًا واسعًا، ومعرفة تامة بمراتب الرواة وملكة قوية بالأسانيد والمتون، ولهذا لم يتكلم فيه إلا القليل من أهل هذا الشأن، كعلي بن المديني، وأحمد بن حنبل، والبخاري، ويعقوب بن شيبة، وأبي حاتم، والدارقطني». اهـ.

بيان الاختلاف على الحكم بن أبان

من جمع طرق الخبر الذي جاءت به هذه القصة يتبين الآتي:

أ- الخبر من حديث أمية بن شبل عن الحكم بن أبان خبر (مرفوع).

ب- الخبر من حديث معمر بن راشد عن الحكم بن أبان خبر (مقطوع).

١- قال الإمام ابن الجوزي في «العلل المتناهية في الأحاديث الواهية» (٤١/١): «ولا يثبت هذا الحديث عن رسول الله ﷺ وغلط من رفعه، والظاهر أن عكرمة رأى هذا في كتب اليهود فرواه، فما يزال عكرمة يذكر عنهم أشياء لا يجوز أن يخفى هذا على نبي الله عز وجل». اهـ.

٢- أورد الحافظ ابن كثير في «تفسيره» (٣٨٧/١) الخبر المقطوع وعزاه لعبد الرزاق، ثم قال: وهكذا رواه ابن جرير عن الحسن بن يحيى عن عبد الرزاق فذكره.

ثم قال: وهو من أخبار بني إسرائيل، وهو مما يعلم أن موسى عليه السلام لا يخفى عليه مثل هذا من أمر الله عز وجل وأنه منزه عنه، وأغرب من هذا كله الحديث الذي رواه ابن جرير: حدثنا إسحاق بن إسرائيل، قلت: فساقه مرفوعًا كما تقدم، ثم قال: وهذا حديث غريب جدا والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع. اهـ.



٣- قال الإمام الذهبي في الميزان (١٠٣٢/٢٧٦/١): أمية بن شبل، يماني، له حديث منكر، رواه عن الحكم بن أبان، عن عكرمة، عن أبي هريرة مرفوعًا، قال: وقع في نفس موسى هل ينام الله.. الحديث. رواه عنه هشام بن يوسف، وخالفه معمر، عن الحكم، عن عكرمة من قوله، وهو أقرب. ولا يسوغ أن يكون هذا وقع في نفس موسى. اهـ.

استنتاج

نستنتج من أقوال الأئمة أن القصة واهية والحديث الذي جاءت فيه حديث منكر وأنه لا يثبت عن رسول الله ﷺ وغلط من رفعه، وهو من أخبار بني إسرائيل التي ذكرها عنهم عكرمة والأظهر أنه إسرائيلي لا مرفوع كما هو ظاهر من رواية معمر بن راشد وبهذا يتبين حقيقة الخلاف بين المرفوع والمقطوع مع الأخذ بعين الاعتبار أوهام الحكم بن أبان كما بينا آنفًا، وكما قال ابن عدي في الكامل (٣٥٥/٢) (٤٨٧/١١٨) في ترجمة حسين بن عيسى: الحكم بن أبان فيه ضعف ولعل البلاء منه لا من حسين بن عيسى. اهـ.

قلت: ولذلك أورد هذه القصة الشيخ الألباني رحمه الله في الضعيفة (١٢١/٣) (ح١٠٣٤) وأورد الحديث الذي جاءت به القصة ثم قال: «منكر». وآفة هذا الحديث عندي الحكم بن أبان هذا. اهـ.

ثم أورد الشيخ الألباني قصة عبادة الحكم بن أبان وعزاها إلى ابن أبي حاتم (١١٣/٢/١) وأثبتها بسندها وفيها أن الحكم بن أبان: «كان يصلي من الليل فإذا غلبته عيناه نزل إلى البحر فقام في الماء يُسَبِّح مع دواب البحر». اهـ.

قلت: وقصة وقوفه في البحر ليلاً يذكر الله مع دواب البحر حتى يصبح أخرجها ابن أبي حاتم في الجرح والتعديل (١١٣/٣- ط دار إحياء التراث) ترجمة (٥٢٦) وأقره الإمام المزي في تهذيب الكمال (١٤٠٤/٧٨/٥) واستنبط الشيخ الألباني من هذا الغلو في العبادة استنباطًا قال فيه: فمثل هذه العبادة والغلو فيها حري بصاحبها أن لا يظل محتفظًا بذاكرته التي متعه الله بها والاستفادة منها بضبط الحديث وحفظه.

وإن اضطرابه في هذا الحديث لمن أقوى الأدلة على عدم ضبطه لحديثه، فهو تارة يرويه عن عكرمة عن أبي هريرة مرفوعًا، وتارة عن عكرمة من قوله لا يتعداه، وهذا هو اللائق بمثل هذا الحديث أن يكون موقوفًا على عكرمة، وهو تلقاه من بعض أهل الكتاب فهو من الإسرائيليات التي لا يجب علينا التصديق بها، بل هو مما يجب الجهر بتكذيبه وبيان بطلانه، كيف لا، وفيه موسى كليم الله يجهل تنزه الله تبارك وتعالى عن السهو والنوم فيتساءل في نفسه: هل ينام الله؟ وهل هذا إلا كما لو قال القائل: هل يأكل الله تبارك وتعالى؟ هل كذا، هل كذا، وغير ذلك مما لا يخفى بطلانه على أقل مسلم، ولهذا يضعف هذا الحديث غير واحد من العلماء. فقال القرطبي في تفسيره (٢٧٣/١): ولا يصح هذا الحديث، ضعفه غير واحد منهم البيهقي. اهـ.

قرائن تدل على بطلان هذه القصة

كيف يجهل موسى عليه السلام تنزه الله تبارك وتعالى عن النوم فيقع في نفسه: هل ينام الله؟

هذا كذب على نبي الله موسى عليه السلام لأن النوم هو الوفاة الصغرى، فكيف يصبح الذي يتوفى الأنفس هو المُتَوَفَّى؟

والله سبحانه يقول: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَى أَجَلٌ مُسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ (٦٠) وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّى إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠، ٦١].

قلت: من هذا الدليل يتبين أن النوم هو الوفاة الصغرى، ونفي النوم عن الله عز وجل؛ فيه إثبات كمال الضد وهو الحياة، وهذا واضح في توحيد الأسماء والصفات في قوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ لَا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلَا نَوْمٌ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

الخلاصة

قلت: يتبين للقارئ الكريم مما سبق الأثر السيئ لهذه القصة؛ لأن الجهل بتنزه الله عن النوم، جهل بالحي الذي له الحياة الكاملة المستلزمة لجميع صفات الذات وجهل بالقيوم الذي قام بنفسه وقام بغيره وذلك مستلزم لجميع الأفعال التي اتصف بها رب العالمين الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

فهذه القصة من الإسرائيليات المدسوسة التي تطعن في الأنبياء والتي لا يجب علينا التصديق بها بل هي مما يجب الجهر بتكذيبه وبيان بطلانه.

هذا ما وفقني الله إليه وهو وحده من وراء القصد.



تجيب عليها لجنة الفتوى المركز العام

حكم فصل رأس الصيد عن جسده

سؤال: من هواة الصيد من إذا اصطاد حمامة أو عصفورا أو طائرا يؤكل يُسَمِّي ويفصل بيده رأسه عن جسده، فهل يكون بهذا كمن ذبحها، وهل يحل أكلها؟

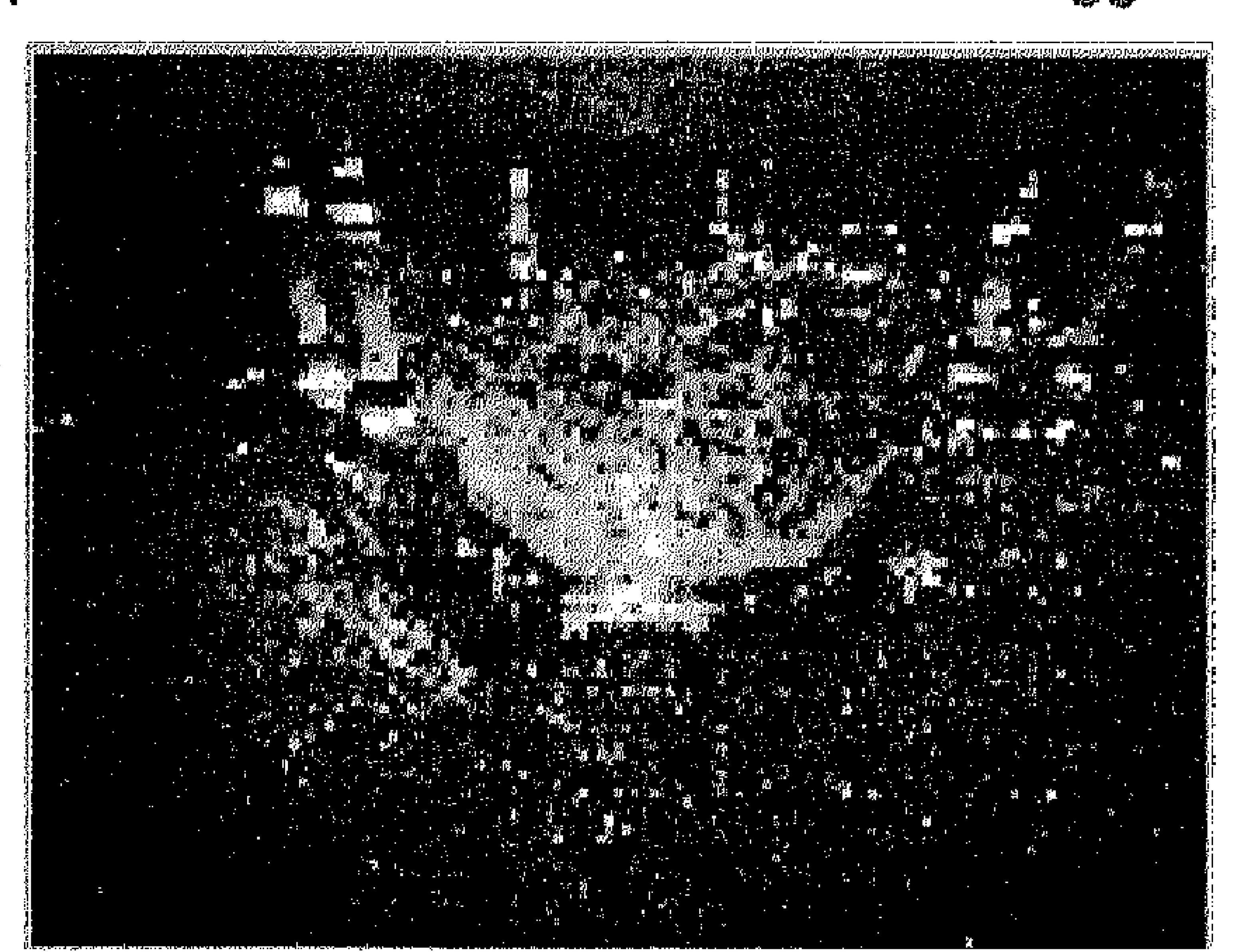
الجواب: يشترط للأكل من الصيد:

١- التسمية.

٢- نزول الدم من الصيد؛ لقول النبي ﷺ: «إذا أصاب بحده فكل، وإذا أصاب بعرضه فقُتِل فإنه وقيذ فلا تأكل». مسلم. ولا يحتاج الأمر لفصل الرأس عن الصيد ليحل الأكل، فمن أراد أن يصيد طيرًا مثلاً فيسمي الله تعالى ثم يطلق سهمه أو بندقيته وبنزول الدم يأكل الصائد، وإن ضرب السهم الصيد ولم ينزل الدم فلا يأكل ولو قُطع الرأس لأن قطع الرأس لا يعد ذكاة، وإنما لو وجده حيا وجبت تذكيته بالذبح المعروف.

حكم لبس المرأة البنطلون

سؤال: ما حكم لبس البنطلون الحريمي للنساء داخل المنزل دون الخروج به خارج المنزل؟



الجواب: البنطلون على الصورة التي يخرج بها النساء في الشوارع الآن لم يكن عليه أمر النساء المسلمات قديمًا فهو مردود بصورته هذه فضلاً عن أنه تشبه بالرجال والشرع لعن المتشبهة من النساء بالرجال، وكذلك لم يكن معروفًا لبسه مجردًا داخل البيوت للنساء ولا حتى عند المحارم لكن لا يمنع أن تلبسه المرأة تحت ملابسها أو بينها وبين زوجها.

كيفية التوبة من السرقات القديمة

يسأل: م.م.ع من الجيزة عن:

كيفية التوبة من السرقات التي سُرقت من الناس؟

والجواب: أخرج مسلم في صحيحه أن النبي ﷺ حذر من أكل أموال الناس وحقوقهم وأن كل المسلم على المسلم حرام، دمه وماله وعرضه، فقال ﷺ: «لا ألفين أحدكم يوم القيامة يحمل على رقبته بعيرًا له رغاء يقول: يا رسول الله أغثني، فأقول: لا أملك لك شيئًا» إلى آخر الحديث.

والنبي ﷺ يحذر في هذا الحديث من أخذ الأموال بغير حق وأن من فعل ذلك سيحمله على رقبته يوم القيامة، إلا إذا تاب فإن الله يتوب عليه، وشروط التوبة في هذا الصدد أن يرد الحقوق المأخوذة إلى أهلها، فإذا ردها آخذها إليهم مباشرة أو إلى من يوصلها إليهم فلا حرج، المهم أن يعود الحق لصاحبه ويتوب الله على من تاب. والله أعلم.

حكم من نذر ألا ينظر إلى التلفاز

ويسأل: إيهاب شعبان - إسكندرية:
عن أنه نذر ألا ينظر إلى التلفاز ثم رجع لينظر فيه إلى الأشياء النافعة فقط فهل عمله صحيح أم عليه كفارة؟

والجواب: أن التليفزيون يعرض من المشاهد ما هو نافع وما هو ضار، وضرره أكبر من نفعه، فمن نذر أن لا يرى فيه ما يغضب الله فهذا نذر في طاعة الله فليطعه، وأما إن كان نذر ألا يرى ما في ذلك الجهاز مطلقًا فأراد أن يعود لرؤية ما يباح رؤيته فيكفر كفارة يمين ويرى ما يباح ويظل باقيًا على طاعة الله في عدم رؤية ما حرم الله تعالى.

من قال: أعاهد الله أن أفعل كذا هل حكمه حكم النذر؟

كما يسأل: عن رجل قال: أعاهد الله على فعل شيء أو على ترك شيء من المستحبات، فهل هذا نذر أم لا كفارة له؟

والجواب: أن الصيغة إذا لم يُذكر فيها لفظ «النذر» صريحًا ففي ذلك خلاف بين العلماء، منهم من يعتبره نذرًا واستدلوا بقول ابن عمر رضي الله عنهما في رجل قال: عليَّ المشي إلى الكعبة لله، هذا نذر فليمش، وقال بمثل قوله سعيد بن المسيب والقاسم بن محمد وحكاه ابن قدامة عن جماعة من العلماء والفريق الثاني يرى أنه لا يلزمه النذر ما دام لم يصرح بلفظ النذر وخروجًا من الخلاف فيكفر من قال ذلك عن قوله كفارة يمين فيطعم عشرة مساكين كل واحد نصف صاع فإن لم يستطع صام ثلاثة أيام.

حكم الزيادة على العدد المشروع في الأذكار

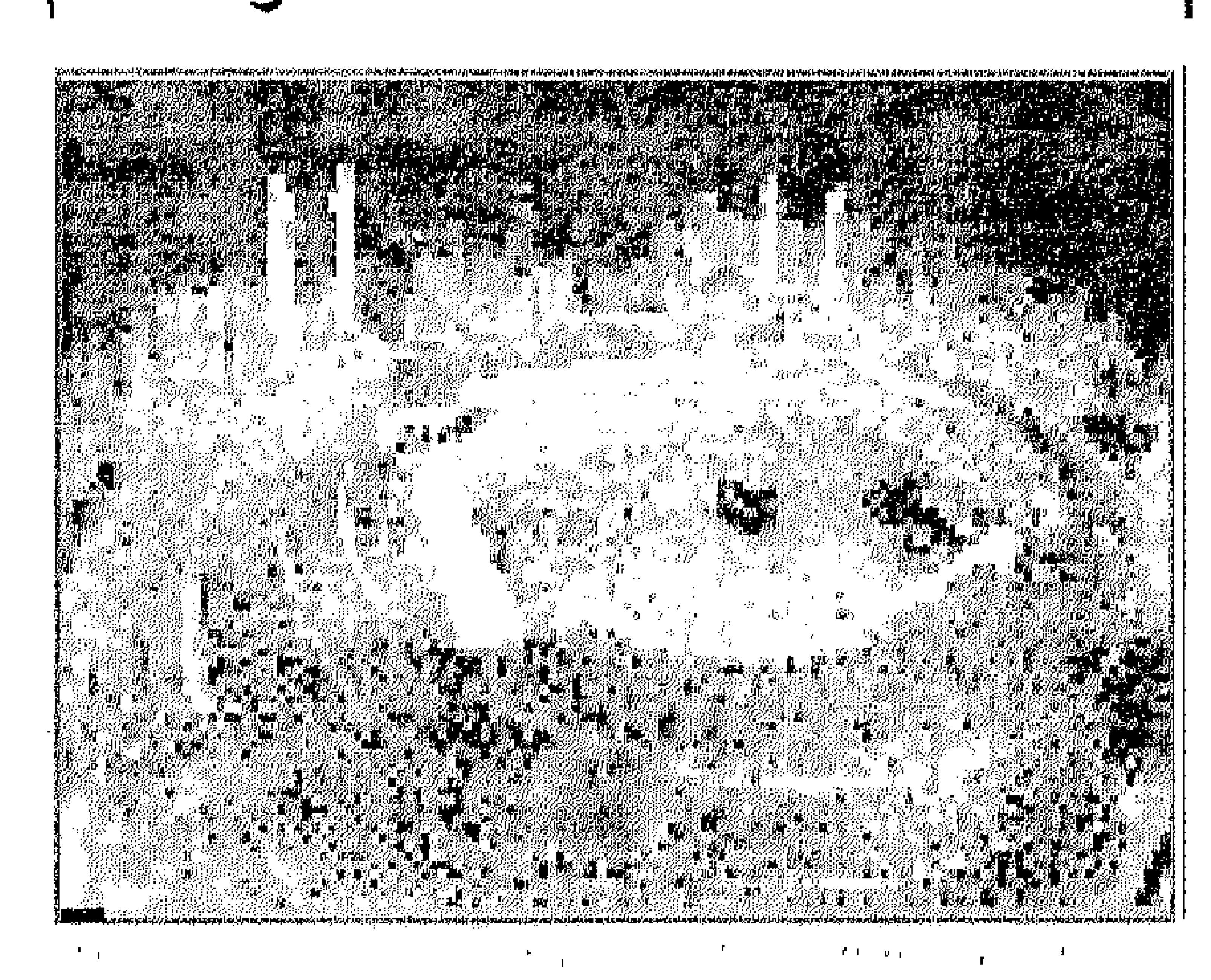
سؤال: سائل يسأل عن الأذكار المقيدة شرعًا بعدد محدد هل على المسلم أن يتقيد بها أم يمكن الاستزادة منها؟!

الجواب: الذكر مطلوب شرعًا من المسلم مرغب فيه وفي الإكثار منه، قال تعالى: ﴿وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾.

والذكر ينقسم إلى نوعين: أحدهما الذكر المؤقت بوقت معين وصيغ معينة وعدد معين، فهذا يجب أن يلتزم المسلم فيه بما ورد عن النبي ﷺ وقتًا وصيغةً وعددًا وخير الهدي هدي محمد ﷺ وشر الأمور محدثاتها، يندرج تحت ذلك أذكار الصباح والمساء وأدبار الصلوات، ودخول المسجد والخروج منه إلى غير ذلك مما هو مدون في كتب السنة والأذكار.

وأما النوع الثاني فهو الذكر المطلق- غير المقيد بوقت معين ولا عدد معين ولا صيغة معينة فهذا يكثر منه بلا حرج كأن يسبح مائة أو ألفًا، أو يهلل نحو ذلك أو يكبر ما شاء الله أن يكبر، أو يحوقل كما يريد لا يلتزم بعدد معين ولا تلزمه صيغة معينة ولا وقت معين.

والله أعلم





أجاب عنها:
فضيلة الشيخ: ابن عثيمين رحمه الله

علاج الحسد

سئل: هل العين تصيب الإنسان؟ وكيف تعالج؟ وهل التحرز منها ينافي التوكل؟

أجاب: رأينا في العين أنها حق ثابت شرعًا وحسًا، قال الله تعالى: ﴿وَإِنْ يَكَادُ الَّذِينَ كَفَرُوا لَيُزْلِقُونَكَ بِأَبْصَارِهِمْ﴾ [القلم: ٥١]. قال ابن عباس وغيره في تفسيرها: أي يعينونك بأبصارهم، ويقول النبي ﷺ: «العين حق، ولو كان شيء سابق القدر سبقت العين، وإذا استغسلتم فاغتسلوا». رواه مسلم. ومن ذلك ما رواه النسائي وابن ماجه أن عامر بن ربيعة مر بسهل بن حنيف وهو يغتسل فقال: «لم أر كاليوم ولا جلد مخبأة». فما لبث أن لبط به فأتي به رسول الله ﷺ، فقيل له: أدرك سهلاً صريعًا، فقال: «من تتهمون؟» قالوا: عامر بن ربيعة، فقال النبي ﷺ: «علام يقتل أحدكم أخاه، إذا رأى أحدكم من أخيه ما يعجبه فليدع له بالبركة». ثم دعا بماء فأمر عامرًا أن يتوضأ فيغسل وجهه ويديه إلى المرفقين، وركبتيه وداخلة إزاره وأمره أن يصب عليه، وفي لفظ: يكفأ الإناء من خلفه. والواقع شاهد بذلك، ولا يمكن إنكاره.

وفي حالة وقوعها تستعمل العلاجات الشرعية، وهي:

١- القراءة: فقد قال النبي ﷺ: «لا رقية إلا من عين أو حمة». أخرجه البخاري. وقد كان جبريل يرقي النبي ﷺ، فيقول: «باسم الله أرقيك، من كل شيء يؤذيك، من شر كل نفس، أو عين حاسد الله يشفيك، باسم الله أرقيك».

٢- الاستغسال: كما أمر به النبي ﷺ عامر بن ربيعة في الحديث السابق، ثم يصب على المصاب.

أما الأخذ من فضلاته العائدة من بوله أو غائطه فليس له أصل، وكذلك الأخذ من أثره، وإنما الوارد ما سبق من غسل أعضائه وداخلة إزاره ولعل مثلها داخلة (عمامته) وطاقيته وثوبه، والله تعالى أعلم.

والتحرز من العين مقدمًا لا بأس به ولا ينافي التوكل، بل هو التوكل؛ لأن التوكل الاعتماد على الله سبحانه مع فعل الأسباب التي أباحها أو أمر بها، وقد كان النبي ﷺ يعوذ الحسن والحسين ويقول: «أعيذكم بكلمات الله التامة من كل شيطان وهامة، ومن كل عين لامة». أخرجه ابن ماجه (٣٥٢٧). ويقول هكذا كان إبراهيم يعوذ إسحاق عليهما السلام. رواه البخاري.

حكم الذبح لغير الله

سئل: ما حكم الذبح تقربًا لغير الله؟ وهل يجوز الأكل من تلك الذبيحة؟

أجاب: الذبح لغير الله شرك أكبر؛ لأن الذبح عبادة كما أمر به في قوله تعالى: ﴿فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَانْحَرْ﴾ [الكوثر: ٢]، وقوله سبحانه: ﴿قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لَا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا أَوَّلُ الْمُسْلِمِينَ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣]، فمن ذبح لغير الله فهو مشرك شركًا مخرجًا من الملة- والعياذ بالله- سواء ذبح ذلك لملك من الملائكة، أو لرسول من الرسل، أو لنبي من الأنبياء، أو لخليفة من الخلفاء، أو لولي من الأولياء، أو لعالم من العلماء، فكل ذلك شرك بالله- عز وجل- ومخرج عن الملة والواجب على المرء أن يتقي الله في نفسه، وأن لا يوقع نفسه في ذلك الشرك الذي قال الله فيه: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢].

وأما الأكل من لحوم هذه الذبائح فإنه محرم لأنها أهل لغير الله بها وكل شيء أهل لغير الله به، أو ذبح على النصب فإنه محرم كما ذكر الله ذلك في سورة المائدة في قوله تعالى: ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ الْمَيْتَةُ وَالدَّمُ وَلَحْمُ الْخِنْزِيرِ وَمَا أُهِلَّ لِغَيْرِ اللَّهِ بِهِ وَالْمُنْخَنِقَةُ وَالْمَوْقُوذَةُ وَالْمُتَرَدِّيَةُ وَالنَّطِيحَةُ وَمَا أَكَلَ السَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى النُّصُبِ﴾ [المائدة: ٣]. فهذه الذبائح التي ذبحت لغير الله من قسم المحرمات لا يحل أكلها.

قول: فلان شهيد

سئل: ما حكم قول: فلان شهيد؟

أجاب: الجواب على ذلك ان الشهادة لأحد بأنه شهيد تكون على وجهين:

أحدهما: أن تقيد بوصف مثل أن يقال كل من قتل في سبيل الله فهو شهيد، ومن قُتل دون ماله فهو شهيد، ومن مات بالطاعون فهو شهيد ونحو ذلك، فهذا جائز كما جاءت به النصوص، لأنك تشهد بما أخبر به رسول الله ﷺ، ونعني بقولنا: جائز أنه غير ممنوع، وإن كانت الشهادة بذلك واجبة تصديقًا لخبر رسول الله ﷺ.

الثاني: أن تقييد الشهادة بشخص معين مثل أن تقول لشخص بعينه إنه شهيد، فهذا لا يجوز إلا لمن

شهد له النبي ﷺ، أو اتفقت الأمة على الشهادة له بذلك، وقد ترجم البخاري رحمه الله لهذا بقوله: «باب لا يقال فلان شهيد». قال الحافظ في الفتح (٦/٩٠): «أي على سبيل القطع بذلك إلا إن كان بالوحي» وكأنه أشار إلى حديث عمر أنه خطب فقال: تقولون في مغازيكم فلان شهيد، ومات فلان شهيدًا ولعله قد يكون قد أوقر راحلته، ألا لا تقولوا ذلك ولكن قولوا كما قال رسول الله ﷺ: من مات في سبيل الله، أو قتل فهو شهيد. وهو حديث حسن أخرجه أحمد وسعيد بن منصور وغيرهما من طريق محمد بن سيرين عن أبي العجفاء عن عمر. اهـ. كلامه.

ولأن الشهادة بالشيء لا تكون إلا عن علم به، وشرط كون الإنسان شهيدًا أن يقاتل لتكون كلمة الله هي العليا وهي نية باطنة لا سبيل إلى العلم بها، ولهذا قال النبي ﷺ، مشيرًا إلى ذلك: «مثل المجاهد في سبيل الله والله أعلم بمن يجاهد في سبيله». وقال: «والذي نفسي بيده لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله، والله أعلم بمن يكلم في سبيله إلا جاء يوم القيامة وكلمه يثعب دمًا، اللون لون الدم، والريح ريح المسك». رواهما البخاري من حديث أبي هريرة، ولكن من كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك، ولا نشهد له به ولا نسيء به الظن، والرجاء مرتبة بين المرتبتين، ولكننا نعامله في الدنيا بأحكام الشهداء فإذا كان مقتولاً في الجهاد في سبيل الله دفن بدمه في ثيابه من غير صلاة عليه، وإن كان من الشهداء الآخرين فإنه يغسل ويكفن ويصلى عليه.

ولأننا لو شهدنا لأحد بعينه أنه شهيد لزم من تلك الشهادة أن نشهد له بالجنة وهذا خلاف ما كان عليه أهل السنة فإنهم لا يشهدون بالجنة إلا لمن شهد له النبي ﷺ، بالوصف أو بالشخص، وذهب آخرون منهم إلى جواز الشهادة بذلك لمن اتفقت الأمة على الثناء عليه وإلى هذا ذهب شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى.

وبهذا تبين أنه لا يجوز أن نشهد لشخص بعينه أنه شهيد إلا بنص أو اتفاق، لكن من كان ظاهره الصلاح فإننا نرجو له ذلك كما سبق، وهذا كاف في منقبته، وعمله عند خالقه سبحانه وتعالى.

مكان اليدين بعد الرفع من الركوع

سُئل: قرأت في أحد الكتب عن كيفية صلاة النبي ﷺ بأن وضع اليدين على الصدر بعد الرفع من الركوع بدعة ضلالة، فما الصواب جزاكم الله عنا وعن المسلمين خيرًا؟

الجواب: أولاً: أنا أتحرج من أن يكون مخالف السنة على وجه يسوغ فيه الاجتهاد مبتدعًا، فالذين يضعون أيديهم على صدورهم بعد الرفع من الركوع إنما يبنون قولهم هذا على دليل من السنة، فكوننا نقول: إن هذا مبتدع؛ لأنه خالف اجتهادنا، هذا ثقيل على الإنسان، ولا ينبغي للإنسان أن يطلق كلمة بدعة في مثل هذا؛ لأنه يؤدي إلى تبديع الناس بعضهم بعضًا في المسائل الاجتهادية التي يكون الحق فيها محتملاً في هذا القول أو ذاك، فيحصل به من الفرقة والتنافر ما لا يعلمه إلا الله.

فأقول: إن وصف من يضع يده بعد الركوع على صدره بأنه مبتدع، وأن عمله بدعة هذا ثقيل على الإنسان، ولا ينبغي أن يصف به إخوانه.

والصواب: أن وضع اليد اليمنى على اليسرى بعد الرفع من الركوع هو السنة، ودليل ذلك ما ثبت في صحيح البخاري عن سهل بن سعد رضي الله عنه قال: «كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة».

ووجه الدلالة من الحديث: الاستقراء والتتبع؛ لأننا نقول: أين توضع اليد حال السجود؟

فالجواب: على الأرض.

ونقول: أين توضع حال الركوع؟

والجواب: على الركبتين.

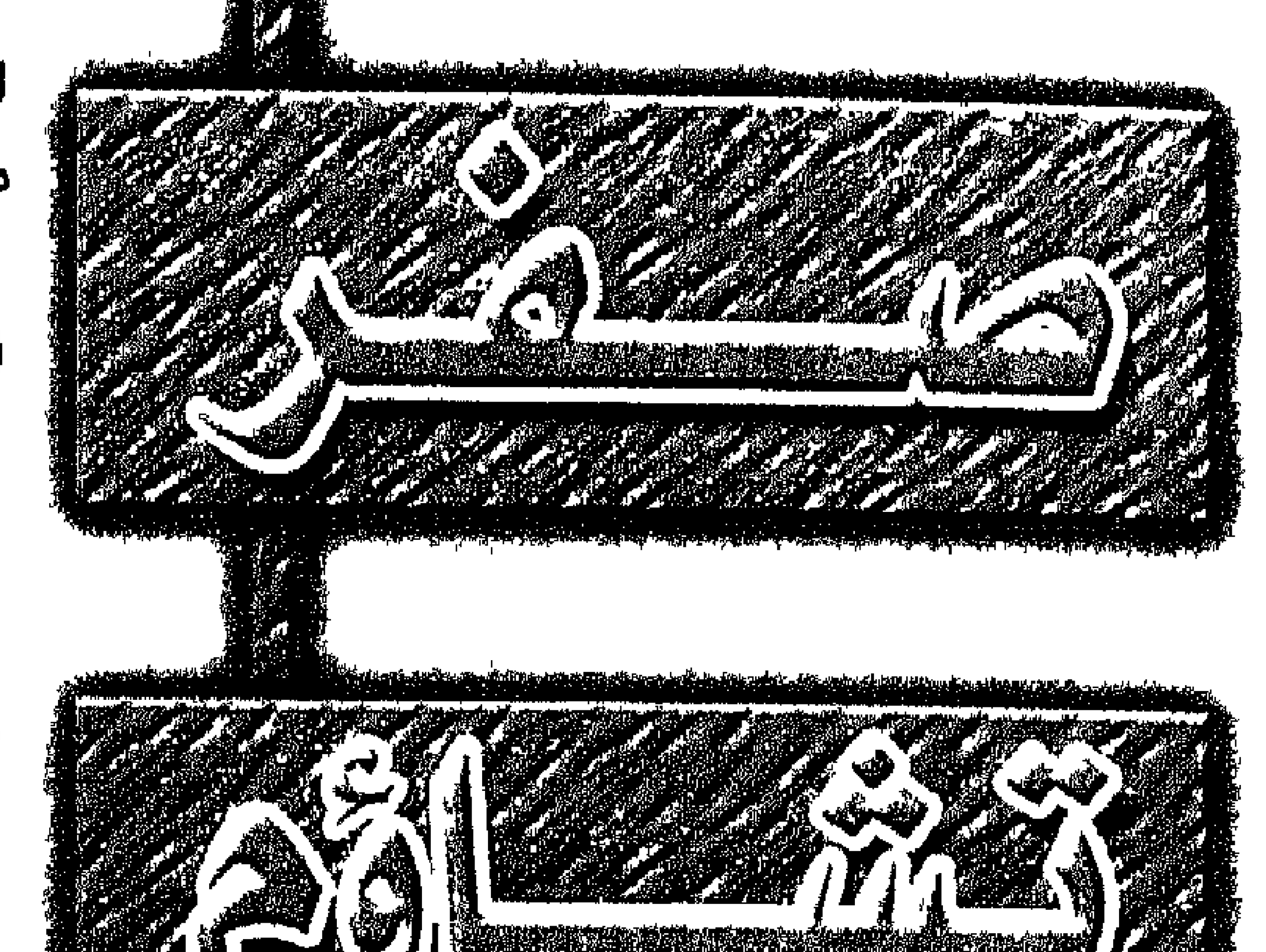
ونقول: أين توضع اليد حال الجلوس؟

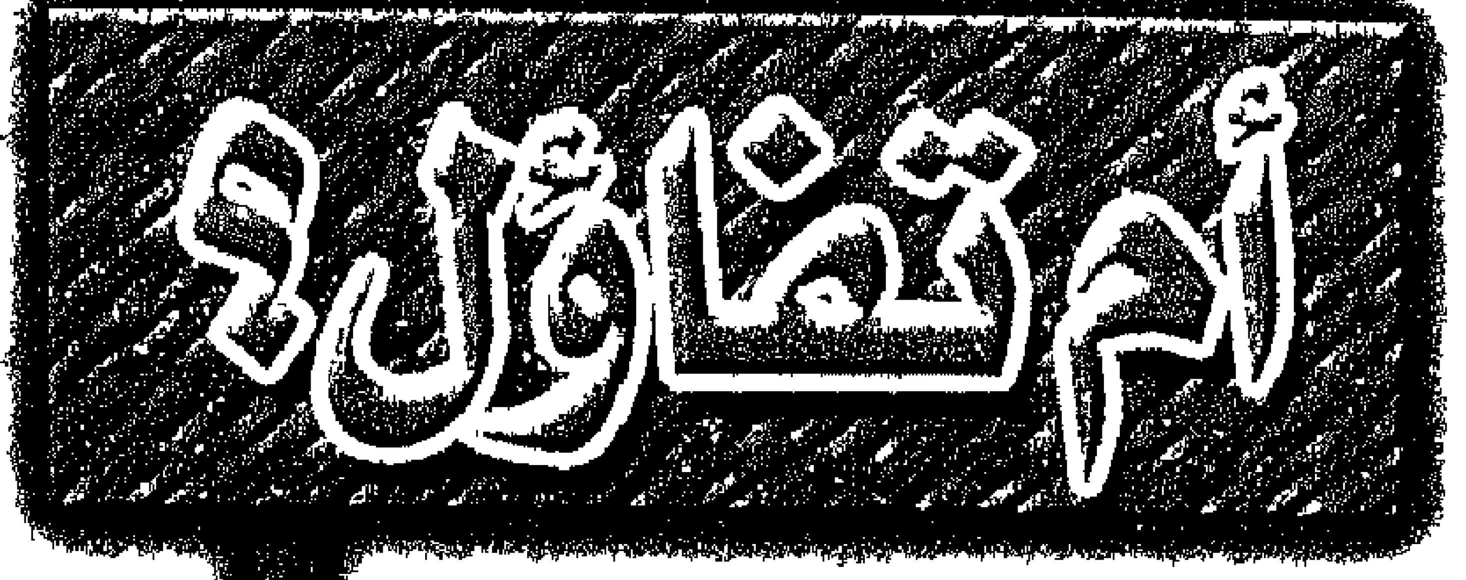
والجواب: على الفخذين، فيبقى حال القيام قبل الركوع أو بعد الركوع داخلاً في قوله رضي الله عنه: «كان الناس يؤمرون أن يضع الرجل يده اليمنى على ذراعه اليسرى في الصلاة»، فيكون الحديث دالاً على أن اليد اليمنى توضع على اليد اليسرى في القيام قبل الركوع وبعد الركوع، وهذا هو الحق الذي تدل عليه سنة النبي ﷺ.

فصار الجواب على هذا السؤال مكونًا من فقرتين:

الفقرة الأولى: أنه لا ينبغي لنا أن نتساهل في إطلاق بدعة على عمل فيه مجال للاجتهاد.

الفقرة الثانية: أن الصواب أن وضع اليد اليمنى على اليد اليسرى بعد الرفع من الركوع سنة وليس ببدعة، بدليل الحديث الذي ذكرناه وهو حديث سهل بن سعد رضي الله عنه لأنه عام، لكن يستثنى منه حال الركوع، والسجود، والقعود؛ لأن السنة جاءت بصفة خاصة في وضع اليد في هذه الأحوال.





بقلم / أبو بكر الحنبلي

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وبعد: فإصلاح العقيدة أساس كل إصلاح، لذلك فقد حرص الإسلام أول ما حرص على حماية العقيدة من كل ما يخدشها، حتى تظل منيعة الجانب مصونة الحمى، وفي هذا المقال نتناول الحديث بمشيئة الله تعالى عن صفر وما أحدثه الناس فيه من البدع، فنقول مستعينين بالله:

أولاً: لم سُمّي صفر؟

الجواب: قيل: إنه سُمِّي صفرًا، لأنهم كانوا يغزون فيه القبائل فيتركون من لقوه صِفرًا من المتاع والمال، أي خلوا منهما. [المناهي اللفظية ص٣٤٣]

ثانيًا: هل ممكن أن نطلق على صفر، صفر الخير؟

الجواب: قال العلامة بكر عبد الله أبو زيد في المرجع المشار إليه سابقًا: وبعضهم يقول: «صفر الخير» تفاؤلاً يرد ما يقع في نفسه من اعتقاد التشاؤم فيه، وهذه لوثة جاهلية من نفس لم يصقلها التوحيد بنوره.

قلت: قال العلامة ابن عثيمين رحمه الله في (ص٤٥١، ٤٥٢) من القول المفيد في شرح كتاب التوحيد: والأزمنة لا دخل لها في التأثير وفي تقدير الله عز وجل، فصفر كغيره من الأزمنة يُقدر فيه الخير والشر، وبعض الناس إذا انتهى من شيء في صفر أرّخ ذلك وقال: انتهى في صفر الخير، وهذا من باب مداواة البدعة بالبدعة، والجهل بالجهل، فهو ليس شهر خير ولا شهر شر.

وأما شهر رمضان، وقولنا: إنه شهر خير، فالمراد بالخير العبادة، ولا شك أنه شهر خير، وقولهم: رجب المعظم؛ بناءً على أنه من الأشهر الحرم.

ثالثا من بقايا الجاهلية:

قد اتفق علماء الإسلام على أن اعتقاد نحْس هذا الشهر اعتقاد باطل في نظر الإسلام، وأنه من بقايا الجاهلية التي أنقذنا الله منها بنعمة الإسلام. فقد أبطل الإسلام عوائد الجاهلية فزالت من عقول جمهور المؤمنين، وبقيت بقاياها في عقول الجهلة من الأعراب البعداء عن التوغل في تعاليم الإسلام، فلصقت تلك العقائد بالمسلمين شيئًا فشيئًا مع تخييم الجهل بالدين بينهم.

ومن بقايا الجاهلية التشاؤم بشهر صفر، حتى صار كثير من الناس يتجنب السفر في شهر صفر اقتباسًا من حذر الجاهلية السفر فيه خوفًا من تعرض الأعداء، ويجتنبون فيه ابتداء الأعمال خشية أن لا تكون مباركة.

ومن الناس من يعتقد أن يوم الأربعاء الأخير من صفر هو أنحس أيام العام.

ومن العجب أنهم ينسبون ذلك إلى الدين الذي أوصاهم بإبطال عقائد الجاهلية فتكون هذه النسبة ضلالة مضاعفة، يستندون في ذلك إلى حديث موضوع يُروى عن ابن عباس أن رسول الله ﷺ قال: «آخر أربعاء في الشهر يوم نحس مستمر». وقد نص الأئمة على أن هذا حديث موضوع. [كذا بمعجم المناهي اللفظية ص٣٤٥].

قال الإمام مالك بن أنس رحمه الله: الأيام كلها أيام الله، وإنما

يُفَضِّل بعض الأيام بعضها بما جعل الله لها من الفضل فيما أخبر بذلك رسول الله ﷺ.

رابعًا : صلاة مبتدعة في صباح الأربعاء الأخير من صفر :

اخترع بعض الجهلة صلاة تصلى صباح يوم الأربعاء الأخير من صفر، وهي صلاة ذات أربع ركعات متواليات تقرأ في كل ركعة ، ويدعى عقب الصلاة بدعاء معين، وهي بدعة وضلالة ، إذ لا تتلقى الصلوات ذوات الهيئات الخاصة إلا من قبل الشرع، ولم يرد في هذه الصلاة من جهة الشرع أثر قوي ولا ضعيف فهي موضوعة، وليست من قبيل مطلق النوافل، لأنها غير جارية على صفات الصلوات النوافل، فليحذر المسلمون من فعلها، ولا سيما من لهم حظ من العلم، ونعوذ بالله من علم لا ينفع وهوى متبع. [كذا في المصدر السابق (ص٣٤٦)].

خامسا : فقه حديث « لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر »، وزاد مسلم : ولا نوء ولا غول.

- أخرجه البخاري (٥٧٥٧) فتح الباري ، ومسلم في السلام (٢٢٢٠- ٢٢٢٢) عبد الباقي .

أ- «لا عدوى» . لا نافية للجنس ، ونفي الجنس أعم من نفي الواحد والاثنين والثلاثة، لأنه نفي للجنس كله، نفى الرسول ﷺ العدوى كلها.

والعدْوى : انتقال المرض من المريض إلى الصحيح، وكما يكون في الأمراض الحسية يكون أيضًا في الأمراض المعنوية الخُلقية، ولهذا أخبر ﷺ أن جليس السوء كنافخ الكير ؛ إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه رائحة كريهة.

فقوله : «لا عدوى»: يشمل الحسية والمعنوية، وإن كانت في الحسية أظهر .

ب- «ولا طيرة» .

اسم مصدر تطير ؛ لأن المصدر منه تطير، مثل الخيرة اسم مصدر من اختار، قال تعالى: ﴿ وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ ﴾ [الأحزاب: ٣٦].

واسم المصدر يوافق المصدر في المعنى، ولذلك تقول كلَّمته كلامًا بمعنى كلمته تكليمًا، وسلمت عليه سلامًا بمعنى سلمت عليه تسليمًا. لكن لما كان يخالف المصدر في البناء سمُّوه اسم مصدر.

والتطير : أصله مأخوذ من الطير، لأن العرب يتشاءمون أو يتفاءلون بالطيور على الطريقة المعروفة عندهم بزجر الطير، ثم ينظر: هل يذهب يمينًا أو شمالاً أو ما أشبه ذلك، فإن ذهب إلى الجهة التي فيها التيامن، أقدم، أو فيها التشاؤم؛ أحجم.

واصطلاحًا التطير : هو التشاؤم - بمرئي- أو مسموع - أو معلوم.

بمرئي : مثل لو رأى طيرًا فتشاءم لكونه موحشًا.

مسموع : مثل من همَّ فسمع أحدًا يقول لآخر: يا خسران ، أو يا خائب ، فيتشاءم.

معلوم : كالتشاؤم ببعض الأيام أو بعض الشهور أو بعض السنوات فهذه لا ترى ولا تسمع.

واعلم أن التطير ينافي التوحيد، ووجه منافاته له من وجهين:

الأول: أن المتطير قطع توكله على الله واعتمد على غير الله.

الثاني: أنه تعلق بأمر لا حقيقة له، بل هو وهم وتخيل، فأي رابطة بين هذا الأمر ، وبين ما حصل له ، وهذا لا شك أنه يخل بالتوحيد، لأن التوحيد عبادة واستعانة، قال تعالى: ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ [الفاتحة].

وقال تعالى : ﴿ فَاعْبُدْهُ وَتَوَكَّلْ عَلَيْهِ ﴾ [هود: ١٢٣].

فالطيرة محرمة ، وهي منافية للتوحيد كما سبق، والمتطير لا يخلو من حالين :

الأول : أن يحجم ويستجيب لهذه الطيرة ويدع العمل ، وهذا من أعظم التطير والتشاؤم.

الثاني : أن يمضي لكن في قلق وهمٍّ وغمٍّ يخشى من تأثير هذا المتطير به وهذا أهون.

وكلا الأمرين نقص في التوحيد وضرر على العبيد، بل انطلق إلى ما تريد بانشراح صدر واعتماد على الله عز وجل ، ولا تسيء الظن بالله عز وجل .

ج- «ولا هامة» : بتخفيف الميم فسرت بتفسيرين:

التفسير الأول : أنها طير معروف يشبه البومة، أو هي البومة، تزعم العرب أنه إذا قتل

القتيل ، صارت عظامه هامة تطير وتصرخ حتى يؤخذ بثأره. وربما اعتقد بعضهم أنها وجه.

التفسير الثاني : أن بعض العرب يقولون: الهامة: هي الطير المعروف ، لكنهم يتشاءمون بها، فإذا وقعت على بيت أحدهم ونعقت، قالوا : إنها تنعق به ليموت ويعتقدون أن هذا دليل قرب أجله ، وهذا كله – بلا شك عقيدة باطلة .

د-«ولا صفر» : قيل : إنه شهر صفر، كانت العرب يتشاءمون به ولا سيما في النكاح .

وقيل : إنه داء في البطن يصيب الإبل وينتقل من بعير إلى آخر ، فيكون عطفه على العدوى من باب عطف الخاص على العام. والأقرب صفر يعني الشهر ، وأن المراد نفي كونه مشؤومًا، أي : لا شؤم فيه ، وهو كغيره من الأزمان يقدر فيه الخير ويقدر فيه الشر .

وهذا النفي في هذه الأمور الأربعة لا عدوى ولا طيرة ولا هامة ولا صفر : ليس نفيًا للوجود ؛ لأنها موجودة، ولكنه نفي للتأثير، فالمؤثر هو الله ، فما كان منها سببًا معلومًا، فهو سبب صحيح، وما كان منها سببًا موهومًا ، فهو سبب باطل ، ويكون نفيًا لتأثيره بنفسه إن كان صحيحًا ، ولكونه سببًا إن كان باطلاً .

هـ-«ولا نوء» : واحدة الأنواء.

والأنواء : هي منازل القمر ، وهي ثمان وعشرون منزلة، كل منزلة لها نجم تدور بمدار السنة.

وهذه النجوم بعضها يسمى النجوم الشمالية، وهي لأيام الصيف ، وبعضها يسمى النجوم الجنوبية ، وهي لأيام الشتاء، وأجرى الله العادة أن المطر في وسط الجزيرة العربية يكون أيام الشتاء أما أيام الصيف فلا مطر .

فالعرب كانوا يتشاءمون بالأنواء ، ويتفاءلون بها ، فيقولون لبعض النجوم : هذا نجم نحس لا خير فيه ، وبعضها بالعكس يتفاءلون به فيقولون : هذا نجم سعود خير، ولهذا إذا أُمطروا قالوا : مطرنا بنوء كذا ، ولا يقولون : مطرنا بفضل الله ورحمته. ولا شك أن هذا غاية الجهل .

ألسنا أدركنا هذا النوء بعينه في سنة يكون مطر وفي سنة أخرى لا يكون مطر؟

ونجد السنوات تمر بدون مطر مع وجود النجوم الموسمية التي كانت كثيرًا ما يكون في زمنها الأمطار .

فالنوء لا تأثير له، فقولنا : طلع هذا النجم، كقولنا : طلعت الشمس فليس له إلا طلوع وغروب ، والنوء : وقت تقدير وهو يدل على دخول الفصول فقط.

و-«ولا غول» :

جمع غَوْلة أو غُولة ، ونحن نسميها باللغة العامية الهولة؛ لأنها تهول الإنسان .

والعرب كانوا إذا سافروا أو ذهبوا يمينًا وشمالاً تلونت لهم الشياطين بألوان مفزعة مخيفة، فتدخل في قلوبهم الرعب والخوف فتجدهم يكتئبون ويستحسرون عن الذهاب إلى هذا الوجه الذي أرادوا ، وهذا لا شك أنه يضعف التوكل على الله ، والشيطان حريص على إدخال القلق والحزن على الإنسان بقدر ما يستطيع ، قال تعالى : ﴿إِنَّمَا النَّجْوَى مِنَ الشَّيْطَانِ لِيَحْزُنَ الَّذِينَ آمَنُوا وَلَيْسَ بِضَارِّهِمْ شَيْئًا إِلاَّ بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [المجادلة: ١٠].

وهذا الذي نفاه الرسول ﷺ هو تأثيرها فلا تهمكم لأنها خوفتكم، فلا تلتفتوا إليها، وليس المقصود بالنفي نفي الوجود، وأكثر ما يبتلى الإنسان بهذه الأمور إذا كان قلبه معلقًا بها، أما إذا كان معتمدًا على الله غير مبال بها، فلا تضره ولا تمنعه عن جهة قصده. [القول المفيد ج١ص ٤٤٨- ٤٥٤].

وفي الصحيحين من حديث أنس أن النبي ﷺ سألوه عن الفأل قال: «الكلمة الطيبة».

فـ«الكلمة الطيبة» تعجبه ﷺ ، لما فيها من إدخال السرور على النفس والانبساط والمضي قدمًا لما يسعى إليه الإنسان، وليس هذا من الطيرة، بل هذا مما يشجع الإنسان لأنها تؤثر عليه، بل تزيده طمأنينة وإقدامًا وإقبالا.

وظاهر الحديث : الكلمة الطيبة في كل شيء، لأن الكلمة الطيبة في الحقيقة تفتح القلب وتكون سببًا لخيرات كثيرة، حتى أنها تدخل المرء في جملة ذوي الأخلاق الحسنة.

والحمد لله رب العالمين

اجتماع الخير والشر في النفس الواحدة

بقلم المستشار أحمد السيد علي إبراهيم



خلق الله سبحانه وتعالى الخير والشر لغاية عظيمة - هي الابتلاء - فقال تعالى: ﴿وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء:٣٥] وقد دلت نصوص الشريعة على أنهما قد يجتمعان في النفس الواحدة فقال تعالى ﴿هُمْ لِلْكُفْرِ يَوْمَئِذٍ أَقْرَبُ مِنْهُمْ لِلْإِيمَانِ﴾ [آل عمران:١٦٧] وقال: ﴿قَالَتِ الْأَعْرَابُ آمَنَّا قُلْ لَمْ تُؤْمِنُوا وَلَكِنْ قُولُوا أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ﴾ [الحجرات:١٤]

وهذا الاجتماع يكون على مراتب هي:

١- أن يكون الشر كفرا ويعلم حقيقته العبد

في هذه الحالة يجتمع الضدان في نفس العبد، الكفر والإسلام، ولا يمكن للعبد أن يدين بهما في السر والعلانية إنما يدين بأحدهما سرا ويظهر الآخر علانية، فإن دان بالكفر سرا وأظهر الإسلام علانية كان منافقًا، وقد أخبر الله عز وجل عن هذا الصنف بقوله تعالى: ﴿وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ وَبِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَمَا هُمْ بِمُؤْمِنِينَ * يُخَادِعُونَ اللَّهَ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ﴾ [البقرة:٨:١٤] وأوضح مثال على هذا القسم رأس المنافقين عبد الله بن أبي بن سلول حيث اجتمع فيه الكفر والإسلام ودان بالكفر سرا وأظهر الإسلام علانية حتى فضحه الله عز وجل وبين حقيقته لرسوله ﷺ ولصحابته رضوان الله عليهم أجمعين.

وإن دان العبد بالإسلام سرا وأظهر الكفر علانية وهو مضطر فلا إثم عليه لقوله تعالى: ﴿مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْرًا فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [النحل:١٠٦] أوضح مثال على هذا القسم عمار بن ياسر رضي الله عنه حينما أكره على التلفظ بالكفر وقلبه مطمئن بالإيمان.

٢- أن يكون الشر كفرا ولا يعلم بحقيقته العبد

فهذا يعذر بجهله لا يجوز تكفيره، وهذا ما فعله النبي ﷺ مع أصحابه حينما اجتمع فيهم خير «وهو الإيمان» وشر «وهو قول أو فعل كفري» ولم يعلموا بحقيقته، فلم يكفرهم ﷺ، بل عذرهم بجهلهم وبين لهم الصواب: ومما يدل على ذلك:

ما جاء عن أبي واقد الليثي رضي الله عنه أنه قال: خرجنا مع رسول الله ﷺ إلى حنين: ونحن حدثاء عهد بكفر وللمشركين سدرة يعكفون عندها وينوطون بها أسلحتهم، يقال لها ذات أنواط، فمررنا بسدرة فقلنا: يا رسول الله اجعل لنا ذات أنواط كما لهم ذات أنواط فقال رسول الله ﷺ: «الله أكبر إنها السنن، قلتم والذي نفسي بيده كما قالت بنو إسرائيل لموسى ﴿اجْعَلْ لَنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾ [الأعراف:١٣٨] لتركبن سنن من كان قبلكم». [رواه الترمذي بسند صحيح]

وعن عبد الله بن أبي أوفى قال: «لما قدم معاذ من الشام سجد للنبي ﷺ فقال: ما هذا يا معاذ؟ قال أتيت الشام فوافيتهم يسجدون لأساقفتهم وبطارقتهم، فوددت في نفسي أن أفعل ذلك لك فقال رسول الله ﷺ: «لو كنت آمرا أحدا أن يسجد لغير الله لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها والذي نفس محمد بيده لا تؤدي المرأة حق ربها حتى تؤدي حق زوجها ولو سألها وهي على قتب لم تمنعه».

[رواه ابن ماجه وصححه الأرناؤوط وحسنه الألباني]

العبد إذا فعل ذنبا يجهل أنه ذنب فإن الله تعالى لا يعذبه بذلك وإن كان فعله للذنب ناتجا عن تقصيره في تحصيل العلم فإنه يسأل عن تقصيره

٣- أن يكون الشر دون الكفر من المعاصي المختلفة ولا يعلم بحقيقته العبد

أي لا يعلم بحرمتها العبد، فهذا لا يسأل عن فعلها لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً ﴾ [الإسراء:١٥]، وقوله تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ ﴾ [الأنعام:١٩] وإنما يسأل عن تقصيره في طلب العلم الشرعي ومعرفة الحلال والحرام ومثال ذلك من يأكل لحم ذي ناب من السباع أو ذي مخلب من الطيور أو يأكل أو يشرب في آنية الذهب والفضة وهو لا يعلم بحرمة ذلك فلا إثم عليه.

٤- وأن يكون الشر دون الكفر من المعاصي المختلفة ويعلم بحقيقته العبد

فهذا مسلم عاص وأمره موكول إلى الله عز وجل، إن شاء عذبه وإن شاء عفا عنه قال تعالى: ﴿ إِنْ تَجْتَنِبُوا كَبَائِرَ مَا تُنْهَوْنَ عَنْهُ نُكَفِّرْ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَنُدْخِلْكُمْ مُدْخَلاً كَرِيمًا ﴾ [النساء:٣١] وكمن يسرق وهو يعلم حرمة ذلك ومن ينظر إلى الحرام وهو يعلم حرمة ذلك.

أقسام الناس عند عدم التمييز بين الخير والشر

يحدث في كثير من الأحيان أن يلتبس على الإنسان تمييز الخير من الشر وذلك بسبب قلة علمه بالحلال والحرام، فمنهم من يتوقف حتى يسأل ومنهم من يفعل قبل أن يسأل، ومنهم من يفعل ويبحث عما يؤيد فعله:

القسم الأول: يتوقف حتى يسأل عن الحكم

أخرج الإمام أحمد في مسنده بسند صحيح عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: لما قدم المهاجرون المدينة على الأنصار تزوجوا من نسائهم وكان المهاجرون يجبون وكانت الأنصار لا تجبي فأراد رجل من المهاجرين امرأته على ذلك فأبت عليه حتى تسأل رسول الله ﷺ، قالت: فأتته فاستحيت أن تسأله، فسألته أم سلمة فنزلت: ﴿ نِسَاؤُكُمْ حَرْثٌ لَكُمْ فَأْتُوا حَرْثَكُمْ أَنَّى شِئْتُمْ ﴾ [البقرة:٢٢٣]، فهذه المرأة الأنصارية لما أراد زوجها أن يجامعها من الخلف في القبل ولم تكن تعلم حكم ذلك ظنت أنه شر توقفت حتى سألت النبي ﷺ فنزلت الآية المتقدمة تبيح الفعل ففعلته.

القسم الثاني: يفعل قبل أن يسأل عن الحكم

أخرج أبو داود في سننه أن زينب امرأة عبد الله بن مسعود قالت: إن عبد الله رأى في عنقي خيطا فقال: ما هذا؟ قلت: خيط رقي لي فيه قالت: فأخذه ثم قطعه، ثم قال: أنتم آل عبد الله لأغنياء عن الشرك، سمعت رسول الله ﷺ يقول: «إن الرقى والتمائم والتولة شرك» فقلت: لقد كانت عيني تقذف ، وكنت أختلف إلى فلان اليهودي، فإذا رقى سكنَتْ فقال عبد الله: إنما ذاك عمل الشيطان، كان ينخسها بيده، فإذا رقى كف عنها، إنما كان يكفيك أن تقولي كما كان رسول الله ﷺ يقول: «أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا شفاء إلا شفاؤك، شفاءً لا يغادر سقما».

[ذكره الألباني في الصحيحة (٣٣١)]

فامرأة عبد الله بن مسعود اشتكت من عينها فذهبت إلى يهودي ليعالجها فرقاها رقية شركية ثم جعلها في خيط يعلق برقبتها فذهب ما بها من وجع فأخبرها زوجها أن الشيطان كان يضغط على عصب في عينها بيده فتشعر بالألم فإذا ذهبت إلى هذا اليهودي وتلا رقياه الشركية كن عنها، ثم علمها عبد الله بن مسعود الرقية الشرعية - التي علمها لنا رسول الله ﷺ - فتوقفت عن الذهاب إلى ذلك اليهودي، وسبحان الله بعض الضعفاء يحتج على عدم تركه لشرب الدخان بأنه يشعر بصداع إذا لم يشربه فإذا شربه شعر براحة وذهب عنه الصداع ونقول له ما قاله عبد الله بن مسعود «إنما ذلك عمل الشيطان» فإنه يضغط على أعصاب المخ حتى يشعر

ومن المسلمين من يستمع إلى الغناء المحرم ثم يستدل على جواز ذلك بأحاديث في غير موضعها

المدخن بالصداع فإذا عصى الله سبحانه وتعالى وشرب الدخان ترك العصب فيشعر بالراحة فيظن أن الدخان هو سبب راحته وهو مخطئ في ذلك.

القسم الثالث: يعصي ويبحث عما يؤيد معصيته

مثال ذلك من يضع أمواله في البنوك الربوية ويأخذ عليها فائدة ثم حينما ينهاه أحد عن ذلك يتشدق بأن فلانا قد أباح ذلك، ومثاله أيضا من يستمع إلى الغناء المحرم ثم يستدل على جواز ذلك - بأحاديث في غير موضعها. ولعل أفضل الأقسام الثلاثة هو القسم الأول الذي إذا التبس عليه الأمر فلم يستطع أن يفرق بين الخير والشر توقف حتى يسأل، وأما القسم الثاني فقد يقع فيه بعض الصالحين فيقع في الشر ظنا منه أنه خير ثم إن بان له أنه شر كف عنه كما فعلت زينب امرأة عبد الله بن مسعود، وشر الأقسام القسم الثالث الذي يتقلب في الشر ثم يحاول أن يبحث عن الدليل الذي يؤيد ما هو عليه من باطل بالرغم من توضيح أهل العلم له ببطلان ما هو عليه.

ضوابط التفرقة بين الخير والشر

إذا عَرَضَ للإنسان أمر ولم يعلم حكمه أخير هو أم شر؟ فهناك بعض الضوابط التي يجب أن يتبعها للتفرقة حتى لا يقع في الشر وهي:

سؤال أهل العلم: قال تعالى: ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ﴾ [النحل:٤٣] وقال ﷺ في حديث صاحب الشجة: «قتلوه قتلهم الله، ألا سألوا إذ لم يعلموا فإنما شفاء العيّ السؤال، إنما كان يكفيه أن يتيمم» [أخرجه أبو داود وصححه الألباني في صحيح أبي داود رقم ٣٢٦]، فسؤال أهل العلم ينير الطريق للحيران فيستطيع أن يميز بين الخير والشر فلا يقع فيه.

التوقف عن الفعل لحين السؤال

في حالة عدم تمكن الإنسان من السؤال في الحال وجواز تأخير فعلٍ مّا عرض له يستحب له أن يتوقف عن الفعل حتى يسأل أهل العلم قال ﷺ: «إن الحلال بين وإن الحرام بين وبينهما أمور مشتبهات، لا يعلمهن كثير من الناس، فمن اتقى الشبهات فقد استبرأ لدينه وعرضه ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام» [رواه البخاري ومسلم] وقال أيضا: «دع ما يريبك إلى ما لا يريبك».

[رواه النسائي والترمذي وصححه الألباني في صحيح الجامع (٣٣٧٨/١) والإرواء (٢٠٧٤)]

استصحاب الأصل

في حالة عدم التمكن من السؤال ولحوق المشقة بالإنسان من جراء تأخيره فعليه أن يُعْمِل الأصل العام ويستصحبه وهو:

أ - الأصل في الأشياء - الأفعال والأعيان - الحِل والدليل قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا﴾ [البقرة:٢٩]، وهذا عام في الأعيان والمنافع: أما المعاملات فمثل قوله تعالى: ﴿وَأَحَلَّ اللَّهُ الْبَيْعَ وَحَرَّمَ الرِّبَا﴾ [البقرة:٢٧٥] فأحل المبايعة فالأصل فيها الحل وكذلك بقية العقود.

ب - الأصل في العبادات المنع: إلا إذا أذن بها الشرع، ودليل ذلك قوله ﷺ: «من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد» رواه مسلم، وقوله تعالى: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى:٢١].

ومن ثم فإذا قدم للإنسان طعام أو شراب ولا يستطيع أن يعرف حكمه من حل أو حرمه فالأصل الحل حتى يرد دليل على تحريمه، وإذا طلب من إنسان فعل عبادة ولا يعرف حكمها من جواز أو عدمه فالأصل التوقف حتى يرد الدليل على جواز الفعل، فإذا اتبع المسلم هذه الضوابط عند عدم التمييز بين الخير والشر استطاع أن ينجو بنفسه من الوقوع في الشر واستبرأ لدينه وعرضه.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.



بسم الله والحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وآله وصحبه ومن تبع هده.

أما بعد: فإن الله عز وجل قد رفع شأن الصحابة رضوان الله عليهم في كتابه العزيز وكذلك فعل رسوله ﷺ في سنته، فقال سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ...﴾ [الفتح: ٢٩]. قال الإمام مالك: بلغني أن النصارى كانوا إذا رأوا الصحابة رضوان الله عليهم الذين فتحوا الشام يقولون: والله لهؤلاء خير من الحواريين فيما بلغنا. وقال ابن الجوزي: وهذا الوصف لجميع الصحابة عند الجمهور.

بقلم **زكريا مشرف**

وقال الإمام مالك في قوله تعالى: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾: من أصبح وفي قلبه غيظ على أصحاب رسول الله ﷺ فقد أصابته هذه الآية.

وقال الإمام عبد الله بن إدريس: لا آمن أن يكونوا ضاهوا الكفار، يعني الرافضة؛ لأن الله تعالى يقول: ﴿لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ﴾.

وقال تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ...﴾ [التوبة: ١٠٠]. وقال تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفتح: ١٨]. وقال تعالى: ﴿لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ﴾ [الحشر: ٨- ١٠].

وقال ابن كثير في تفسيره: وما أحسن ما استنبط الإمام مالك من هذه الآية الكريمة أن الرافضي الذي يسبُّ الصحابة ليس له في مال الفيء نصيب لعدم اتصافه بما مدح الله به هؤلاء في قولهم: ﴿رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا﴾ [الحشر: ١٠].

وروى مسلم من حديث عروة بن الزبير قال: قالت عائشة: يا ابن أخي، أُمروا أن يستغفروا لأصحاب النبي ﷺ فسبُّوهم. وقال تعالى: ﴿فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنْتُمْ بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوْا﴾، فجعل إيمانهم مقياساً لإيمان الناس، وقال سبحانه: ﴿لَقَدْ تَابَ اللَّهُ عَلَى النَّبِيِّ...﴾ [التوبة: ١١٧، ١١٨].

وهذا في غزوة تبوك وقد حضرها جميع الصحابة، إلا الثلاثة الذين خُلفوا، وقد ذكر الله توبتهم في القرآن.

وقال تعالى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنْكُمْ مَنْ أَنْفَقَ مِنْ قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِنَ الَّذِينَ أَنْفَقُوا مِنْ بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾ [الحديد: ١١]، و«الحسنى»: الجنة. واستدل ابن حزم بهذه الآية على أن الصحابة جميعًا من أهل الجنة؛ لقوله تعالى: ﴿وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَى﴾.

إلى ذلك من الآيات.

وأما ما جاء في السنة فقد روى الشيخان من حديث عبدالله بن مسعود رضي الله عنه، أن رسول الله ﷺ قال: «خير الناس قرني، ثم الذين يلونهم، ثم الذين يلونهم».

وروى الشيخان من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «لا تسبُّوا أصحابي، فلو أن أحدكم أنفق مثل أُحد ذهبًا ما بلغ مُدّ أحدهم ولا نصيفه».

وروى الطبراني من حديث ابن عباس رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين». [صحيح الجامع (٦٢٨٥)].

ومن عقيدتنا- عقيدة أهل السنة والجماعة- سلامة قلوبنا وألسنتنا لأصحاب النبي ﷺ، ونؤمن بما جاء به كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ وانعقد عليه إجماع العلماء على فضائل الصحابة ومناقبهم، ونقدم من أنفق من قبل الفتح وقاتل في سبيل الله، على من أنفق من بعد وقاتل، وكلاً وعد الله الحسنى، ونقدم المهاجرين والأنصار، ونؤمن بأنه لن يدخل النار أحدٌ شهد بدرًا ولا أحد ممن بايع تحت الشجرة، الذين رضي الله عنهم جميعًا وكانوا أكثر من ألف وأربعمائة رجل، وأيضًا نتوقف عما شجر بين الصحابة، ونرى وجوب السكوت عن الخوض فيما جرى بينهم من الفتن رضي الله عنهم جميعًا من بعد مقتل عثمان رضي الله عنه، ونعتقد أن فتنة الجمل وقعت من غير اختيار عليٍّ ولا طلحة ولا الزبير، وأن عائشة رضي الله عنها خرجت للإصلاح بين الناس، وأن القتال الذي حصل بينهم لم يكن على الخلافة، فإن أهل الجمل وصفين لم

يقاتلوا على نصب خليفة غير عليّ، ولا كان معاوية يقول إنه الإمام دون علي، وكذلك طلحة والزبير، وإنما وقع القتال لاختلاف اجتهادهم في كيفية القصاص من قتلة عثمان رضي الله عنه، وأكثر الصحابة اعتزلوا القتال واتبعوا النصوص الواردة في اعتزال الفتنة، ونعمل بقول عمر بن عبد العزيز رحمه الله: دماءٌ طهّر اللهُ منها يدي فلا أخضب بها لساني. ثم تلا قوله تعالى: ﴿ تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ... ﴾ [البقرة: ١٣٤].

ونستغفر للقتلى من كلا الفريقين ونترحم عليهم ونعترف لهم بسبقهم وننشر مناقبهم؛ عملاً بقوله تعالى: ﴿ وَالَّذِينَ جَاءُوا مِن بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا وَلِإِخْوَانِنَا الَّذِينَ سَبَقُونَا بِالْإِيمَانِ وَلَا تَجْعَلْ فِي قُلُوبِنَا غِلًّا لِّلَّذِينَ آمَنُوا رَبَّنَا إِنَّكَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾ [الحشر: ١٠].

منزلة الصحابة عند علماء السلف

قيل لأحمد بن حنبل: يا أبا عبد الله، ماذا تقول فيما كان من عليّ ومعاوية رحمهما الله؟ فقال أبو عبد الله: ما أقول فيهما إلا الحسنى، رحمهما الله أجمعين.

قال الخلاّل: قال أبو بكر المروزي: قلت لأبي عبد الله: أيهما أفضل؛ معاوية أو عمر بن عبد العزيز؟ فقال: معاوية أفضل، لسنا نقيس بأصحاب النبي ﷺ أحدًا، قال النبي ﷺ: «خير الناس قرني الذين بعثت فيهم».

وقال أبو زرعة الرازي: إذا رأيت الرجل ينتقص أحدًا من أصحاب النبي ﷺ فاعلم أنه زنديق؛ وذلك لأن الرسول ﷺ حق، والقرآن حق، وما جاء به حق، فإنما أدى إلينا ذلك كله الصحابة، وهؤلاء يريدون أن يجرحوا شهودنا ليبطلوا الكتاب والسنة، والجرح بهم أولى، وهم زنادقة. اهـ [الكفاية ص٤٩].

وقال الإمام أحمد بن حنبل رحمه الله تعالى: صفة المؤمن من أهل السنة والجماعة مَن شهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأن محمدًا عبده ورسوله. إلى أن قال: وترحم على جميع أصحاب محمد ﷺ صغيرهم وكبيرهم، وحدَّث بفضائلهم وأمسك عما شجر بينهم.

وقال الطحاوي رحمه الله: ونحب أصحاب رسول الله ﷺ ولا نفرط في حب أحد منهم، ولا نتبرأ من أحد منهم، ونبغض من يبغضهم وبغير الحق يذكرهم، ولا نذكرهم إلا بخير، وحبهم دين وإيمان وإحسان، وبغضهم كفر ونفاق وطغيان. [شرح العقيدة الطحاوية ٢/٦٨٩].

ومن العجيب أن يخرج علينا في أيامنا هذه- التي تموج فيها الفتن كقطع الليل المظلم- مَن يخوض في هؤلاء الأصحاب بغير علم ولا هدًى ولا كتاب منير، وهم الروافض [الشيعة] ومن يصدقهم أو يقول بقولهم، ويسير وراءهم بكتابة ذلك أو نشره أو تمثيله في مسرحيات أو غير ذلك كما حدث في سب عمرو بن العاص رضي الله عنه أو تنقصه.

وما كان لمسلم أن يصدر منه ذلك إلا عن كراهية حقيقة منه لصحابي، وإلا فقد وقع في الوعيد الشديد كما ذكر ذلك الإمام الطبري في مقدمة التاريخ، فقال: فما يكن في كتابي هذا من خبر ذكرناه عن بعض الماضين مما يستنكره قارئه أو يستشنعه سامعه، من أجل أنه لم يعرف له وجهًا في الصحة، ولا معنى في الحقيقة، فليعلم أنه لم يؤت في ذلك من قِبلنا، وإنما أُتي من قِبل بعض ناقليه إلينا، وإنما أدينا ذلك على نحو ما أدى إلينا، هذا من ناحية التلقي، ومن جهة الحكم على الأشخاص؛ حبًا وكرهًا فينبغي أن يكون ذلك بميزان الشرع فنحبّ في الله ونبغض في الله.

وما ذكره هذا الرجل من سبب لبغضه لهذا الصحابي إن صح فلا يكون مسوِّغًا لهذا التصريح الصادم لمشاعر المسلمين وعقيدتهم والذي يتناول رمزًا من رموز الأمة الإسلامية عبر تاريخها.

ولو كان صاحب «رجل الأقدار» استجاب لأمر الله تعالى إذ يقول: ﴿ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل: ٤٣]، فسأل عن المصادر الصحيحة التي تكلمت عن حياة عمرو بن العاص، خاصة وهو من أصحاب رسول الله ﷺ لوجدها، ولقالت له بلسان حالها: ما من مسلم على أرض مصر يؤمن بالله واليوم الآخر إلا ويأتي يوم القيامة في ميزان حسنات عمرو رضي الله عنه.

بل ولو سأل أهل العلم بأحاديث رسول الله ﷺ التي تتكلم عن فضل هذا الصحابي لوجد قوله ﷺ: «أسلم الناس وآمن عمرو بن العاص». [صحيح الجامع ٩٧١].

وأيضًا قوله ﷺ: «عمرو بن العاص من صالحي قريش». [صحيح الجامع ٤٠٩٥].

وقوله ﷺ: «ابنا العاص مؤمنان؛ عمرو وهشام». [صحيح الجامع ٤٥].

وأخيرًا أقول لصاحب «رجل الأقدار» خاصة، ولكل من يتناول أو تسول له نفسه أن يتناول واحدًا من أصحاب رسول الله ﷺ بأدنى تنقص: اتقوا الله في أنفسكم، واعلموا أنكم تأكلون لحم أناس اصطفاهم الله عز وجل لصحبة نبيه والدفاع عن دينه، أناس من أولياء الله بلا شك.

وتذكروا قول الله عز وجل في الحديث القدسي: «من عادى لي وليًا فقد آذنته بالحرب». [رواه البخاري ٦٥٠٢].

جعلنا الله من حزبه ومن أوليائه، وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم. وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين.

مفاهيم عقائدية الإيمان بالملائكة

الحلقة الخامسة

موقف





والعصاة

بقلم
أسامة سليمان

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده.... وبعد:

بيّنا فيما سبق علاقة الملائكة بالمؤمنين، وصلاة الملائكة على المتقين وتسديدهم لهم وصلاتهم عليهم، أما بالنسبة للكفار والعصاة والفساق، فإن الملائكة تلعنهم وتنزل العذاب بهم، وتضرب وجوههم وأدبارهم عند احتضارهم، وفيما يلي بيان لموقف الملائكة من الكفار والعصاة:

١. إهلاكهم قرى لوط:

لما جاءت الملائكة لوطًا عليه السلام في هيئة شباب وجوههم حسنة وصورهم جميلة، جاءه قومه مسرعين يمارونه في شأن ضيوفه، ويحاولون فعل الفاحشة بهم، فسيء بهم وضاق بهم ذرعًا، فضربهم جبريل عليه السلام بجناحه فطمس أعينهم وأذهب أبصارهم، حتى لم يبق لها محل ولا أثر، ثم أهلكهم الله شر هلاك ورفع جبريل عليه السلام قراهم إلى السماء وعاد بها منكسة إلى الأرض ثم أمطر الله عليهم حجارة من نار.

يقول سبحانه: ﴿وَلَقَدْ رَاوَدُوهُ عَنْ ضَيْفِهِ فَطَمَسْنَا أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ﴾ [القمر:٣٧]، ويقول سبحانه: ﴿فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا جَعَلْنَا عَالِيَهَا سَافِلَهَا وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهَا حِجَارَةً مِنْ سِجِّيلٍ مَنْضُودٍ (٨٢) مُسَوَّمَةً عِنْدَ رَبِّكَ وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ﴾ [هود:٨٢-٨٣].

٢. الملائكة لا تدخل أماكن المعصية ولا تصاحب رفقة المعاصي:

ففي الحديث يقول النبي ﷺ: «لا تدخل الملائكة بيتًا فيه كلب ولا صورة» رواه الشيخان عن أبي طلحة، وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «لا تصحب الملائكة رفقة فيها كلب ولا جرس» رواه مسلم.

٣. الملائكة تضرب وجوه الكفار وأدبارهم عند الاحتضار، لأن روح الكافر تأبى الخروج، يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الأنعام:٩٣]، ويقول سبحانه: ﴿فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ﴾ [محمد:٢٧].

٤. لا تقرب الملائكة جيفة الكافر والمتلطخ بالخلوق - أي المتلطخ بالزعفران لما فيه من التشبه بالنساء.

وفي الحديث: «ثلاثة لا تقربهم الملائكة: جيفة الكافر، والمتلطخ بالخلوق، والجنب إلا أن يتوضأ»

أخرجه أبو داود في سننه، صحيح الترغيب والترهيب (٧٣/١).

٥. لعنهم الكفار والفساق:

يقول جل شأنه: ﴿إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَمَاتُوا وَهُمْ كُفَّارٌ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ لَعْنَةُ اللَّهِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ [البقرة:١٦١].

وهذه بعض الأعمال التي تلعن الملائكة أصحابها:

١. المرأة التي لا تستجيب لزوجها:

ففي صحيح البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فأبت، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح».

٢. الذي يشير لأخيه بحديدة:

ففي صحيح مسلم، عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه، وإن كان أخاه لأبيه وأمه».

والحديث يشير إلى حرمة ترويع المسلم، وإلى حرمة هذا الفعل.

٣. الذين يسبون أصحاب النبي ﷺ:

إن سب أصحاب النبي ﷺ فضلًا عما فيه من الإثم والفجور فهو طعنٌ في الشريعة لأن الأحكام الشرعية وصلتنا عن طريقهم، وطعن في النبي ﷺ لأن الله اصطفاه واصطفى له أصحابه، وشرف الصحبة من شرف الصاحب ﷺ.

ولذلك قال ﷺ: «لا تسبوا أصحابي، فوالذي نفسي بيده لو أن أحدكم أنفق مثل أحد ذهبا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصيفَه» رواه البخاري ومسلم، وفي معجم الطبراني الكبير عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال ﷺ: «من سب أصحابي فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين».

٤. الذين يعطلون شرع الله أن يحكم واقع الناس:

عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: «من قتل عمدًا فهو قود، فمن حال بينه وبين فعله لعنه الله والملائكة والناس أجمعين» رواه النسائي.

هذا بالنسبة لمن يعطل حدًا واحدًا فما بالنا بالذي يعطل حدود الله وأحكام الله كلها.

٥. المحدثون في دين الله، المعتدون على أحكامه والخارجون عن شريعته:

ففي حديث أبي داود والنسائي «من أحدث حدثًا أو آوى محدثًا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» صحيح الجامع (٨/٦).

وفي الحديث أيضًا: «المدينة حرم، ما بين عير إلى ثور، فمن أحدث فيها حدثا أو آوى محدثًا، فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلا». رواه البخاري في صحيحه.

٦. الملائكة تلعن من ادعى إلى غير أبيه أو انتمى إلى غير والديه، لا يقبل الله منه يوم القيامة صرفًا ولا عدلا.

٧. ذمة المسلمين واحدة يسعى بها أدناهم فمن أخفر مسلمًا في ذمته فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين. رواه البخاري في صحيحه.

وقد سأل الكفار النبي ﷺ رؤية الملائكة، ليدلل لهم على صدقه فجاءت الآيات تبين لهم، أن اليوم الذي يرون فيه الملائكة يوم شؤم عليهم، ذلك أنهم يرون الملائكة عندما يحل بهم العذاب وعندما يأتيهم الموت ويكشف عنهم الغطاء يقول سبحانه: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا الْمَلَائِكَةُ أَوْ نَرَى رَبَّنَا لَقَدِ اسْتَكْبَرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا عُتُوًّا كَبِيرًا (٢١) يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ وَيَقُولُونَ حِجْرًا مَحْجُورًا﴾ [الفرقان: ٢١-٢٢].

ولو نُزِّل إليهم ملائكة، فإنهم لن يؤمنوا وإنما طلبوا ذلك على سبيل التعنت، يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ أَنَّنَا نَزَّلْنَا إِلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ الْمَوْتَى وَحَشَرْنَا عَلَيْهِمْ كُلَّ شَيْءٍ قُبُلًا مَا كَانُوا لِيُؤْمِنُوا إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ يَجْهَلُونَ﴾ [الأنعام:١١١].

والله عز وجل لم يرسل الرسل من الملائكة لأن طبيعتهم مخالفة لطبيعة البشر. ولو أرسل الله ملكًا رسولاً لجعله من جنس البشر يقول سبحانه: ﴿وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ﴾ [الأنعام:٩].

والله من وراء القصد.



- لا تقل الخبرة عن خمس سنوات في مجال الوظيفة المطلوبة.
- ترسل السيرة الذاتية مرفق بها صورة شخصية حديثة مع كتابة العنوان ورقم الهاتف ورقم هاتف آخر، على صندوق بريد ٣٥٠٩٩ الدمام الرمز البريدي ٣١٤٨٨.

تكتب الوظيفة والتخصص على الظروف من الخارج.

دعـــوة
لنشر التوحيد عبر مجلة التوحيد

الحمد لله وبعد:

إن وسائل الإعلام في كثير من البلدان في غالب الأحيان صارت عوامل هدم للمجتمعات، ومن هنا سارعت دول الكفر والمذاهب الهدامة إلى السيطرة على زمام تلك الوسائل لتبث من خلالها سمومها التي أشربتها كثير من القلوب فسقطت صرعى وهلكى، أو مرضى في طريق سيرها إلى الله والدار الآخرة، وكان من نتائج ذلك محاولات هدم أركان العقيدة ومحاربة الفضيلة ونشر الرذيلة والفاحشة.

فعُبدت القبور وذُبحت القرابين لغير الله عز وجل، وانتشر السحر والسحرة واتُبعت الشهوات وكثرت المنكرات، لكن سرعان ما تنبه العقلاء من المسلمين للخطر الداهم فسارعوا إلى معالجة المرضى وإنقاذ الهلكى، فكان من جهودهم هذه المجلة الغراء- مجلة التوحيد- منبر الدعوة السلفية بمصر، والتي عملت على نشر التوحيد منذ أكثر من ثلاثين عامًا.

ومن هذا المنطق ندعوكم أيها الأخوة ـ حفظكم الله ـ إلى نشر التوحيد عبر مجلة التوحيد بتوزيعها بالداخل؛ السنة الكاملة بـ ١٥ ريالاً فقط قيمة اشتراك يُهدى إلى معلم أو واعظ يؤثر في مجتمعه، و٢٠ دولارًا قيمة اشتراك خارجي يُهدى إلى من يحتاج إلى من ينير له الطريق، فلا تحرم نفسك يا أخي من السُّنة الحسنة والأجر الجزيل.

قال ﷺ: «من دعا إلى هُدى كان له من الأجر مثل أجور من تبعه».

ويمكن المشاركة بدعم المجلة بعمل حوالة أو شيك مصرفي على بنك فيصل الإسلامي فرع القاهرة حساب رقم ١٩١٥٩٠ باسم مجلة التوحيد ـ أنصار السنة.

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه